تأليف مجموعة من أساتذة الجامعة
باشراف الاستاذ الدكتور
**محسن محمد حسين**

# أربيل

## دراسة تاريخية






## دراسة تاريخية

تأليف مجموعة من أساتذة الجامعة

باشراف الاستاذ الدكتور

**محسن محمد حسين**



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل – اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

اربيل - دراسة تاريخية
تأليف مجموعة من أساتذة الجامعة
باشراف: الاستاذ الدكتور محسن محمد حسين
منشورات اراس رقم: ١٣٢٦
الطبعة الاولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ٦٠٠ نسخة
مطبعة اراس - أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٥٤٥ - ٢٠١٢
الاخراج الداخلي والغلاف: آراس أكرم

ردمك:
ISBN: 978-9966-487-97-3

الاساتذة المشاركون في التأليف

أ. د. خليل علي مراد

أ. د. محسن محمد حسين

أ. د. زرار صديق توفيق

أ. م. د. مهدي محمد قادر

د. علي عادل حسين

د. نعمان جمعة ابراهيم

م. رابعة فتاح شيخ محمد

م. هوشنك صالح نجار

فهرست

# اربيل في التاريخ

بات من الضـروري ان يكتب تاريخ المدينة العـريقـة، ليكون في مـتناول الجميع، ويقرأ دون أن يثقل فكر القارئ بالهوامش أو بقائمة المصادر.

والواقع أن المشروع الذي طرحته علينا دار آراس، في شخص السيد بدران أحمد حبيب، جعلنا نتردّد بعض الشيء، ليس لصعوبة العمل – بطبيعة الحال –، بل للمسؤولية التي وضعنا أنفسنا أمامها، إذ ماذا يكون جوابنا حين نواجه بسؤال عن وثائق ومصادر ما كتبناه.

لهذا صار لزاماً علينا أن نتخطّى هذا الامر، حين يعرف القارئ الحصيف أننا إعتمدنا على باحثين يكتبون تاريخ المدينة وتاريخ الكرد منذ عشرات السنين، أو أنهم كتبوا دراساتهم الاكاديمية لنيل الدرجات العلمية في هذا الموضوع.

يتناول الكتاب تاريخ اربيل منذ القدم، منذ الآف السنين، ولا أدل على هذا من تغيير إسمها ليتسق لفظه على ألسن الأقوام التي قطنتها عبر الازمنه الساحقة، كما تركت تلك الأقوام بصماتها على سيماء المجتمع الاربيلي، في القيم والتقاليد، وكذلك في المعتقدات. قبل أن يستقر على وضعها الراهن.

ربما سأل سائل: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم تتطرق مصادر الفتوحات الاسلامية إلى تاريخ فتحها وكيفية فتحها، والقائد الذي تم

الفتح على يده، وكيفية ذلك، هل تمّ ذلك صلحاً أم عنوة، على غرار مدن كردستان الأخرى، مثل شهرزور واطراف الموصل. فعدم ذكر فتحها أمر محيّر – الى حدّ – لكن ليس أمامنا سوى الاجتهاد والقول أن المدينة غدت بُلَيْدة مغمورة، ذات شأن محدود أثناء الفتوحات حتى صار المؤّرخو الفتوح، ومدوّنو التاريخ العام – وهم كثيرون – لا يتطرقون الى هذا الشأن. في حين ذكروا فتوح مدن كردستان وغير كردستان، بينها مدن باتت غير ذات شأن فيما بعد.

والواقع أن اربيل تعّرضت عبر تاريخها الى هّزات وحالات نكوص عديدة، كما مرّت بمراحل نهوض، والحالة التي عاشتها في عهد ملكها المعظم مظفرالدين كوكبوري، او الامارة البكتكينية.

إلاّ أن تعرّضها لهجمات الأقوام دفع أهلها الى تحصينها للوقوف بوجه الغزاة، فتفقت حاجتهم الى جعل مسكنهم حصناً، فصارت القلعة بمثابة مدينة، اي صارت اربيل عبارة عن قلعتها، واستمرت الحالة زمناً طويلاً، ثم ضاقت بهم القلعة بمرور الزمن، فاضطر الأهلون الى بناء دورهم أسفل القلعة، كما إضطر بعضهم الى النزوح منها الى ربضها، وإحاطة محلات سكناهم بسور حصين.

رغم ان تلك التحصينات لم تصن المدينة، وحتى القلعة من هجمات الغزاة، وهذا ما أثبتتها المصادر. لكن الحياة لم تنقطع عنها طيلة تلك الأزمان الغابرة، رغم الويلات التي تحّملتها. ليست ويلات الحروب وحالات الحصار المتكررة التي فرضها أعتى غزاة التاريخ، كونها تقع وسط سهول مترامية الأطراف، بل كذلك ويلات الأمراض الفتّاكة، ولاسيما الطاعون والهيضة (الكوليرا)، الا ان تلك الويلات والكوارث لم تّحل دون استمرار الحياة في هذه المدينة العجيبة.

وها هي تعود البسمة الى ثغرها، وإلى شفاه أُناسها الطيّبين، ولاسيما بعد ان صارت عاصمة لاقليم كردستان، وإحدى أجمل مدن المنطقة، وبانت فيها معالم الحضارة، وما هو مرتقب، ربما يكون أهم مما حاصل فيها لحد الآن، فأربيل أمّنا الرؤوم.

أ. د. محسن محمد حسين

# أربيل قديما

تعد أربيل إحدى المدن التاريخية العريقة والحية الموغلة في القدم في العالم، التي ظلت مستوطنة ومحتفظة باسمها القديم، فضلا على كونها مركز محافظة تحمل الاسم نفسه، وقد تعرضت هذه المدينة لأكثر من حضارة متباينة الثقافة واللغة، وهي تقع على هضبة مستوية وفي منطقة منبسطة المعروفة بسهل أربيل (دەشتی هەولێر) ترتفع عن مستوى سطح البحر (٤١٥ مترا) وتمتد حدود اقليمها فيما بين نهري الزاب الأعلى والأسفل، من نهر دجلة غربا والحدود العراقية الإيرانية شرقا. كانت أربيل من المراكز المدنية الرئيسية في هذه المنطقة خلال العصور القديمة.

ومما يدل على قدمها، ورود اسمها في الكتابات التاريخية، فقد وجدت فيها العديد من المواقع الأثرية والقلاع القديمة تعود إلى أزمنة مختلفة، منها ما يرجع إلى العصور الحجرية القديمة ولاتزال آثارها موجودة ولم يتم التنقيب في أغلبها لمعرفة الكثير عنها، يتبين من الدراسات الأثرية وعمليات الكشف والتنقيب أن منطقة أربيل غنية بتراثها الحضاري وتأريخها القديم، وأن الاستيطان والسكنى فيها بدأ بشكل جماعات بشرية وقرى زراعية منذ عصور ما قبل التأريخ، كما شهدت ظهور وبناء حضارة إنسانية مبكرة واكبت التطور الحضاري وما زالت أهمية المدينة قائمة حتى غدت عاصمة أقليم كُردستان بعد آلاف السنين من وجودها.

يرجع تاريخ الاستيطان في منطقة أربيل إلى العصور الحجرية، يتبين

ذلك من التوزيع العام للمواقع الأثرية التي قامت في هذه المنطقة، وقد وجدت آثار ومخلفات الإنسان في تلك المواقع تشتمل على الكهوف والقرى الزراعية ومراكز أخرى، توزعت في مواقع أثرية كبيرة وكثيرة ضمن الحدود الإدارية للمدينة، تتمثل في اكتشاف أكثر من ٦٥٠ موقعا أثريا تم الإعلان عن أثريتها ونشرها في جريدة الوقائع العراقية وسجلت في دائرة آثار أربيل كمعالم أثرية، إن هذه الزيادة في المواقع الأثرية والتي جرت على بعضها أعمال التنقيب ودراسات من قبل الآثاريين والمتخصصين والهيئات التنقيبية الأجنبية، تدل على أن هذه المواقع كانت في حينها مراكز حيوية مزدهرة.

وعلى هذا الأساس يرى الباحثون أن أرض أربيل كانت مهدا لأقدم الحضارات البشرية وموطنا للإنسانية، ان تلك الأعداد الهائلة من المواقع المكتشفة في بطون أرضها تشهد على تطور مظاهر الرقي والتقدم في مجالات الحياة المختلفة، وكذلك تحكي قصة أولئك الناس الذين هم بناة الحضارة وروادها الأوائل، هذا فضلا عن احتضان أرض أربيل آلاف التلول الأثرية والعديد من الكنوز والمعالم الحضارية الأخرى المطمورة تحت الركام والأنقاض في طبقات الأطلال والتلول التي ماتزال إلى الآن بحاجة إلى البحث والاستكشاف.

ثمة صعوبات تعترض الباحث للحصول على معلومات عن تأريخ أربيل خلال العصور الحجرية القديمة، ولعل السبب في ذلك هوأن تاريخ المنطقة يمتد إلى عصور موغلة في القدم سبقت ظهور التدوين والكتابة، لذلك فإنه من المنطقي الاستفادة من المعلومات والشواهد التي تم الحصول عليها من الدراسات الميدانية في مجال التنقيبات الأثرية التي أزالت هذه الصعوبات وأصبحت من المصادر الموثوقة التي وصّلتنا إلى معرفة بعض

الحقائق عن بداية الحياة والتي ساعدت في تتبع الجذور التاريخية للمنطقة، لذلك فإن نتائج الحفريات الأثرية فسحت المجال أمام الباحثين والمعنيين لبيان العمق التأريخي لمنطقة أربيل، وكانت حصيلة الأعمال التنقيبية اكتشاف معالم حضارية في هذه المنطقة.

لقد تم اكتشاف مجموعة من الكهوف والملاجئ الصخرية في المنطقة، ومن اهم هذه الكهوف كهف شانيدر الكائن في كلي أشكفت على سفوح جبال برادوست المطل على وادي الزاب الأعلى بالقرب من مركز ناحية شانيدر، من قبل دائرة الآثار والتراث العراقية وبدأت فيها التنقيبات الأثرية في القرن الماضي من قبل بعثة أثرية من المعهد السمثوني الأمريكي برئاسة الآثاري (رالف سوليكي) بين أعوام ١٩٥١–١٩٦٠، ودلّتنا التنقيبات على أن شانيدر هو أقدم كهف في أربيل بل وفي العراق عموما، اتخذه الإنسان مأوى له، وتم العثور فيه على بقايا حضارية وأدوار سكنية ومخلفات مادية وهياكل عظمية في طبقات متعددة وعلى أعماق مختلفة تعود لإنسان نياندرتال، وكما هو معروف فإن هذا الإنسان عاش في منطقة أربيل في كُردستان خلال العصر الحجري القديم في الدور المعروف بـ(الموستيري) قبل حوالي (٥٠–٧٠ ألف) سنة. وان بعثة التنقيب في شانيدر التي عثرت على آثار هذا الإنسان أطلقت على ذلك العصر تسمية (العصر البرادوستي) نسبة إلى جبال برادوست.

كما يوجد في جبال برادوست ومنطقة رواندز ضمن محافظة أربيل مجموعة أخرى من الكهوف على درجة من الأهمية، مثل كهف (هفديان وبيستون وبيخال) قامت بالتنقيبات في هذه الكهوف بعثات آثارية آجنبية بين أعوام ١٩٥١–١٩٥٥، وجدت فيها آثار الإنسان الحديث وكان أول ظهوره في هذه الكهوف في حدود ما قبل ٣٤٠٠٠ سنة من الآن.

أما أربيل في العصر الحجري الوسيط ١٢٠٠٠–٩٠٠٠ سنة ق.م. فقد مهدت لنشوء القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث، وقد دلت التحريات الأثرية ظهور القرى الأولى فيها مثل (زاوي جمي) التي شهدت المراحل الأولى للانتقال من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث وجرت فيها محاولات مبكرة للإنسان لترك الكهوف والانتقال صوب الأراضي السهلية، حيث بدأت بوادر حياة الاستقرار ونمط التحول وظهور مستوطنات وتجمعات قروية في هذه المنطقة، اذ تعد قرية زاوي جمي على الضفة اليسرى للزاب الأعلى والواقعة على بعد ٤ كم إلى الجنوب من كهف شانيدر التابعة لقضاء رواندز، أقدم قرية زراعية في العالم ظهرت ضمن منطقة أربيل مارس فيها الإنسان أسس الزراعة البدائية وتدجين الحيوانات وبناء البيوت والمساكن وفق الطراز البنائي أو المعماري ذي التصميم الدائري أو البيضوي. وحدد رالف سوليكي الآثاري الأمريكي المذكور الذي نقب في الموقع زمن هذه القرية بواسطة كاربون ١٤ إلى (١٠٨٠٠ سنة ق.م.).

وفي هذه المرحلة توسعت السكنى حيث وجدت آثار وبقايا لقرى زراعية مبكرة اخرى في منطقة أربيل، مثل الملفعات الواقعة على ضفة نهر الخازر بين أربيل والموصل، وفي القرية المذكورة (قرية زاوي جمي) حصلت بوادر الاستقرار والتحولات الأقتصادية وأكتشفت فيها بقايا للبيوت السكنية المشيدة من الطين وعلى أسس حجرية ذات تخطيط دائري، وكذلك في موقع كردجاي في الزاب الأعلى.

ومنذ العصر الحجري الحديث ٨٠٠٠–٥٠٠٠ ق.م. الذي توصل فيه الإنسان للزراعة وتدجين الحيوانات وتوسع القرى، هناك عدد من التلال والأماكن الأثرية في سهول ديانا، وبعد إجراء التنقيبات فيها تبيّن انها

كانت قرى وتجمعات بشرية مأهولة بالسكان.

وخلال العصر الحجري- المعدني بحدود (٤٥٠٠-٣٥٠٠ ق.م.) الذي مهد للعصور التأريخية والتطورات الحضارية الكبيرة التي شهدتها منطقة أربيل فقد ظهرت قرى ومستوطنات زراعية وحضارية خلال أدوار حلف والعبيد والوركاء والعصور اللاحقة، ومن أهم هذه الأماكن التل المسّمى (قالينج آغا) وسط أربيل إلى جنوب القلعة بمسافة كيلومتر واحد ومساحته أكثر من ٣٣ كم مربع، حيث وجدت في التل آثار وبقايا لأدوار سكنية. تشير مكتشفات التل إلى أن هذا المستوطن مر في فترات حضارية متعددة كحضارة حلف والعبيد والوركاء، حيث استمر السكن فيه من ٤٥٠٠-٣١٠٠ ق.م، إذ من الواضح أن سكنة "قالينج آغا" كانوا يتمتعون بصلات حضارية كبيرة مع المواقع الأخرى في المنطقة خصوصا مع شرق بلاد الأناضول، وما يدل على ذلك الكميات الكبيرة من حجر الأوبسيدي التي تم العثور عليها بين طيات الموقع ولهذا الحجر استخدامات واسعة لأغراض شتى، علما أن المصدر الرئيسي لهذه المادة هو منطقة الأناضول وهذا دليل على وجود ارتباطات حضارية وثيقة وعلاقات تجارية قوية مع تلك المناطق، خصوصا مع چطال هيوك في غرب الأناضول.

أما أهم الآثار المكتشفة في قالينج اغا فعبارة عن بقايا معمارية لأبنية دينية تمثل معبدا مستطيل الشكل مع عدد من وحدات بنائية عبارة عن دور سكنية مشيدة من اللبن، مما يشير إلى تطور في مجال التخطيط والعمارة، وكذلك مجموعة من القبور وكانت الجثث موضوعة في جرار فخارية مع كميات من الخرز والقلائد المعمولة من الذهب والأحجار الكريمةالتي كانت تستعمل لتزيين النساء وهي إشارة واضحة على

ازدهار الحياة الاجتماعية والأقتصادية لسكان مستوطن قالينج اغا خلال الألفين الخامس والرابع ق. م.

وبالامكان تتبع حضارات الأقوام القديمة التي عاشت في أربيل منذ العصور التأريخية من خلال الشواهد والمعالم الأثرية الشاخصة في المدينة، ومن أبرزها القلعة الشامخة الواقعة في وسط المدينة وهي بمثابة قلبها النابض، وكانت مركزا للمدينة القديمة وحصنا منيعا في الحقب الزمنية السابقة، وتعد واحدة من أهم القلاع التاريخية والمعالم الحضارية الرائعة في العراق والمنطقة بقيت إلى يومنا هذا مأهولة بالسكان، وصمدت لمرات عديدة في وجه الغزاة في عصور تاريخية مختلفة، ولاسيما بوجه الذين حاولوا تغيير ملامحها، الا انها استطاعت ان تبقى شامخة. وظلت تمثل رمزا أثريا وتاريخيا رائعا تفتخر به أربيل وكُردستان.

وهذه القلعة على هيئة تل أثري بيضوي الشكل يضم في باطنه بقايا وتراكمات أثرية كثيرة لأدوار سكنية تمثل مستوطنات متعاقبة منذ ظهور أول مستوطن في أقدم العصور. ويشغل هذا التل مساحة ١١٠٠٠٠ م٢ ويبلغ ارتفاعه زهاء ٢٦مترا وتعد هذه القلعة وفق المعلومات الواردة من المصادر التاريخية إحدى أقدم المدن المسكونة في العالم، إذ استمر العيش فيها منذ تشييدها قبل آلاف السنين، ومرّت بمراحل تاريخية عدة منها السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والميدية والفارسية والرومانية والساسانية والإسلامية وبوسع أربيل ان تفخر بهذا التراث العظيم فخرا تؤيده الشواهد التاريخية.

ومن خلال الإشارات التاريخية المتوفرة يبدو ان أربيل كانت مدينة عامرة في العهد السومري في حدود ٢٥٠٠ ق.م. فهي تتميز عن باقي

المدن الأخرى بطبيعة موقعها ويحتمل أن ترقد كمدينة محصنة بقصورها ومعابدها تحت هذا التل، التي استمر فيها السكن من تأريخ أقدم من هذا العصر، وكانت أربيل ضمن حدود بلاد (سوبارتو) التي كانت محصورة بين جبال زاكروس من جهة الشرق والمناطق المتاخمة على نهر الخابور من الغرب، واسم سوبارتو ورد بكثرة في العديد من الكتابات والنصوص المسمارية لملوك سلالة لكش الأولى بالخط المسماري، وهذه المدونات القديمة أصبحت من الحقائق التأريخية الخاصة بمنطقة كُردستان القديمة بشكل عام.

وفي العصر الأكدي ٢٣٧٥ ق.م. هناك دلائل تدل على أن سرجون الأكدي (٢٣٤٠–٢٢٤٨ق.م.) حاول إخضاع دويلات المدن السومرية من خلال سلسلة من الحملات العسكرية للسيطرة على المدن الهامة وامتدت فتوحاته إلى بعض المناطق خارج حدود بلاد الرافدين، حيث تمكن من الوصول إلى المناطق العليا لبلاد الرافدين لتكريس ولاء المستوطنات الواقعة حول نينوى بما فيها كركوك وأربيل، كانت في هذه الفترة تتبوأ مكانة هامة لكونها واقعة على الطرق التجارية الستراتيجية المهمة التي تربط بين بلاد آشور وبابل وقد أدى ذلك دون شك إلى نمو أربيل بشكل متزايد في ذلك التاريخ.

أما في العصر الكوتي أو (الكوتيين) ٢٢١٠–٢١١٦ ق.م. الذين ذكرتهم المصادر المسمارية انهم من سكان جبال زاكروس وكان موطنهم يعرف بـ(كوتيام)، ومن أبرز ملوكهم (تريقان) وقد اطلق اسمه على كثير من المدن. لابد من الإشارة إلى أن حكم الكوتيين اقتصر على الأجزاء الشمالية لبلاد الرافدين وتمركزت سيطرتهم على المناطق الواقعة جنوب سهل شهرزور والمناطق المحصورة بين نهري الزاب الأسفل ونهر

سيروان (ديالى) واتخذوا من (أرابخا أو نوزي) (مدينة كركوك الحالية) عاصمة لهم، وأصبحت هذه المدينة عظيمة الشأن تحت حكم الكوتيين في حين تؤكد المعلومات المتوفرة على أن أربيل كانت أحد مراكز الكوتيين المهمة وشيدت فيها المعابد.

أما في عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٦–٢٠٠٣ ق.م.) فقد جاء ذكر المدينة في سجلات ملوك هذه السلالة، وأقدم ذكر لها يرجع إلى عهد الملك (شولكي) الذي حكم من (٢٠٩٣– ٢٠٤٦ ق.م.) وهو أشهر ملوك سلالة أور الثالثة الذي اهتم بالإصلاح وتشييد المعابد وتعمير المدن، حيث ورد ذكر أربيل في مدونات هذا الملك بصيغة (اوربيلم Urbilum أو أربيلم Arbilum، أما في نصوص من العصر البابلي القديم فقد ورد اسمها بصيغة أوربيل Urbel.

واستنادا إلى النصوص المسمارية التي تعود إلى زمن الملك شولكي، يبدو أن أراضي بلاد آشور وبضمنها أربيل كانت خاضعة لنفوذ السوبارتيين الذين عاشوا منذ الألف الثالث ق.م. قبل الآشوريين في المنطقة، وكان مصطلح بلاد سوبارتو مرادفا لبلاد آشور، وفي كتابات من عهد الملك شوسن (٢٠٣٦–٢٠٢٨ ق.م.) ثالث ملوك أور الثالثة يبدو أنه عين حاكما على أوربيلم اسمه (وردننار) بعد سيطرته على أوربيلوم وبعض المناطق من كُردستان مثل منطقة (شمرروم (آلتون كوبري الحالي))، ويعتقد أن هذا الحاكم هو (ايرننا) الذي ورد اسمه في نص مسماري عثر عليه في تلو جاء بصيغة (ايرننا حاكم سكان منطقة سو وأراضي منطقة كردا).

تكشف لنا رسائل الملوك والنصوص أهمية أربيل لأنها تتضمن تقارير ومعلومات عن أسماء الحكام وظهرت في هذه الفترة أقوام اضطلعت

بدور حضاري وسياسي، من اقدم هذه الأقوام التي سكنت كُردستان هم السوبارتيون الذين جاء ذكرهم لأول مرة في كتابات الملك (أي -أناتم ٢٤٧٠-٢٤٣٠ ق.م.) بصيغة سوبار وموطنهم الأصلي بلاد سوبارتو في جنوب غرب بحيرة وان، يبدو ان السوباريين هم أصحاب الحضارة وكان لديهم زعماء مناوئين لملوك سلالة أور الثالثة ولم يعيروا الأهمية لطاعة وسلطة ملوك هذه السلالة، ولاسيما لأوامر الملك شولكي وتشير تلك التقارير إلى وجود اضطرابات وحصول تمرد على الرغم من التوسع في نفوذ إمبراطورية أور الثالثة المترامية الأطراف التي شملت جزءا كبيرا من الشرق الأدنى أمتد من بلاد عيلام وبلاد آشور وأجزاء مهمة من بلاد الشام إلى حمص ودمشق.

وكانت مدينة أربيل شأنها شأن المدن الآشورية المهمة مثل آشور وكالح (كلخو)، ونينوى، وخلال جميع عهود الإمبراطورية الآشورية إتخذت أربيلا كعاصمة او مركز ديني بشكل دائم في الكتابات البابلية والآشورية بصيغة (اربا-ايلو) التي صارت تعني (حسب ما يدّعيه البعض: مدينة الإلهات الاربع) ويظهر من بعض المصادر أن مدينة أربيل كانت تحظى باحترام الملوك الآشوريين لأنها تمثل المركز الديني لعبادة الآلهة وعلى الأخص الإلهة عشتار (إلهة الحب والجمال والحرب) في معتقدات سكان بلاد الرافدين)، وبذلك فإن أربيل كانت الكرسي الثاني للإلهة عشتار التي عرفت باسم عشتار أربيلا.

كان اقليم أربيل في العصر الآشوري ضمن الأقاليم التسع باعتبارها من المراكز الإدارية والدينية المهمة التي تميزت عن باقي المدن العراقية الأخرى نتيجة لخصائصها الدينية، واضطلعت بالدور الرئيسي في هذا المجال، حيث ظهر فيها عدد من المعابد كان من المعتاد أن تجري فيها

أنشطة وفعاليات دينية متنوعة لمجاميع من الآلهة، ويتضح من النصوص الآشورية أن في المدينة نفسها معابد لعبادة الإله سين (إله القمر) وللإله آشور في القلعة وقد ورد اسم معبدها في الكتابات المسمارية بصيغة (أي–كشان–كلاما E-Kashan-Kalamma) ومعناها بيت سيدة الأقليم، وكان هذا المعبد مركزا للفأل بطريقة فحص كبد الذبيحة في العصور الآشورية ولكن لم يعرف موقع هذا المعبد في القلعة بشكل مضبوط، ومن بين التماثيل واللقى الأثرية المكتشفة في قلعة أربيل تمثال برونزي للإلهة عشتار مع ألواح مكتوبة تعود للملك الآشوري آشوربانيبال ٦٦٩–٦٢٩ق، م، وهذه الأدلة المادية التي توفرها اللقى الأثرية تساهم في التعرف على الجوانب الحضارية في أربيل في ذلك العصر.

على الرغم من ورود إشارات في المصادر التأريخية تؤكد أن مدينة أربيل كانت من المدن المقدسة لدى الآشوريين إلاّ انه لم تتوفر معلومات عن الأبنية الدينية وطبيعة الطقوس والاحتفالات التي كانت تقام في مناسبات مختلفة، باستثناء بعض الإشارات المستنبطة من النصوص التي تفيد بان أربيل كانت قبلة الآشوريين وكان ملوكهم يولونها الكثير من العناية والإجلال والاحترام ويحجون اليها للاستخارة قبل الإقدام على تنفيذ مشاريعهم خصوصا في حملاتهم العسكرية، ويذكر أن الملك سنحاريب حج إلى مدينة (أربا– إيلو) سنة ٦٩٢ ق.م. ليصلي فيها إلى الإلهة عشتار كي يصيب ظفراً في حملاته الحربية بأعتبارها مصدر الظفر في المعارك كونها إلهة الحرب.

بما أن أربيل كانت نقطة جذب للأقوام والشعوب فقد تعرضت إلى تأثيرات حضارية عديدة انتقلت اليها منذ العصور الآشورية (٢٠٠٠–٦١٢ق.م.) وتواصل تزايدها في العصور اللاحقة، يبدو ذلك من خلال

تدفق هجرات الأقوام إلى أربيل منذ العصور القديمة، لذلك أصبحت المدينة بمثابة موقع عسكري وكانت محصنة بالأسوار ذات الأبراج، حيث ورد ذكرها بكثرة في النصوص المسمارية وكتب الرحالة، ويصف (ريج) القلعة في رحلته عندما زار أربيل عام (١٨٢٠) محاطة بخندق عميق، بأنها كما وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر التحصينات والخنادق المحيطة بالقلعة، ويتحدث ويقول: ان أربيل هي قلعة ومدينة كبيرة في فضاء واسع من الأرض. وانها اشبه ما تكون بقلعة مدينة حلب، إلا أن قلعة اربيل اوسع...

ومنذ مطلع الأربعينيات غدت آثار هذه المدينة التأريخية موضع اهتمام المنقبين والآثاريين والهيئات الأثرية الأجنبية وجرت محاولات من أجل متابعة الأدوار الحضارية والأحداث التأريخية التي مرت بأربيل، تمثل ذلك بما قدمته التنقيبات الأثرية من نتائج الحفريات والاكتشافات الجديدة في بعض المواقع خارج وداخل مدينة أربيل التي كانت في غاية الأهمية لأنها وفرت أول الأدلة على الاستيطان في أربيل في عصور ما قبل التأريخ.

وعلى ضوء تلك النتائج أصبحت لدينا صورة واضحة للتحولات الحضارية التي شهدتها منطقة أربيل خلال الحقبة الزمنية المتزامنة مع تنامي وتعاظم الدولة الآشورية كقوة رئيسية وكما تميزت هذه الفترة باتساع النفوذ العسكري للآشوريين ونجاحهم بعد سلسلة من الحملات العسكرية لفرض سيطرتهم على مناطق واسعة من الشرق الأدنى القديم، وغدت أربيل جزءا من إمبراطوريتهم المترامية الأطراف، حيث حاولت الدولة الآشورية الاستفادة من موارد منطقة أربيل واستغلالها وأولوا الجانب الإروائي أهمية كبيرة، ويبدو ذلك من إشارات الملوك الآشوريون

في حولياتهم إلى أعمال الري التي قاموا بها في المنطقة.

تذكر الوثائق والنصوص الآشورية أحداث وأعمال الملوك وإنجازاتهم خلال فترات حكمهم بما فيها أسماء المدن ومواقعها في منطقة أربيل، هناك نص يشير إلى احتفال آشور ناصر بال (٨٨٥–٨٦٠ ق.م.) في مدينة أربيل، ونص آخر يتحدث عن حملة عسكرية للملك شلمنصر الثالث على اقليم زاموا انطلقت من مدينة أربائيل كونها مركزا مهما من مراكز الحكم الآشوري، وفي رقيم طيني يعود تأريخه إلى عهد الملك آشور بانيبال يتضمن ذكرا لأعماله الورعة وإنجازاته المعمارية في المراكز القريبة منها، مثل إكماله السور الخارجي لمدينة أربيل وكذلك ترميمه لمعبد عشتار المعروف بمعبد (أي–كال–أيدن) وصيانته للأبنية في مدينة (ملقيا)، ويعتقد أن بقايا هذه المدينة تقع في تل باستام الآن، التي تبعد مسافة ٢٧ كم إلى الشمال الغربي لمدينة أربيل على الضفة اليسرى لنهر الزاب الأعلى القريبة من أسكي كلك الحالية.

حظيت مدينة أربيل بعناية واهتمام ملوك الآشوريين، وكانت المدينة على درجة من الأهمية، يدل على ذلك وجود كتابات مسمارية كثيرة تلقي الضوء على حقيقة المدينة، فهناك نص مدون على كتلة صخرية من بقايا المشروع الإروائي للملك الآشوري سنحاريب سنة (٧٠٥–٦٨١ ق.م.)، وهو المشروع الذي قام به لإيصال الماء من نهر باستورا (بەستۆرە) إلى أربيل من خلال حفر القنوات على غرار ما فعله في نينوى، واكتشفت بقايا هذا المشروع الإروائي الضخم في الضفة الجنوبية لنهر باستورا، اذ قام بحفر قناة من قرية قلعة مورتكه جنوب وادي باستورا عن طريق عمل أنفاق تحت الأرض بهيئة كهاريز يبلغ طول قناته من باستوره إلى أربيل حوالي ٢٠ كم، وتشتمل هذه البقايا على رصيف وبداية نفق

استعمل لجريان الماء من النهر باتجاه أربيل، ان هذا العمل والإنجاز الكبير يدل على بذل الجهود الفنية والهندسية الدقيقة وبتكاليف عالية، وبخبرة العاملين من سكنة منطقة أربيل القدماء في مجال المشاريع الإروائية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هيئة التنقيب برئاسة عالم الآثار العراقي فؤاد سفر كشفت عام ١٩٤٧ بقايا هذا المشروع وقامت بتتبع مسار القناة على شكل مجرى، ترك سنحاريب كتابة مسمارية تتألف من ثمانية أسطر على إحدى الأحجار التي شيد بها رصيف تلك القناة وهذا نصها ((أنا سنحاريب ملك بلاد آشور، حفرت ثلاثة أنهر في جبال خاني التي في أعلى مدينة أربيل موطن السيدة الجليلة الإلهة عشتار وجعلت مجاريها مستقيمة)). وهذا يدل على أن سنحاريب قام بحفر ثلاث قنوات من جبال خاني نحو أربيل. وليس قناة واحدة ونرى بقاياها الآن في المناطق الكائنة على امتداد الجبال المطلة على الضفة اليسرى لوادي باستورة. وهو في هذا النص يقصد بجبال خاني سلسلة جبال خانزاد وصلاح الدين. وجاء في نصوص مسمارية من عهد الملك شلمنصر الثالث أن هذه الجبال تمتد الى أقليم كروري–Kirruri.

كانت منطقة أربيل تضم عدة مقاطعات وأقاليم وجدت خلال العصرين الآشوريين الوسيط والحديث ومرت بفترات استقلال أو شبه استقلال كلما مرت الدولة الآشورية بفترة ضعف وتقلصت رقعتها الإدارية التي تبسط عليها سلطتها، ومن أهم الأقاليم التي ذكرت مرارا في النصوص، هو اقليم كروري الواقع إلى الشرق من أربيل وظل مركزا إداريا مهما طوال العصر الآشوري الحديث وجدت فيه مدن شوخو Sukhu وسميرا Simerra.

وتشير كتابات ملوك آشور إلى حملاتهم العسكرية على هذه المدن منذ القرن العاشر ق.م. من خلال الممرات الجبلية الموجودة في هذا الأقليم

الجبلي الذي يشمل أيضا مناطق سهلية فسيحة وخصبة مثل سهل ديانا وسهل حرير ويشكل الأخير المنطقة الأساسية لهذا الأقليم، وتذكر المصادر الآشورية أن هذه المنطقة تعتبر مصدرا مهما لمنتوج العنب ويلاحظ انتشار أشجار العنب فيها بكثرة وكانت ترسل كميات هائلة من النبيذ من أقليم كروري إلى معابد آشور في نينوى، وتمدنا كتابات ومدونات الملك شلمنصر الثالث بمعلومات عن موقع هذا الأقليم وبالممرات والسلاسل الجبلية العالية والوعرة التي تخترقها، منها سلسلة جبال بيرمام داغ وسفين داغ وخاني داغ.. وتذكر نصوص الملك (تكلتي – ننورتا) اسم جبلين في ممرات كروري هما (أوربا وأشرن) في معرض وصفه وقائع الحملة العسكرية التي قام بها في المنطقة لمطاردة المناوئين لحكمه.

من المدن المهمة التابعة إداريا لأربيل التي ظهرت خلال الفترة الآشورية والتي كان لها دور مهم في الأحداث السياسية والعسكرية، هي مدينة (أداوش) الواقعة إلى الضفة اليمنى لنهر الزاب الأسفل. تتحدث نصوص آشورية عن مقاومة سكان هذه المدينة لصد جيوش الملك (تجلات –بلاصر الأول) أثناء حملته للمدينة ولجوئهم إلى الجبال العالية القريبة. إن الخصائص العامة لمدينة اداوش تطابق تماما لمدينة كويسنجق (كويه) المطلة على سفح جبل هيبة سلطان. لذلك يعتقد بعض الباحثين أن مدينة أداوش هي كويسنجق الحالية.

وفي نمرود عثر على وثيقة وردت فيها أسماء عدد من المدن، كانت مزدهرة، التي تحيط بمدينة أربيل منها مدينة (أريا) وهي واقعة على الضفة اليمنى للزاب الأسفل والى الشمال من طقطق، وتبين أن هذه المدينة هي صاتوقَلا، وتأكد ذلك بعد اكتشاف بقايا قصر مبني من الآجر

في هذا الموقع الأثري، بدلالة قطع من الآجر تحمل كتابات مسمارية يتضمن بعض الأسماء منها اسم (أريا) واسم الملك الذي قام ببناء القصر. وأريا كان اسما لمدينة أو أقليم في منطقة سهلية ضمن حدود مدينة كويسنجق.

يمكن الاستدلال من الرسائل الآشورية على آثار مدن تعود لأزمنة مختلفة في المناطق المحيطة بأربيل منها ما يرجع إلى العهد الآشوري، هناك تل أثري بالقرب من قرية سعداوه فيه بقايا مدينة قديمة اسمها (كالزو) وردت في المصادر المسمارية بصيغة (كلزي) تقع في سهل شمامك ضمن الحدود الإدارية لمدينة (كوير) الحالية وعلى بعد ٢٨ كم إلى الجنوب الغربي من أربيل. ولقد ابتدأ التنقيب في الموقع اولا هنري لايارد ثم أجرت البعثة الاثرية الايطالية سنة ١٩٣٣م حفريات، وكشفت بقايا سور ترابي ووحدات معمارية ويمكن ملاحظة جدران أبنيتها مشيدة بالحجارة المهندمة. تم التعرف على حقيقة الموقع نتيجة لاكتشاف آجر منقوش بكتابات مسمارية يعود الى الملك سنحاريب تتضمن ما قام به الملك من إنجازات بنائية في الموقع.

واستنادا لبعض الرسائل الآشورية كان لهذه المدينة أهمية بسبب موقعها الستراتيجي الواقع على الطريق التي تربط المدن المهمة في مركز الدولة الآشورية مثل كالح بالمناطق الجبلية الأخرى عبر أربيل. وهناك رسائل تتضمن قوائم بأسماء الموظفين الذين كانوا مسؤولين عن أمور تتعلق بتقديم القرابين والذبائح من الأغنام من كلزي إلى آشور، وهي دلالة واضحة على الأهمية الأقتصادية لمنطقة أربيل بالنسبة للدولة الآشورية. وفضلا عن الأهمية الأقتصادية لهذه المدينة يبدو أن الآشوريين كانوا يستخدمون هذه المدينة كقاعدة لانطلاق حملاتهم العسكرية على

المناوئين في الأقاليم الشرقية ولاسيما أقليم (زاموا) في منطقة السليمانية.

هناك موقع أثري يعرف بـ(قلعة ابراهيم بايز) في مدينة مخمور ويبدو أن هذا الموقع كان خلال القرنين الثامن والسابع ق.م. مدينة محصنة تابعة لأربيل بعد اكتشاف بقايا لسور دفاعي مبني من اللبن تحيط بالموقع. إن الأعداد الكبيرة من المواقع الأثرية المنتشرة في سهل أربيل كانت مراكز ازدهرت في الفترات السابقة نتيجة لوقوعها بالقرب من أربيل باعتبارها إحدى المراكز المدنية الرئيسية في المنطقة.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أسماء عدد من القصبات والقرى ورد ذكرها في بعض الوثائق من العصر الآشوري الحديث كانت تحيط بقلعة أربيل وهي كل من تل قصري في شمال غرب أربيل و(تل كلك مشك) في الجنوب الغربي منها.

وتذكر المصادر ان بلاد آشور بما فيها سهول أربيل خضعت مابين القرنين (١٥–١٤ ق.م.) لحكم الحوريين والميتانيين، وهم من الأريين الذين أسسوا مملكة مركزها مدينة نوزي (ارابخا) بالقرب من كركوك، واسمها القديم كان (كاسر)، حكم الحوريون جميع بلاد كُردستان حتى وصلت حدود دولتهم إلى سواحل البحر المتوسط، وتؤكد الكتابات المسمارية من العصر الأكدي على أن الحوريين والميتانيين هم من سكان مناطق شمال بلاد ما بين النهرين وأسسوا دولتهم التي كانت معروفة لدى الآشوريون بـ(خانيكلبات) إمتدت مابين وادي الخابور والباليخ. كما عرفت في المصادر باسم مملكة ميتاني.

ومنذ القرن التاسع ق.م. تأزمت الأوضاع في المناطق التي تتاخم الحدود العراقية الإيرانية والأجزاء الجنوبية الغربية لجبال زاكروس

وعموم أراضي كُردستان بما فيها المناطق الحالية ضمن حدود اقليم أربيل، وشهدت تلك المناطق تحولات حضارية بعد هجرات الأقوام الميدية والسكيثية والكميرية رافقتها توترات في العلاقات، مما أدى إلى ظهور اتحادات وكيانات ودول ذات طابع جديد تتميز بثقافاتها ولغاتها المختلفة، فضلا عن بروز المملكة الأورارتية التي كان يرأسها زعماء محليون، وظهورها على مسرح الأحداث كقوة سياسية دخلت في صراعات وحروب وأصبحت المنافس القوي للملوك الآشوريين حتى تمكنوا من اقتطاع أجزاء من الإمبراطورية الآشورية، واستطاعوا أخيرا احتلال المناطق العليا لنهر الزاب الأعلى وأقسام من كُردستان إيران والعراق. وهكذا دخلت أرض أربيل تحت حكم المملكة الأورارتية أو خلديا وكانت بلدة مصاصير الواقعة إلى الشمال الشرقي من رواندز عاصمة لكيان شبه مستقل أو أقليم كما ورد في المصادر المسمارية بـ(مصاصير)، يبدو أن اسم مجيسر، وهي من إحدى قرى منطقة (سِيدَكان) محرف، عن الاسم القديم مصاصير، وكانت هذه البلدة مقدسة في نظر الأورارتيين والمركز الرئيسي للإله الأورارتي الكبير (خلدي)، وبدأ سرجون الثاني الآشوري بمهاجمة مصاصير وحلفائهم من الأورارتيين، لقد وجدت أخبار هذه الحملات مدونة بالخط المسماري على المسلات والمنحوتات الشاخصة في المنطقة، حيث هناك منحوتتان تذكاريتان هما مسلة طوبزاوة و (كيلة شين).

تقع مسلة طوبزاوة في أرض منبسطة على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب الغربي من مسلة كيلة شين على الطريق بين ممر كيلة شين وسِيدَكان، تعرف هذه المسلة محليا باسم (كيلة كاور) التي تعني مسلة الكافر، تطل على واد وعلى طول مجرى الوادي توجد قرى كثيرة منها قرية (مجيسر).

المسلة مصنوعة من حجر البازلت وهي مستطيلة الشكل على قاعدة مربعة وتحمل كتابة مسمارية باللغتين الأكدية-الآشورية مؤلفة من ٣٧ سطرا و٣٨ سطرا من الكتابة الأورارطية (الخالدية أو الأرمنية القديمة) يتضمن الكتابة موضوع عقد تحالف بين ملك مصاصير واسمه (أوزانا) مع الملك الأورارطي (روسا) الذي ساعده في التخلص من الحكم الآشوري في مصاصير. ومن الممكن أن تؤرخ هذه المسلة إلى عصر الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م.).

أما بالنسبة لمنحوتة كيلة شين التي تعني (النصب الأزرق) وفهي كائنة في قرية مجيسر في وادي كيله شين في منطقة جبلية وعرة بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية بين رواندز وشنو، وعلى مسافة ٣٠٠م عن الحدود العراقية، وقد أكتشفت هذه المنحوتة من قبل قس ألماني اسمه (شولتز) عام ١٧٨٠م، وقام (رولصن) بزيارتها في عام ١٨٤١م، وكذلك زارتها بعثة اثرية تابعة لجامعة شيكاغو عام ١٩٥١، وهذه المسلة معمولة من حجر البازلت وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها مترين وعرضها ٦٠ سم، كتب عليها بالخط المسماري وباللغتين الأكدية-الآشورية والخلدية (الأورارتية أي الأرمنية القديمة)، تتكون من ٤١ سطرا باللغة الأورارتية و(٤٢ سطرا) باللغة الآشورية، وفيها اسماء بعض الملوك الأورارتية وألقابها مثل (شبوني) و(مينوا) وأسماء عدد من الآلهة التي كان الأورارتيون يعبدونها مثل إله الجو (تيشوب) وإله القمر (شيلادري) وإله الشمس (شيوني).

ومن الممكن أن تؤرخ هذه المسلة إلى عهد الملك الخالدي أو الأورارتي (أشبو ايني) وكانت فترة حكمه للمنطقة معاصرا للملك الآشوري (شمشي أدد الخامس) الذي حكم في حدود (٨٤٨-٨١٠ ق.م.) وأقيمت

هذه المسلّة في القرن الثامن ق.م. تخليدا لانتصاره على الحامية الآشورية واقتطاع أجزاء من الإمبراطورية الآشورية وكذلك يدور موضوع المسلة حول زيارة قام بها هذا الملك إلى مصاصير وتقديمه القرابين إلى الإله (خلدي) الإله الرئيسي لهذا الأقليم.

ومن الأدلة أعلاه يتضح بأن بلدة رواندز التي تقع في موقع حصين يشبه قلعة منيعة، كانت إحدى المدن التأريخية ضمن منطقة أربيل، ومستوطنة منذ العهود القديمة، وتضم بقايا أثرية تدل على أنها مرت خلال تأريخها الطويل بفترات من الأستقلال عن القوى التي حكمت المنطقة.

وبعد نهاية الدولة الأورارتية على يد الملك الآشوري سرجون الثاني في سنة ٧١٤ ق.م. بدأ العصيان والتمرد في بعض أقاليم الدولة واستقلت بعض المقاطعات، حيث ظهرت دول وممالك منها مملكة ماننا (المانيون أو قبائل المانا) ورد اسمهم في التوراة بصيغة (المني).

والجدير بالذكر ان بلاد ماننا كانت تقع إلى جنوب بحيرة أورمية في كُردستان إيران، وهي إحدى ادول الإيرانية القديمة توسع نفوذها في جنوب بحيرة أورمية وشملت مقاطعات ميديا، ووصلت حدودها إلى نهر الزاب الكبير شمال أربيل. والمعروف عن (المانيين) أنهم كانوا الأعداء التقليديين للآشوريين.

ونتيجة لوقوع أربيل على ملتقى طرق القوافل، فقد اضطلعت بالدور الرئيسي من النواحي الأقتصادية والحضارية والدينية للمنطقة عبر القرون المتعاقبة، وهذه الخصائص المتنوعة جعلتها مركزا لمنازعات الأقوام ومسرحا للأحداث التأريخية، وظهرت في هذه الفترة تحالفات عسكرية بين رؤساء الأقاليم من أجل وضع حد لتوسع نفوذ الإمبراطورية

الآشورية والإطاحة بها، حيث تحالف الميديون والكلدانيون وبعض الأقوام مثل الأسكيثيين والقبائل الإيرانية الأخرى (الزكرتيين والكميريين) ضد الدولة الآشورية، وحين وحّد (خشاتريتا) الميديين وكون الدولة الميدية وقوتها العسكرية، عقد حلفا مع الكميريين والاسكيثيين، واستطاعت الجيوش الميدية الدخول من بوابة زاكروس (طريق خانقين) والوصول إلى بلاد آشور التي كانت تضم آنذاك سهول آشور ومناطق حوض دجلة الشرقي وحوالي مدينة أربيلا، وبدأ الميديون بمهاجمة الدولة الآشورية وبعد سلسلة من المعارك افلحوا في فرض الحصار على العاصمة حتى تمكنوا من احتلال نينوى وسقوطها عام ٦١٢ ق.م.

وفي نهاية عام ٦١٥ ق.م. تمكنت الجيوش الميدية السيطرة على أرابخا (كركوك) وحوض دجلة، وعلى أثرها انهارت الدولة الآشورية، وبذلك خضعت الأجزاء الشمالية من بلاد ما بين النهرين للحكم الميدي وأصبحت جزءا من الدولة الميدية التي أقامها الملك الميدي (كي أخسار ابن خشاتريتا) في حدود ٦٢٥-٥٨٤ ق.م.

أما أربيل في عهد الدولة الأخمينية، فبعد أن استطا ع الملك الفارسي كورش الثاني سنة ٥٥٩-٣٣٠ ق.م. إنهاء الحكم الميدي ٥٥٠ ق.م، خضعت أربيل لسيطرة الفرس الأخمينيين وكانوا يسمونها بـ(أربيرا) وأصبحت أربيل أقليما ضمن الأقاليم الإدارية الخمس في العصر الأخميني، ويبدو من بعض الكتابات الواردة باللغة الأرامية أن أربيل واصلت دورها كمركز لأقليم وكان يتبعها عدد من المدن، مثل (لاخيرو) و(ارزوخينا) وجميع هذه المدن كانت ضمن الحدود الإدارية للأقليم والواقعة على الطريق الممتد بين بابل وأربيل، مع ذلك نالت أربيل تحت الحكم الفرس الكثير من الدمار والخراب جراء منازعات الأقوام التي

جرت على أرضـها، وقد شهدت هذه الفترة ثورات وانتفاضات عارمة في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الميدية وازدادت هجرة ونزوح الأقوام من إيران إلى المرتفعات الشمالية لبلاد مابين النهرين، بما فيها سهل آشور وحوالي مدينة أربيلا-أربيل، حيث سكنت بعض القبائل في تلك المناطق ومن هذه القبائل الزكرتية (أساغارتيان) التي نزحت من شرق بحيرة أورمية، وكان رئيسها (جتران تاخما) ويبدو من المصادر أن (جتران) كان مناوئا لحكام الفرس وكان متعاونا مع الزعماء الذين قادوا بعض الانتفاضات والثورات المناوئة للأخمينيين والدليل على ذلك وجود صورته منقوشة على جبل بيستون مع زعماء آخرين ممن قتلهم دارا ملك الفرس، بسبب قيامهم بالثورات والانتفاضات الشعبية في المقاطعات والأقاليم في بلاد ميديا.

أشتهرت أربيل بالمعركة الفاصلة التي دارت بين جيوش الأسكندر المقدوني وجيوش داريوش (دارا) الثالث آخر ملوك الفرس الأخمينيين في عام ٣٣١ ق.م. انتصر فيها الأسكندر ملحقا الهزيمة بالملك الأخميني في المعركة الشهيرة والتي سميت بمعركة (كوكميلا-أو أربيلا)، وعلى اثر هذه المعركة هرب داريوش فطارده الاسكندر حتى دخوله أربيل منتصرا، وأغلب الآراء متفقة على أن ميدان هذه المعركة التأريخية كانت في سهل أربيل بالقرب من قرية كوكميلا- عند تل الكومل القريب من نهر الخازر- حيث هناك (تل أثري وقرية تحمل اسم كومل). أما الطريق الذي سلكه الأسكندر ومسار جيوشه عند دخوله أراضي بلاد مابين النهرين فيعتقد بعض الباحثين أنه عبر نهر دجلة في منطقة بازبدا (جزيرة ابن عمر) ومنها توجه نحو سهل أربيل، حيث دارت المعركة المذكورة، وحل الأسكندر في أربيل أياما، ثم سار نحو بابل.

وبسقوط أربيل ودخول الأسكندر بابل انتهى حكم الفرس في العراق، إلاّ أن الأسكندر سار متعقباً دارا، فواصل في ملاحقته لجيوشه المنهزمة ليفوت عليهم الفرصة التجمع إلى أن تمكن من عبور جبال زاكروس حيث واصل فتوحاته في المقاطعات الشرقية. وتذكر المصادر بأن الاسكندر لم يصادف مقاومة من زعماء المقاطعات، بل كان منهم من رحب به واستقبله بالهدايا حتى توجه إلى العمق الإيراني واستولى على العاصمة القديمة والتاريخية (أكبتانا)، وعلى أثر ذلك دخلت معظم الأقاليم الإمبراطورية الأخمينية ضمن إمبراطورية الأسكندر بما فيها مناطق واسعة من كُردستان الجنوبية ومن ضمنها أربيل لتي سماها اليونانيون بـ(أربيلا) وظلت هذه التسمية في المصادر اليونانية والرومانية تطلق على أربيل لاحقا.

وهكذا وصل حكم الاغريق إلى الشرق، واستمرت فترة حكمهم نحو قرنين، تميزت هذه الفترة بخصائص حضارية جديدة نقلها المقدونيون واليونانيون إلى مناطق الشرق، وبسبب تفاعلهم مع التقاليد الحضارية في المنطقة فقد سادت فترة حضارية سميت بالحضارة الهلنيستية. بعد وفاة الأسكندر سنة ٣٢٣ ق.م. في بابل تولى إدارة إمبراطوريته أحد قواده وهو سلوقس الذي حكم إيران والعراق وسوريا. فاثر سقوط الإمبراطورية الآشورية سنة ٦١٢ ق.م. تعاقب على حكم أربيل الاغريق والفرثيون والارمن والرومان والساسانيون ثم العرب.

بمجيء الفرثيين (١٤٨ ق.م-٢٣٦م). وظهورهم على مسرح الأحداث في حدود ٢٥٠ ق.م. أشتهرت أربيل كونها ملتقى طرق القوافل، وازدهرت كأقليم مستقل في عهدهم ونالت قسطا كبيرا من التقدم وحظوة لدى الملوك الفرثيين، حتى أن الكثير منهم قد دفنوا فيها، ومن

أشـهـر ملوك الفرثـيين الذين حكمـوا أربيل هو (مـترداس الأول عام ١٣٩ ق.م.) وهناك ملوك تابعون للفرثيين حكموا في منطقة أربيل أشتهر منهم (أيزاط ونرسي وشــهــراط). والمعــروف عن الفــرثـيين أنهم من سكان (بارثيـا) في شـرق بـحـر قـزوين، بـرز دورهـم في العـراق وكُـردسـتـان في حدود (١٣٩ق.م-٢٢٦م).

صارت أربيل في العهد الفرثي عاصمة لمملكة عرفت باسم حدياب كما تعرف بـ(اديابين)، وحدياب كانت تطلق على الاقليم بين الزابين (اديابين) وهي مشتقة من زابين، وهذا الأقليم يطابق من الناحية الجغرافية الجزء الأكبر من بلاد آشور القديمة وأحيانا كانت تسمى بـ(أثوريا) أي بلاد آشور، والزاب في اللغة الارامية يلفظ بشكل (ذب). واتسع نفوذ المملكة، واكتسبت اهمية كبيرة بحكم العلاقات والمواصلات، فشملت أحيانا إلى الفرات غربا ونصيبين شمالا وارض نينوى ممتدة من الزاب الصغير إلى الخابور، ومن حدود ولاية "وان" واطراف اورمية شمالا إلى دجلة. واطلق البلدانيون العرب والمصادر العربية اسم (حزة) على أقليم حدياب.

من أهم آثار ومـخلفات الفرثيين في منطقة أربيل، المنحوتة الصـخرية الواقعـة إلى شـمال حـرير بمسافـة ٢كم في سـهل حـرير -باطاس، وهذه المنحـوتة منقـوشـة على وجـه الجـبل وعلى أرتفـاع نحـو ٥٠م والتي يبلغ طولهـا ٥،٢م، تتـضـمن المنحـوتة صـورة شـخص واقف يعـتـمـد قـبـعـة مخروطية الشكل ويلبس ثوبا طويلا على هيئة سروال وبجانبه رمح، وقد مـد ذراعـه اليـمنى إلى الأمـام. ومن آثار الفـرثيين الأخـرى التي وجـدت، مقبرة فرثية في تل (سعداوا) في منطقة شمامك المار ذكرها.

شـهـد أقليم حـدياب منازعـات وصـراعـات بين الفـرثيين والارمن، ومن جرائها غزت مملكة ارمينيا أقليم حدياب وسيطرت عليها ودام حكمها

زهاء عشر سنوات في عهد الملك الأرمني (تكران الأول) عام ٨٣ ق.م. ولكن الملوك الفرثيين تمكنوا من طرد الأرمن من حدياب بعد أن تحالفوا مع الرومان إلاّ ان هذا التحالف لم يدم طويلا إذ أخذ الرومان يطمعون في هذه المنطقة.

وفي سنة ٨٣ ق.م. غزا ملك ارمينيا (ديكران الثاني) سورية وشمال فلسطين وحدياب الا انه انسحب من سورية وفلسطين سنة ٦٩ ق.م. تحت ضغط الرومان، ومن حدياب سنة ٦٤ ق.م، وفي سنة ١١٥م احتلها ترايانوس (الرومان) لكنها عادت إلى الفرثيين بعد وفاته سنة ١١٧م.

كان العالم في المنطقة مقسوما بين قوتين عظيمتين: مملكة الرومان ومملكة الفرثيين. لذلك أصبحت أربيل مسرحا لحروب دامية بين القوتين وقام تراجان باحتلال مدينة أربيل في عام ١١٥م ومنها توجه إلى المدائن (طيسفون) جنوب بغداد، ويبدو أن الرومان في عهد أحد حكامهم اسمه (هدريان) تخلى عن أربيل وأقليم حدياب فترة من الزمن. غير ان الرومان استأنفوا هجماتهم على المنطقة في أواخر القرن الثاني للميلاد حيث احتل الإمبراطور (سبستيموس سويرس) أربيل ثانية وهكذا دارت الحروب الطاحنة بين الفرثيين والرومان.

لقد قاست أربيل كثيرا أيام حكم الرومان نذكر منها ما فعله الإمبراطور (كراكلا) حين غزا أربيل بعد حملته الناجحة على طيسفون في عام ٢١٦م وقام بتخريب المدينة ونبش قبور الملوك الفرثيين المدفونين في قلعة أربيل.

أما في العهد الساساني فقد قامت السلالة الفارسية الساسانية بقيادة (أردشير) في عام ٢٢٦م بطرد الرومان من أقليم حدياب وأربيل، ويبدو أن ازدهارا وانتعاشا ملحوظا شهدتها المنطقة في ظل الحكم الساساني

كما ضمت اليه الموصل والمدن المجاورة لها.

وأشتهرت أربيل بأنها موطن جماعة من الكتّاب النصارى، فألّف فيها أحدهم وهو (مشيحا زخا) كتابا يعرف بتاريخ أربيل باللغة السريانية، وقد عاش هذا الكاتب في منتصف القرن السادس الميلادي. وثمة شواهد تدل على وجود نوع من التسامح الديني في منطقة أربيل (أقليم حدياب) أبان هذه الفترة، اذ تؤكد المصادر القديمة والشواهد التاريخية على انتشار مراكز اسقفية نسطورية مهمة في هذه المنطقة قبل نهاية القرن الاول. وانتشارها في عهد المملكتين الرومانية والفرثية. وتتطرق المصادر إلى الاديرة التي انشئت في ابرشية حدياب بالقرب من الزاب غربي أربيل. فضلا عن ذلك فقد لاقت حدياب ابان الحكم الساساني الاضطهادات الرهيبة بما فيها الرهبان والديارات والمشاهير.

وبمجيء الإسلام سنة ٦٣٢م انهارت الدولة الساسانية وانتهى حكم الفرس في المنطقة.

# أربيل في العهد الهذباني

**الهذبانية:**

الهذبانية قبيلة كبيرة معروفة وعريقة، وكانت تقيم وتنتشر في أنحاء فسيحة من كُردستان، وبالإمكان القول ان مواطنها وأماكن إقامتها كانت تشمل أربيل وما حولها، اي في منطقة ما بين الزابين الأعلى والأسفل وهي مشاتيها، حوض نهر الخازر ومرج الموصل، ونواحي مراغة وتبريز وسلماس وأشنويه (شنو) وتبريز وأعمالها من إقليم آذربيجان، وهاجرت طوائف وبطون من الهذبانية شمالاً صوب أرمينيا وقفقاسيا في طلب المراعي والكلأ واستقر بها المقام في مدن وقرى متعددة، والرحالة منها المعروفة بالروند بمعنى المهاجر والرحل وصارت تعرف في المصادر العربية بالروادية.

دوّن المؤرخون بعد الإسلام اسم القبيلة بصياغة عربية (الهذبانية) دون أن يفسروا معناه ومفهومه، مما فسح المجال أمام المحدثين والمعاصرين للبحث عن إيجاد منشأ التسمية ومعناها، فالمستشرق مينورسكي يرى أنها من (حدياب) وهو الاسم القديم لبلاد أربيل في عهود ما قبل الإسلام، وقيل أنها من (هزبني-أزبَني) بمعنى (سيدي) في الكرمانجية الشمالية، أو من هيزان – الهيزانية، او من هوزبان – هوزَفان وتعني زعيم القبيلة وصاحبها، ويبقى التفسير الأخير الأقرب إلى الاسم الحقيقي للقبيلة، فهي كلمة كردية ذات معنى ومناسبة لتسمى قبيلة بها.

وأورد الامير عزالدين بن الامير أبي الهيجاء بن عيسى بن الامير خوشترين الهذباني (٦٢٠-٧٠٠هـ/ ١٢٢٣-١٣٠٠م) في تاريخه روايات جديدة عن امارة اسلافه بأربيل تخالف جزئياً ما ذكره ابن الأثير وابن المستوفي وسبط ابن الجوزي، ويأتي بمعلومات اضافية غير مذكورة عند غيره.

لاشك ان الهذبانية بهذا الحجم والانتشار، قد تشعبت بمرور الأيام والسنين إلى فروع وبطون وأفخاذ، ما بين كبيرة وصغيرة وما بين مستقرة وشبه مستقرة ورحالة، وكل ما عرف عن التفرعات الهذبانية هو اسم بطنين فقط: المارانية وهي مستقرة في المروج تحت الموصل والروادية، رحالة واستقرت أفخاذ منها وهي أشهر بطون الهذبانية.

أنجبت الهذبانية عددا لا حصر له من مشاهير الأعلام، سواء كان على الصعيد السياسي والعسكري، أو على الصعيد العلمي والمعرفي خلال العصور: العباسي والأيوبي والمملوكي، من الفقهاء والشعراء والادباء والخطباء ومن الامراء والقادة والإداريين وتحفل مصادر التأريخ السياسي وكتب الطبقات والتراجم والوفيات بأخبار العشرات منهم، كمحمود بن موسك من تلامذة الحافظ السلفي (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م) وحسام الدين أبي علي الهذباني الأمير الأول في دولة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل (٦٣٧- ٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م)، والشاعر جمال الدين بختيار الهذباني (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م).

والصوفي ناصرالدين محمد بن موسى الهذباني الموصلي (٧٧٧-٨٦٠هـ/ ١٣٧٥-١٤٥٦م)، ولد ونشأ بدمشق ودخل في سلك التصوف منذ صباه، وتلقى مبادئ التصوف من جده ابي بكر الموصلي وغيره ولبس الخرقة الخاصة برجال التصوف، وصنف ونظم في آداب

التصوف، وله كتاب (فتوح الوهاب ودلائل الطلاب إلى منازل الاحباب) (السخاوي، الضوء اللامع، ١٠/٦٥، هدية العارفين، ٢/٢٠٠) والعشرات غيرهم.

وأسس أمراء الهذبانية أمارة بقلعة أربيل وأطرافها.

**الإمارة الهذبانية:**

١- الأمير أبو الهيجاء الأول موسك (موسى-موصك) بن جكو-جكويه الهذباني:

إلى جانب السلالات الهذبانية الحاكمة باذربيجان وارمينيا (الشدادية في دبيل وكنجة والشدادية الثانية في آني والروادية في تبريز وهذبانية اورمية والاحمديلية)، أقام امراء الهذبانية إمارة اخرى بقلعة اربل وأطرافها لم تكن أقل شأناً من نظيراتها خلال النصف الثاني من القرن ٤هـ/١٠م، والأمير أبو الهيجاء موسك بن جكو - جكويه هو الاول من امرائها ممن لهم حضور في الاحداث وهو الأمير المؤسس فيما يبدو، وكل ما نعلمه عنه انه ارتبط بصلات حسنة وعلاقات حسن الجوار مع العقيليين العرب اصحاب الموصل وكان يدين لهم بالولاء وتزوج الأمير المقلد بن المسيب العقيلي (٣٨٦-٣٩١هـ/٩٩٦-١٠٠٠م) أخت أبي الهيجاء وهي والدة الأمير قرواش بن المقلد (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥/٢٦).

وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م استنجد جبرائيل بن محمد وهو من الرجالة الفرس بأبي الهيجاء الهذباني لاسترداد مدينة داقوقا العائدة له واجتمع معه ونجح الاثنان من الاستيلاء على المدينة وطردوا عمال فخرالدولة البويهي منها.

لا يمدنا المؤرخون بمعلومات إضافية تخص هذبانية اربل لمدة نصف قرن (٣٨٧-٤٣٧هـ)، ثم نقرأ في المصادر اسم:

٢- الأمير شرف الدين عيسى بن موسى -موسك الهذباني (؟- ٤٣٧هـ/١٠٤٥م):

توفي أبو الهيجاء موسك في تأريخ لم يثبته المؤرخون واختلف اولاده واولاد اخوته فيما بينهم حول تركة الاسلاف واحتكموا إلى العنف، فدب الفوضى والانشقاق في اوصال الإمارة الفتية، وحسم الصراع لصالح الأمير شرف الدين عيسى بن موسى، فاضطر اخوه سلار إلى ترك أربيل والإقامة عند ابن عمته الأمير قراوش بن المقلد العقيلي (٣٩١-٤٤٢هـ/ ١٠٠١-١٠٥٠م) أمير الموصل.

لم يضع ابتعاد سلار عن أربيل حداً للخلافات الداخلية بين افراد اسرة آل جكو، بل تفاقمت اكثر وشهر فيها السلاح، حيث انتهز اثنان من ابناء احد اخوان الأمير عيسى خروجه من القلعة للصيد، فوثبا عليه وقتلاه واحتلا مقر الإمارة بالقلعة، الأمر الذي استغله الأمير قرواش العقيلي الذي كان يطمح بدوره في ان يكون له شأن في التحكم بامارة اخواله والقول الفصل في اختيار من يتولاها، فسارع بالذهاب إلى أربيل واخذ معه سلار ونصبه أميراً.

٣- الأمير سلار بن موسى (٤٣٧-٤٣٨هـ/ ١٠٤٥-١٠٤٦م):

عرف الأمير سلار بضعف الشخصية وسوء السياسة، فلم يتمكن من تبني سياسة واضحة تجاه خصومه والاحتفاظ بالإمارة رغم دعم الأمارة العقيلية المباشر له. فلم يتمكن من الاحتفاظ بالأمارة لاكثر من سنة حتى عزله عنها ابن عمه ابوالحسن علي بن موسك.

٤- الأمير ابوالحسن علي بن موسك (٤٣٨-٤٤٠هـ/١٠٤٦-١٠٤٨م):

لم يضبط ابن الأثير الذي ينفرد بنقل اخبار الإمارة الهذبانية من مصادر مفقودة، أسماء وكنى أمراء الهذبانية، فجاء اسم الأمير موسك مثلاً في مروياته بثلاث صيغ (موصك، موسك، موسى) ويسميهم بأسمائهم مرات وبكناهم مرات أخرى، كما لا يميزّ ابن ابي الهيجاء بين ابي علي الحسن وابي الحسن علي وهما من أبناء أبي الهيجاء الأول ونعلم ان احد أبنائه هو الحسن كني بأبي علي.

تواصل مسلسل النزاعات والخلافات الداخلية بين أفراد الأسرة الهذبانية الحاكمة بأربيل واطاح بالامير ابي الحسن علي، فلم ينعم بالسلطة طويلا، بعد فشله في مواجهة التحالف الحميدي الهذباني الذي تشكل بهدف الاطاحة به وإخراج إمارة أربيل من تبعية العقيليين والحد من نفوذهم الواسع على مقدراتها وتدخلهم السافر في شؤونها الداخلية، حيث عمل الأمير أبو الحسن بن عيسكان الحميدي أمير بلاد (العقر والشوش) على دعم وتأييد أبي علي الحسن بن موسك منافس أخيه ابي الحسن الموالي للعقيليين على الإمارة وشجعه على انتزا ع أربيل من يده، فوجد أبو علي الفرصة المناسبة لتحقيق ما يصبو اليه في غياب الأمير قرواش العقيلي عن الموصل وانشغاله بأمور أخرى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م فاستولى على أربيل مدعوماً من الأمير أبي الحسن الحميدي وأودع اخاه ابا الحسن في السجن، ولم يرضخ أبو علي الهذباني وأبو الحسن الحميدي للإجراءات التي اتخذها الأمير قرواش العقيلي والاساليب التي اتبعها بغية استعادة أربيل (الكامل، ٤٩/٨).

٥- الامير ابوعلي الحسن بن موسك(٤٤٠-بعد٤٥٦هـ١٠٤٨/-١٠٦٣م):

إحتفظ الأمير ابو علي الحسن الهذباني بأربيل إلى ما بعد سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م، وشهدت علاقاته بالعقيليين تحسناً ملموساً، حيث استجاب الأمير قراوش بن بدران العقيلي (٤٤٣-٤٥٣هـ/ ١٠٥١-١٠٦١م) لخطابه وفك الحصار عن قلعة الموصل بعد حصار دام أربعة اشهر.

ومن أهم إنجازات الأمير ابوعلي الحسن الاستقلال عن العقيليين واستحصال قبول ورضا الخليفة العباسي والسلطنة السلجوقية بإمارته والاعتراف بشرعيتها، ففي سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م قصد بغداد برفقة جاره وحليفه الأمير أبي الحسن بن عيسكان الحميدي ودخلا ديوان الخلافة لنيل موافقة الخليفة العباسي فـ"خلع عليهما الفرجيات المذهبات والعمائم".

٦- الامير ابو الهيجاء الثاني الحسين بن ابي علي الحسن بن ابي الهيجاء الاول موسك بن جكو الهذباني:

لا نعلم متى تولى الأمير أبو الهيجاء إمارة أربيل خلف والده، فالمصادر لم تؤرخ لهذبانيي أربيل لمدة تقترب من نصف قرن ولا شك أن ذلك حدث خلال سنوات (٤٥٧-٤٧٧هـ/ ١٠٦٤-١٠٨٤م).

وثبت ابن الشعار (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إسم وكنية أبي الهيجاء على النحو التالي: (أبو الهيجاء الحسين بن الحسن بن موسى بن جكو الهذباني) (قلائد الجمان، ٦/٤٠)، أما ابن المستوفي فلم يدع مجالاً للشك في كون أبي الهيجاء الثاني الحسين هو حفيد أبي الهيجاء الأول موسى - موسك من ابنه أبي علي الحسن، حيث أخرج اسمه الثلاثي ولقبه وكنيته من الوثائق المحررة في عهده.

إلتحق ابو الهيجاء الهذباني في بداية نشأته السياسية بخدمة السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) واصبح خلفاً لوالده وابقى السلطان السلجوقي الامارة بيده، وكل ما يعرف عنه خلال تلك المدة هو ان السلطان ملكشاه بعثه رسولاً إلى الامير منصور بن نظام الدين نصر بن نصرالدولة احمد بن مروان الكردي (٤٧٢-٤٧٨هـ/ ١٠٧٩-١٠٨٥م) صاحب دياربكر ليقبض منه مبلغ ثلاثين ألف دينار الذي طالبه منه السلطان، وقد روى ابو الهيجاء لابنه فضل كيف ان الامير المرواني استقبله بحفاوة بالغة كما ذكر ما قدمه له من خدمات باعتباره رسول السلطان وكيف تماطل في احضار المبلغ حتى يبتعد ملكشاه بجيوشه الجرارة عن دياربكر ويجنب بذلك بلاده من شر السلاجقة (اسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، ص٨٩-٩٠).

ومع اطلالة القرن ٦هـ/١٢م غدا ابو الهيجاء الهذباني الحاكم الفعلي لاربل وامارتها وتمتع باستقلال اكثر على اثر انحلال السلاجقة والانقسامات الداخلية التي ادت إلى اضعاف الدولة السلجوقية وتفككها، وصار من اعظم أمراء الكرد.

ومن ألقابه الفخرية «عزالدين، شهاب الدولة، ممهد الإسلام، تاج الملوك».

ومدحه شاعر يدعى مسهر بقصيدة، جاء فيها:

حسبي بفضلي ثروة وذخيرة أن عز ما بين الورى الإثراء
وتمسكي بولاء أروع ماجد سمحت به أيامنا البخلاء

ملك على الغلات عز بنعته الدين الحنيف وذلت الأعداء
وتهدمت عن عزمه وحسامه في المعضلات الدولة الغراء

نظمت له عقد البناء صنائع شرفت نفائس ذرها النعماء

فافخر فمن إحسانك البيض الصبي والجرد والزينة السمراء

ومن اعتزامك مؤيل سكنت به للامتا ع القلعة الشماء

في حمى إزائه اختتمت بفنائها للأقدار وهي قضاء

كأن قصر عن قصر فعله بالركب لو ظفرت بها الدماء

شهدت بصحة ملكه وعلائه آي الكتاب وعزة قعساء

نسب أصالته السيل خصارم عبق البناء بذكرهم كرماء

قوم بهم زرق الأسنة والظبى في السلم والحرب العوان رواء

وفي سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، كتب ابو الهيجاء إلى جكرمش امير الموصل يبلغه باستيلاء جاولي سقاو – الذي قلده السلطان محمد الموصل واعمالها – على بلدة البوازيج وتقدمه نحو أربيل، وامد جكرمش بقوات يقودها اولاده لمواجهة جاولي سقاو واشتبك جكرمش وجاولي سقاو عند قرية باكلبا القريبة من أربيل، وأسفر الاشتباك عن أسر جكرمش واولاد ابي الهيجاء الهذباني.

كما شارك ابو الهيجاء بقواته مع السلطان محمد السلجوقي في الحملة التي استهدفت الموصل واعمالها سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م لاستردادها وابعاد جاولي سقاو منها.

وكان ايضاً ضمن الأمراء واصحاب الاطراف الذين اجتمعوا بسنجار سنة ٥٠٥هـ/١١١١م بامر السلطان محمد السلجوقي لقتال الصليبيين، وقد كتب السلطان محمد إلى ابي الهيجاء يطلب منه الالتحاق بالجيش السلطاني الذي تجهز للمسير إلى بلاد الشام، فتحركت القوات المحتشدة

صوب المعاقل الصليبية وحاصرت الرها وتل باشر ومواقع أخرى وفتحت حصون عديدة خاضعة للصليبيين في منطقة الجزيرة.

آثر ابو الهيجاء الهذباني في اواخر عهده البقاء في خدمة الخلافة العباسية وسلم شؤون أربيل والامارة الهذبانية إلى ابنيه فضل وابي علي حسبما يفهم من روايات ابن الأثير، وانتهز احد زعماء البابكرية – وهو ابن اخ الامير بابكر بن ميكائيل – غياب ابي الهيجاء وانتزع مدينة أربيل من يد ابنيه سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م وبقيت المدينة بحوزة البابكرية إلى ان تولى عزالدين مسعود بن آقسنقر البرسقي ولاية الموصل سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، فقبض عن بابكر بن ميكائيل وطلب منه ان يجبر ابن اخيه على تسليم أربيل إلى اصحابها.

وفي سنتي ٥٢٠-٥٢١هـ/ ١١٢٦-١١٢٧م نشب خلاف وتنافر بين الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطان محمود السلجوقي (٥١١-٥٢٥هـ/ ١١١٧-١١٣١م) بسبب النزاع بين يرنقش الزكوي مسؤول شحنة (شرطة) بغداد للسلطان ونواب الخليفة، فسار السلطان بعساكره إلى بغداد لتفادي الأزمة وقتال جيش الخليفة المرابط بالجانب الشرقي من دجلة، أما الخليفة فأمر بحفر الخنادق لحفظ العاصمة من الأتراك السلاجقة، ووقعت الإشتباكات بين الطرفين ورجحت كفة الميزان لصالح الخليفة وعزم عسكره على أن يكبسوا عساكر السلطان، وكاد أن يفلحوا لولا قيام أبي الهيجاء الهذباني بالخروج من صف عسكر الخليفة كأنه يريد المنازلة، ومن ثم الإلتحاق بالعسكر السلطاني.

**نهضة أربيل الثقافية والعمرانية في العهد الهذباني:**

ويمكن القول أن نهضة أربيل الثقافية والعمرانية خلال القرن ٦هـ/١٢م التي تعزى إلى الأتابكة بدأت في الواقع منذ العهد الهذباني وبلغت اوجها في العهد الاتابكي، فتم تشييد المنشآت الثقافية والعلمية والمعالم العمرانية من الأسواق والدكاكين ودور الحديث ومحال نسخ الكتب، ورصد المؤرخ الاربلي ابن المستوفي جانباً من هذه النهضة وصور لنا بعض أوجه النشاط العمراني والحركة التجارية، كما يطلعنا على العديد من الكتب والوثائق والحواشي والتعليقات التي ألفت أو نسخت بأربيل خلال حكم الأمير أبي الهيجاء الهذباني للمدينة.

ولم تعد أربيل في عهده تلك المدينة الخاملة التي تضاءل شأنها حتى ألحقت إدارياً بولاية (شادفيروز) أي حلوان منذ العهد الساساني وخلال القرون الإسلامية الأولى (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨)، فتحولت إلى مدينة حيوية عامرة مفعمة بالنشاط والحركة، وأضحت مركزاً علمياً ومعرفيا يستقطب ارباب الاقلام وملتقىً ثقافيا لتجمع طلبة العلم من الانحاء المجاورة كأشنوية – شنو والكرخيني – كركوك وبلد الزرزارية وحبتون وغيرها "تاريخ اربل، ١/٧٠، ٢٧١-٢٧٥"، كالفقيه الشافعي ابو بكر محمد بن ابراهيم بن الحسين الاشنوي الذي هاجر إلى أربيل وعمل خطيباً بإحدى قراها واشتغل بالحديث وترك آثارا كتابية وقف عليها ابن المستوفي ونسخ بخطه كتاب (التذكرة) في الفقه الشافعي لشيخه ابي الفضل عبدالعزيز بن علي الاشنهي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م) وفرغ من تحريره سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م.

وتخطت شهرة أربيل حدود البلاد الكردية إلى الاقاليم المجاورة واشتهرت على نطاق المشرق الإسلامي، فقصدها الفقهاء والشعراء

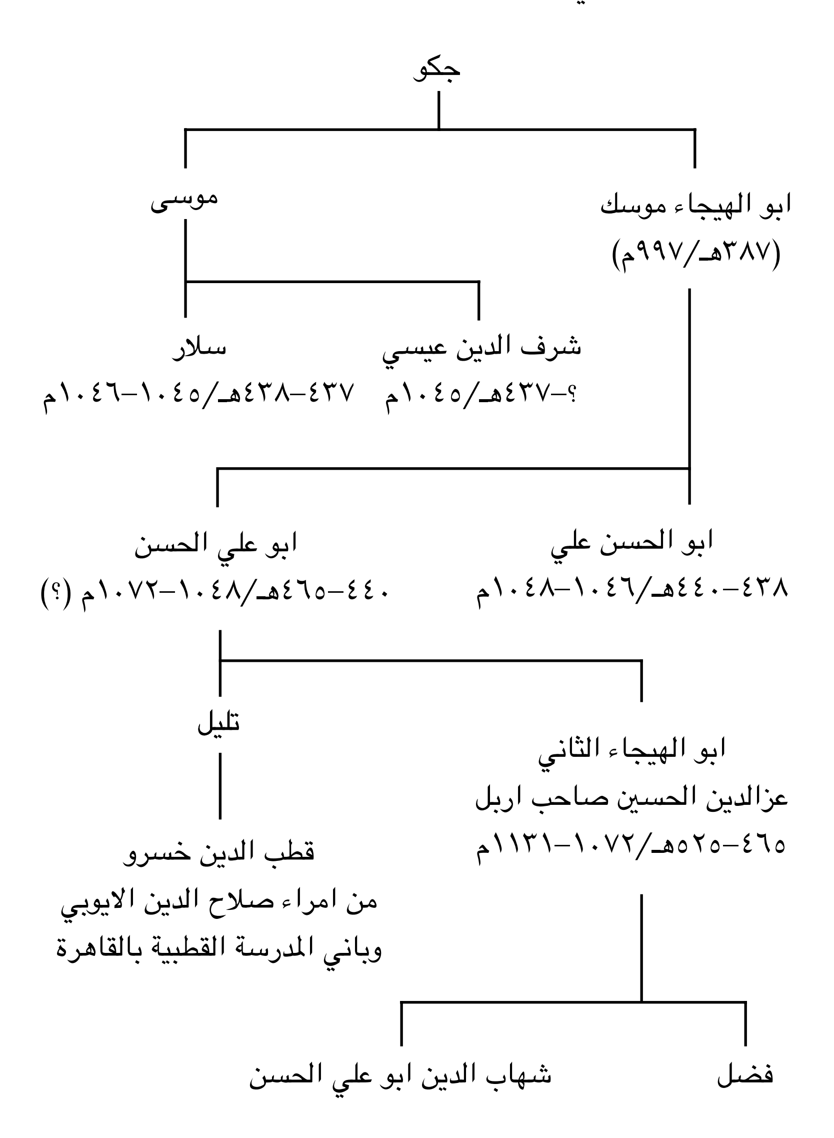
والادباء والوعاظ والتجار وارباب المهن والحرف.

ومن الوافدين إلى أربيل ايام الامير ابي الهيجاء الهذباني الطغرائي الشاعر، مؤيدالدين الحسين بن علي الاصفهاني (ت٥١٥هـ/١١٢١م) (وفيات الأعيان، ١٨٩/٢) وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) اخو الامام الغزالي، وكان يعقد مجالس الوعظ بقلعة أربيل.

حدد ابن ابي الهيجاء وفاة الامير ابي الهيجاء الهذباني بيوم السبت/١٦جمادى الآخرة سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، وهو تاريخ غير صحيح على مايظهر، فمن المحقق ان ابا الهيجاء الهذباني كان حياً حتى شهر شعبان سنة ٥٢٥هـ/ آب١١٣١م وهو الحاكم الفعلي بأربيل، حيث اطلع ابن المستوفي على شهادة القاضي ابي بكر محمد بن القاسم بن المظفر الشهرزوري (٤٥٣-٥٣٨هـ/١٠٦١-١١٤٣م) على تقرير قرره ابو الهيجاء لرجل نصراني من اهل أربيل، وقد نسخ القاضي الشهرزوري نص الشهادة بخطه وجاء فيه "حضرت مجلس الامير عزالدين ممهد الدولة، ابي الهيجاء الحسين بن الحسن بن موسى الهذباني - أدام الله إقداره-... وكتب محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفر الشهزوري في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وخمسمائة - آب ١١٣١م".

وعلى الرغم من الزوال الفعلي للامارة الهذبانية واحتلال أربيل من قبل الاتراك الأتابكة، فان أبناء الامير ابو الهيجاء كان لهم قسطا من السلطة والنفوذ بالمدينة حتى اواسط القرن ٦هـ/١٢م (كتاب الاعتبار، ص٨٩-٩٠).

- آل جكو الهذباني اصحاب أربيل:



# أربيل في العهد الأتابكي

كانت بداية تأسيس الامارات الاتابكية من الموصل، حيث استطاع الأتابك عمادالدين زنكي ابن قسيم الدولة آق سُنقر تثبيت أقدام سلطته في الموصل بمعونة مجموعة من الرجال الاكفاء في المجال العسكري والإداري. ولكن عماد زنكي وضع في حسبانه إحتمال تعرّض إمارته الفتية إلى هجوم منافسيه، أو خصومه، أو قيام قوى أخرى بالهجوم على الموصل، فبادر بتنظيم هجمات على أطرافها بالاستيلاء على القلاع الكردية التى تحيط باقليم الموصل أو القريبة منها. وكانت أربيل ضمن مخططاته التالية.

وعن استيلاء عمادالدين زنكي على أربيل هناك روايتان إحداهما ذكرها عبدالرحمن بن اسماعيل المعروف ب (ابو شامه) وغيره الذي يعلن ان هذا حدث سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م. في حين ذكر جمال الدين محمد (ابن واصل) ان فتح أربيل وضمها إلى دولة عمادالدين زنكي قد تمّ في سنة ٥٢٦هـ/١١٢١م، وكان هذان المؤرخان غير معاصرين للحدث، في حين لم يذكر ذلك مؤرخ معاصر أو مؤرخ معني بتاريخ أربيل بشكل مباشر، مثل المستوفي وابن الشعار أو ابن خلكان الأربلي، وكذلك إبن الأثير القريب من ساحة الاحداث، رغم انه تحدّث عن سنوات فتوح عمادالدين زنكي لمدن وقلاع كردستان الأخرى مثل قلاع الكرد الحميدية في عقرة وشوش وشهرزور وداقوق.

وكانت تبعّية أربيل يومئذ للسلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه، ويحكمها نائب له، وقد اعتصم في قلعة المدينة مع مقاتليه، لكن حدثت مساومة بين الطرفين، فتم تسليم المدينة إلى عمادالدين زنكي الذي أقطعها مع مدن أخرى إلى مساعِدهِ زين الدين علي بن بكتكين، ولهذا أعتبر هذا مؤسساً لأتابكية أربيل، إلا أنه بقي في الموصل، وصار يرسل نوّاباً عنه لحكم أربيل باسمه، وأبرزهم سرفتكين بن عبدالله ومجاهدالدين قايماز. ثم غادر الموصل قبل موته في أربيل بمدة قصيرة، وكان ذلك في أواخر سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م، ودفن في المقبرة التي تنسب إلى ولده مظفرالدين كوكبوري خطأ.

من أعمال النائب الاول سرفتكين تشييده لاول مدرسة مستقلة عن الجامع، وكان ذلك في القلعة وسميت بمدرسة القلعة، كما أنشأ مساجد في أربيل وقراها، ثم بنى مشاريع خيرية خارج الامارة. وظل الرجل يحكم أربيل طيلة حياته إلى وفاته سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م. عندها فوّض الأمير زين الدين علي حكم أربيل إلى نائبه الثاني مجاهدالدين قايماز. كان هذا النائب أتابك (مربّي) أولاد زين الدين علي في أربيل، ثم اوكل اليه أمر المدينة، وكان حاكما امتاز باقامة مشاريع نافعة فيها، فعمّر المدينة وأنشأ فيها مدرسة عرفت باسمه، وكذلك أقام فيها خانقاها. واصل قايماز حكم أربيل حتى وفاة سيده زين الدين علي، فترك المدينة وعاد إلى الموصل فيما بعد.

عندها حكمها ابن زين الدين علي المعروف مظفرالدين كوكبوري. الا أن خلافاً حدث بين هذا وبين مجاهدالدين قايماز، فغادر كوكبوري أربيل، والتجأ إلى صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي الروادي الذي عرف بصلاح الدين الأيوبي، فمنحه حكم الرها وحران وبلدات أخرى صغيرة.

اما أربيل فصار يحكمها يوسف ينالتكين ابن زين علي (الثاني) اخو كوكبوري من سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م، إلى وفاته ٥٨٦هـ/١١٩٠م في مدينة الناصرة بفلسطين اثناء حصار مدينة عكا الشهير خلال الحروب الصليبية بقياده صلاح الدين يوسف.

اثر وفاة الرجل وافق صلاح الدين على عودة صهره كوكبوري إلى أربيل وأضاف منطقة شهرزور إلى امارة أربيل بمنشور رسمي معروف اضافة إلى مناطق كردية أخرى، بينها معايش بيت القرابلي في الكرخيني (كركوك). وكان السلطان كوكبوري أحد أبطال الحروب الصليبية سواء في معركة حطين الشهيرة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أو في حصار عكا الطويل، وحسب إجماع مؤرخي الفترة.

## أربيل في عصرها الذهبي

ما أن بدأ حكم (الملك المعظم مظفرالدين كوكبوري) أربيل الا وبدأ عصر جديد في تاريخها العريق، لم يضاهه اي عصر سابق أو لاحق، ولهذا لم يكن عبثاً أن وصف المستشرق (م. سترك) في دائرة المعارف الإسلاميه The Islamic Encyclopedea، عصره بالعصر الذهبي، واضافة إلى هذ المستشرق فقد كتب آخرون عن تاريخ هذه الفترة في المرجع نفسه وهم كل من (هـ. فوش Fuche .H) و (كلود كاهين Claude Cahen) و (هـ. هـ. هوارث H.H. Howorth) وغيرهم، كتبوا ليس عن مواقفه وبسالته فحسب، بل عن عمران المدينة وتوسّعها، وإقامة سور حول قلعتها الهرمة، كما بنى المدارس العديدة التي أقامها لتدريس شتى علوم ومعارف ذلك الزمن، اضافة إلى صفات البسالة والكرم والتديّن. فلولا كرمه وتدينه لما استحدث الاحتفال بالمولد النبوي كل عام، وصرف مبالغ طائلة على هذه

المناسبة التي كان يدعو إليها الفقهاء، والقراء ورجال التصوف والحديث والشعراء من ارجاء العالم الإسلامي بما فيه الاندلس وبلاد المغرب ومصر والشام والجزيرة وبغداد وبلاد فارس وغيرها، حتى ان ابن دحية عمر بن الحسن الاندلسي ألّف كتاباً سماه (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) أهداه إلى كوكبوري لما رآه مغرماً إلى هذا الحد بإقامة تلك الاحتفالات المهيبة التي انفردت بها أربيل، وقبض المؤلف ألف دينار هدية من كوكبوري ولقدومه من بلاد بعيدة، وقد سمع ابن خلكان الكردي الأربيلي بنفسه قراءة المؤلف لكتابه.

كما ظهر في أربيل ما يسمّى فن المخايلة أو الخيال (القراقوز)، وكانت هذه المدينة رائدة في ظهور هذا الفن فيها.

وبلغت المدينة ذروة عمرانها وانتعاشها، بسبب استتباب الأمن، وحرص الحاكم على حياة الناس، حتى انه بنى ملاجئ للأيتام والمعوزين والأطفال الرضّع الذين يتمّ التقاطهم من الطرقات، كما أمر ببناء مآوٍ للأرامل والعجزة والمصابين بأمراض مزمنة. اضافة إلى بناء الجامع الكبير الذي إعتلته المئذنة الرائعة وسمي بجامع السلطان مظفرالدين، ولم يبق حالياً من مرفقات هذا الجامع سوى المئذنة التى صارت تسمّى بمئذنة البراري ((جولي)) لأن المدينة أصابها الضمور، بسبب فقدان الأمن وضعف مصادر الرزق، وبقيت المئذنة شاهدة على مدى توسع المدينة، لأنّ المسجد الجامع لا يشيّد – عادة – إلا في مكان آهل بالسكان.

كما ان سوق القيصرية (البازار المغلق) شيّدت في عهده سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م، وقد ذكر مؤرخ أربيل الشهير المستوفي اسم مهندس السوق وهو (العدل بن صدقة) وذكر المبلغ الذي قبضه من كوكبوري

عربوناً لبناء السوق، إضافة إلى انه شيّد اربع خانقاهات في مدينته، وخصصها لذوي الحاجات الخاصة، ومنهم المرضى المزمنون والمقعدون وذوي العاهات والعميان، وداراً للضيوف الذين يفدون أربيل ولا سيما في موسم الاحتفالات بالمولد النبوي التي إنفردت هذه المدينة باقامتها – كما قلنا – "بعدا احتفالات القاهرة الفاطمية" حسب بعض المصادر.

هذا وبلغت أعمال هذا الملك شأواً بعيداً خارج أربيل، سواء في ايصال الماء إلى جبل عرفات، بحفر آبار عديدة في الحجاز، أو إقامة إشارات في طريق الحج. وبهذا الصدد ذكر محمد كرد علي ان مظفرالدين كوكبوري كان من اولئك الرجال المحسنين من الملوك وأهل الخير، وانه تفنّن في أعمال البر والاحسان، وأقام من المشاريع ما يشبه من اكثر وجوهه مصانع الغربيين اليوم. كما انه اوعز إلى بناء خانقاه في حلب، وجامع في دمشق، واوصل اليه الماء من نهر بَرَدى، كما أقام في الموصل داراً للحديث عرفت باسمه.

توفي مظفرالدين كوكبوري في أربيل سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، ونقلت رفاته في موسم الحج لدفنها في جبل عرفات. حسب وصيّته، ولكن هذا لم يحصل بسبب صعوبة وضع حجاج أربيل، فتقرّر دفنه في الكوفة (النجف الاشرف). وهناك رواية فريدة تعلن ان رفاته تم نقلها فيما بعد إلى مكة.

انتقل حكم أربيل إلى الخليفة العباسي، ودام هذا الحكم قرابة ربع قرن، انتهى باستيلاء المغول عليها في السنة نفسها التي سقطت فيها بغداد بأيدى هؤلاء القادمين من جوف الصحراء، وكانت أربيل المدينة الوحيدة التي قاومت بضراوة هجمات هؤلاء اكثر من مرة، أخطرها كان سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، بقيادة بجتكاي، لكنهم لم يستطيعوا البقاء في

المدينة، بعد أن تركوها كجوف حمار. وأخيراً سقطت بشكل مفجع في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م في حملة ضخمة بقيادة ارقيونويان، بعد أن خارت مقاومة حاكمها ابن الصلايا محمد بن نصر بن يحيى الشريف الهاشمي العلوي. وسلّم هذا نفسه لارقيونويان فأرسله هذا إلى هولاكو في تبريز فقتله. وقد قدّم بدرالدين لؤلؤ حاكم الموصل مساعداته للمغول في إحتلال أربيل، وقدّم لهم المشورة والتخطيط.

# أربيل في عهد الدولتين
# الإيلخانية والجلائرية المغوليتين

## أولاً/ المغول وبروز خطرهم على المشرق الإسلامي:

كان قيام إمبراطورية المغول بزعامة جنكيزخان بأواسط آسيا بداية القرن السابع الهجري، ونجاحه العظيم في توحيد القبائل المغولية المتفرقة بين هضبة منغولية وصحراء جوبي والمتناحرة فيما بينها، بداية للانقضاض على الصين والاستيلاء على عاصمتها بكين سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م تلك القوة العظمى التي طالما كانت سياستها مجحفة اتجاه القبائل المغولية المجاورة لها، ومن ثم توجهت الانظار صوب الحدود الغربية نحو الدولة الخوارزمية المتاخمة التي لم تصمد كثيراً امام زحف المغول الهائج والمفاجئ، فاقتحموا مدنها العامرة من بخارى إلى سمرقند الواحدة تلو الأخرى اعتبارا من سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م وإلى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م وهي سنة مقتل آخر سلاطين الخوارزمية السلطان جلال الدين منكبرتي والجدير بالذكر أن والده السلطان محمد خوارزم شاه فارق الحياة سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ألما وحسرة على ما آلت اليه دولته إبان اجتياح المغول لها وتوفي في جزيرة سربنجاته النائية التي لجأ اليها برفقة ولديه وعدد من اتباعه المقربين هربا من بطش المغول.

لقد ترتب على السقوط السهل للدولة الخوارزمية نتائج مؤثرة أعطت

المغول الثقة بصورة اكبر والرغبة بالاندفاع والتوسع اكثر باتجاه غرب دولتهم لتحقيق مكاسب اوسع واعظم، فاخذت أنظارهم ترنو نحو مدن وقلاع بلاد إيران ودولة الخلافة العباسية وكُردستان، وبالاخص مدن اقليم الجزيرة في وقت مبكر، وحرصت على جس نبض قوة الخلافة وجمع المعلومات اللازمة حول نقاط القوة والضعف واستكشاف الطرق المؤدية اليها ووضع الخطط ورسم الخرائط اللازمة وفق تلك المعلومات، ثم القيام بالحملات العسكرية السريعة والتي اتخذت طابع الغارات المفاجئة ذات الغرض الاستكشافي، وكذلك إنشاء نظام تجسس وبث العيون وكان هذا ضمن ستراتيجيات المغول في سبيل تحقيق اهدافهم الآنية أو رسم سياستهم المستقبلية.

وكانت أربيل ضمن تلك الاهداف التي اولتها قيادات المغول اهتماما مثيرا للعجب، ترافق مع محاولاتهم الاولى لاختراق اقليمي الجزيرة وشهرزور من حيث محاولة استكشاف طرقها لمعرفة قوة دفاعاتها ورد الفعل، وكان اول اقتراب لقوة مغولية من أربيل في عهد السلطان مظفرالدين سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م تلاه تهديد آخر لقوة مغولية اجتازت طريق شهرزور نحو كركوك وأربيل كوكبوري سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، الا ان الرد السريع من قبل هذا السطان واجراءات الخلافة الاحترازية اضطرت تلك القوة على الانسحاب دون ان تتمكن من الدنو من المدينة أو تحقيق اي إنجاز يذكر، سوى الاستكشاف وجمع المعلومات واثارة الاضطراب في المنطقة والتي انتفع منها المغول كثيرا في كيفية وضع وصياغة خطتهم المستقبلية للغزو والتوسع، وبذلك نجد ان وفاة الخان جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٨م وانتخاب ابنه اوكتاي من قبل مجلس المغولي الاعلى (القوريلتاي) كخان جديد لامبرطورية المغول، لم يكن له

ذلك التأثير على تغيير سياسة المغول التوسعية لانهم كانوا قد رسموا ستراتيجية واضحة ومحددة طويلة الامد ساروا عليها وانتهجوها في سبيل تقوية وتوسيع إمبراطوريتهم الناشئة بقوة وسرعة مذهلتين.

١- أربيل وهجوم المغول سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م:

لقد تقدمت قوة مغولية نحو امارة أربيل عن طريق شهرزور في ربيع سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م لكن حامية المدينة باشراف الأمير جمال الدين الانباري علمت بالامر عن طريق الجواسيس واستعدت لمجابهتهم، فانسحب المغول بعد مواجهة قصيرة وعنيفة مع حامية المدينة. إلا انهم لم ييأسوا بل أعدوا أنفسهم لحملة أوسع لاحتلال أربيل.

وكانت هذه الحملة الكبيرة مؤلفة من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة الأمير المغولي (بجكتاي) ومصحوبة بالخيول وادوات القتال والحصار المختلفة والثقيلة وفي مقدمتها المجانيق، ووصلت مشارف أربيل بداية صيف سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م وتمكنت من اجتياز السور الخارجي واجتياح ربض المدينة وسط حالة هلع سيطرت على سكان المدينة وذهول القائمين على ادارتها وفي مقدمتهم الأمير بن باتكين حاكم أربيل آنذاك، والذين لم يتوقعوا ان تكون بتلك الضخامة، فتمكن بذلك المغول من السيطرة على ربض المدينة خلال ايام واخذوا يعدون العدة لمحاصرة القلعة التي لجأ اليها الأهالي وحامية المدينة وقادتها واميرها، واخذ المغول يشددون الحصار على القلعة التي اغلقت ابوابها بوجههم وقاومتهم فدكوا جدرانها بالمجانيق دون فائدة مرجوة، الا ان الحصار نتجت عنه آثار كارثية على الاهالي والمتحصنيين في القلعة من شدة الحر خاصة وان الحملة كانت بداية صيف تلك السنة، ونفاذ المؤن وانتشار الاوبئة بسبب تكدس جثث القتلى دون وجود فسحة أو مكان لدفن كل تلك الاعداد فيها، وقد استمر

الحصار اكثر من شهر اضطر معه امير أربيل بن باتكين إلى ان يجنح إلى فكرة عرض الصلح على قادة المغول بان يعطيهم مبلغا جزيلا من المال مقابل اقناعهم بالانسحاب وفك الحصار عن القلعة.

قبل المغول العرض وقد تملكهم اليأس بعد حصار دام نحو أربعين يوما ولا سيما وقد ابتعدوا عن ثكناتهم ومراكز امدادهم بهمذان، وكذلك فان الانباء التي وردت من بغداد تفيد بان جيش الخلافة الذي استنفر بقيادة الأمير شرف الدين اقبال الشرابي يتقدم نحو أربيل لمقارعة المغول، فاضطر هؤلاء إلى رفع الحصار وانسحبوا منها في منتصف صيف ذلك العام دون ان يتمكنوا من تحقيق هدفهم الرئيسي باجتياحها واقتحام قلعتها كما كانوا يطمحون.

٢- أربيل وصمودها بوجه الحملة المغولية الكبرى ٦٥٦هـ-١٢٥٨م/٦٥٧-١٢٥٩م:

إنّ تولّي منكوخان حفيد جنكيزخان حكم إمبراطورية المغول بعد وفاة كيوك خان سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، والذي اهتم بأمر الغزو والتوسع وتمجيد إنجازات خانات المغول، وكان ذلك واضحاً من وصيته إلى اخيه الاصغر هذا، إذ منح الفرصة المناسبة بل والتاريخية لبروز قدرات اخيه هولاكو على الصعيدين السياسي والعسكري.

فقد كلف هولاكو بقيادة القوات للغزو والقتال على الجبهة الغربية للمغول للسيطرة على بلاد إيران واذربيجان ولرستان ودولة الخلافة العباسية ومن ثم دياربكر وبلاد الشام ومصر وصولا إلى بلاد المغرب كما جاء في امر التكليف الخطي من منكوخان إلى اخيه هولاكو سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م.

فشرع بتنفيذ اوامر اخيه الخان على افضل وجه حيث يذكر ان الاستعداد استغرق سنتين وضعت تحت امرته نحو مائتي ألف جندي اضافة إلى انواع الأسلحة ومستلزمات الحرب، وبدأ هولاكو حملته بغزو كرمان ومازندران وسجستان خلال سنوات ٦٥٠هـ-٦٥٣هـ/ ١٢٥٢م-١٢٥٥م ثم اذربيجان وبلاد إيران وحاصر قلاع الاسماعيلية بشدة بجبال قهستان ومرتفعات أخرى، ولم يمنحهم اي فرصة للنجاة وقضى عليهم قضاءً مبرما خلال سنتي ٦٥٤هـ-٦٥٥هـ/ ١٢٥٦م- ١٢٥٧م مخربا قلاعهم وحمل آخر زعمائهم على الاستسلام وهو ركن الدين خورشاه الذي لاقى حتفه بعد ذلك، ليجد نفسه بمواجهة دولة الخلافة العباسية ومناطق اذربيجان وكُردستان متخذا من مدينة همذان مقرا لسلطته وقيادة جيشه الجرار. وتمكن من الانقضاض على بغداد بمكر وقسوة واجتاحت قواته اسوارها خلال ثلاثة اسابيع فقط وتم القضاء على سلطة الخلافة نهائيا وقتل آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله مع ولديه في ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م بأمر من هولاكو خان واضعا بذلك اولى اسس دولته في العراق العباسي.

لقد اخذت وتيرة الاحداث تتسارع في المنطقة، وكانت الشحنة المعنوية الكبيرة التي حصدها هولاكو وجنوده قد جعلتهم يتحفزون بصورة متزايدة إلى المزيد من الانتصارات، فأمر هولاكو فرقة من جيشه بقيادة أرقيونويان كي يتوجه من فوره إلى أربيل للاستيلاء عليها وضمها لسلطته، (ونويان لقب أو رتبة عسكرية عليا عند المغول وتشير في معناها ان حامل هذا اللقب هو أمير عشرة آلاف جندي).

وصلت قوات المغول مشارف المدينة منتصف سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وحين علم امير أربيل تاج الدين ابن صلايا الشريف العلوي وسكانها

بقدوم قوات المغول تركوا ربض المدينة ولجأوا إلى قلعتها لحماية انفسهم من خطر المغول وينتظروا انجلاء الامور المشوشة آنذاك، فوصلت القوات المغولية إلى مشارف أربيل وسيطرت على ربض المدينة خلال الاسابيع الاولى مجتازة السور النصف دائري الذي كان يحيط بالربض، ولم يتمكنوا من الاقتراب من قلعتها بسبب المقاومة الشجاعة والنادرة التي اظهرها ابناء المدينة، فكانت التحصينات العديدة والقوية المضروبة حول القلعة، اضافة إلى الخندق العميق الذي تم حفره في عهد كوكبوري الذي مثل أحد الخطوط الدفاعية الرئيسة لحماية القلعة اضافة إلى سور القلعة السميك والمرتفع وكان يتخلل ذلك السور ابراج دفاعية كما ورد ذكره في المصادر التاريخية وحامية المدينة وقد توزعت على تلك الابراج وبدأت بمجابهة العدو بشراسة، لم يتمكن المغول أزاءها من الاقتراب من القلعة باي شكل من الاشكال، فاضطروا إلى ضرب معسكرهم في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة بامر من ارقيونويان، واخذت خيمهم وثكناتهم تنتشر حول القلعة واتخاذ اجراءات لحصارها ونصب المجانيق حولها والتضييق على من بها كي يضطروا إلى التخلي عن نهج الدفاع وتبني نهج الاستسلام، وفعلا نجحوا مع امير أربيل تاج الدين بن صلايا الذي لم يكن مقتنعا بنجاح سياسة الدفاع ومجابهة المغول وجدواها بعد سقوط بغداد عاصمة دولة الخلافة، لذلك رغب في النزول من القلعة لغرض التفاوض مع قيادة المغول المحاصرة لها.

وكان هذا الحاكم يرمي من وراء ذلك إلى تحقيق أمرين: اولهما ان يجنب مدينته واهلها ذلك المصير الاسود الذي لاقته مدن أخرى من اصفهان إلى بغداد على ايدي هؤلاء من قتل وتشريد ودمار، وثانيهما ان يتمكن من نيل رضا المغول بان يسمحوا له بحكمها باسمهم ويحافظ

بذلك على سلطته وحكمه على أربيل، ولا شك ان ابن صلايا كان محقا في سياسته تلك، فطلب ارقيونويان منه ان يثبت حسن نواياه وصدق مقاله بحمل مقاتليه على الاستسلام وفتح ابواب القلعة امام قواته بدون قيد أو شرط، والذي لم يتمكن من تحقيق طلبهم التعجيزي فما كان منه الا تسليم نفسه إلى ارقيونويان فارسله بدوره إلى هولاكو بمراغة كي يقرر مصيره، والذي قرر اعدامه برميه من اعلى جبل مراغة سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٦٩م.

ان الدفاع عن المدينة والقلعة استمر واخذ اسلوب المطاولة الحربية، فاتخذ اهالي أربيل المدافعون عن قلعتها نهج المبادرة والهجوم المباغت على القوات المحاصرة منتفعين من فصل الشتاء وبرودته وطول الليل الذي أضطر المغول معه إلى اشعال النيران بمعسكراتهم وثكناتهم المنتشرة حول المدينة وقلعتها الذي ساعد على كشف مواقعهم بسهولة ومن ثم استهدافها عن طريق التسلل من القلعة متخفين عن انظار المغول المحاصرين، فتمكن المدافعون المحاصرون الوصول إلى ثكنات لجيش المغول بعينها، وشنوا هجوما مباغتا وتمكنوا من انزال خسائر كبيرة بقواتهم، ويذكر مؤرخ من البلاط المغولي بوضوح ان المتحصنين بقلعة أربيل تمكنوا من شن عدة هجمات على قوات المغول خلال فترة الحصار، وانهم تمنكوا من قتل العديد من جنود المغول واحراق عدد من مجانيقهم الكبيرة اثناء تلك الهجمات المباغتة والمؤثرة والتي دلت على شجاعة اهالي أربيل المرابطين بالقلعة ورباطة جأشهم في ظل تلك الظروف الصعبة والخطيرة.

إنّ تلك الهجمات الذكية والشجاعة وما ترتب عليها من خسائر زعزعت ثقة المغول بانفسهم وبنتيجة حصارهم الذي طال اشهرا عديدة، فارسل

القائد ارقيونويان إلى قائده الاعلى هولاكوخان عارضا عليه الاوضاع الخطيرة التي تواجه المغول في أربيل وان الدفاع المستميت عن القلعة وهجمات المدافعين المباغتة قد اعيتهم وكبدتهم خسائر كبيرة على الصعيدين المعنوي والمادي، مطالبا بالمدد ووضع الحلول لمعالجة ذلك، فما كان من هولاكوخان الذي اعيته الحيلة ايضا، الا ان يرسل إلى الأمير بدرالدين لؤلؤ حاكم الموصل طالبا منه المشورة حول حصار أربيل، فابدى الأمير بدرالدين رأيه بان يتولى هو امر حصار قلعتها المستعصية عليهم، وضمان تسليمها للمغول على ان يتولى هو حكمها بعد ذلك، وبذلك جدد بدرالدين لؤلؤ سوء نيته واطماعه السابقة في السيطرة على أربيل منذ عهد السلطان مظفرالدين كوكبوري الذي كان ألد اعدائه.

لقد عرف بدرالدين لؤلؤ بحنكته اضافة إلى معرفته بجغرافية المنطقة وطبيعتها فارتأى المطاولة بالحصار والتحضير لهجوم كاسح بعد حلول فصل الصيف إلى ان تنتهي اقواتهم ويحتاجون إلى كميات اوفر من الماء وتنتشر بينهم الاوبئة وبذلك تضعف معنوياتهم وتخر قواهم فيضطرون إلى التسليم، وبالفعل فقد تمكنت القوات المغولية المرابطة من الاقتراب من سورها والشروع بهدمه باشراف بدرالدين لؤلؤ ومن ثم اقتحام أبواب القلعة والصعود اليها والسيطرة عليها بشكل مباشر وانهاء جميع المظاهر العسكرية فيها، وبذلك سقطت قلعة أربيل في صيف سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م سقوطا مشرفا، ووقعت تحت سيطرة المغول، وإثر ذلك نزح عنها الكثير من سكانها نتيجة ذلك.

وقد خلد التاريخ دور المدينة المشرف ودور ابنائها الشجعان الذين انبروا للدفاع عنها بكل قوة وعزم متجاوزين الكثير من المصاعب ومواجهين للمهالك مسطرين بذلك ملحمة تاريخية فريدة من نوعها، وكانت

أربيل بقلعتها الشامخة المدينة الاولى التي وقفت بوجه المغول وتحدت جبروتهم وطغيانهم ولفترة طويلة من الزمن قاربت السنة، وذا ع صيت المدينة في ارجاء العالم الإسلامي وعلى مر التاريخ بانها كاسرة المغول.

٣- إدارة أربيل وأوضاعها السياسية في العهد الايلخاني:

لقد بادر الحكام الايلخانيون منذ قيام دولتهم في عهد هولاكوخان إلى انتهاج سياسة مركزية في إدارة البلاد وتعيين الحكام على الولايات والمدن والقلاع بصورة مباشرة من قبلهم، ويذكر انه في نهاية سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٩٥م تمكن الأمير الكردي شرف الدين الكلالي حاكم اشنة من الحصول على فرمان من هولاكوخان لحكم أربيل وانتزاعها من نواب بدرالدين لؤلؤ حاكم الموصل وأربيل آنذاك، لكن حكم الأمير الكلالي على أربيل لم يدم طويلا اذ سرعان ما وقع ضحية لمكيدة من قبل بعض الحاسدين الذين وصلوا إلى حضرة هولاكوخان بمراغة واخبروه بنية هذا الأمير الكردي بالانفصال عن حكم الايلخانيين والاستقلال عنهم بدعم من السلطة المملوكية بمصر التي اوقعت بالمغول هزيمة ساحقة بموقعة عين جالوت في تلك الفترة ومنعتهم من السيطرة على بلاد الشام ومصر والتقدم نحو الشمال الافريقي.ان الأمير الكلالي لاقى مصيرا سيئا اذ قتل بمكيدة من المغول، عندها هجر الكثير من الأمراء الكلاليون المناطق الممتدة بين أربيل واشنة لاجئين إلى دولة المماليك معادين المغول الذين غدروا باميرهم السالف الذكر.

عيّن المغول الكاتب مجدالدين ابن هذيل الواسطي حاكما على أربيل سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ويبدو ان اختيار هذا الرجل كان له أسبابه فقد جاء في وقت كان المغول يواجهون ثورة الموصل التي قرر حاكمها الملك الصالح ابن بدرالدين لؤلؤ الاتصال بالمماليك ومحاولة ضم الموصل

لحكمهم، وبذلك استشاط هولاكوخان غضبا بعد ان علم بذلك عن طريق احد قواده الفارين من الموصل إلى أربيل فارسل قوات كبيرة بقيادة القائد (صنداغونويان) لاجتياح الموصل ومعاقبة حاكمها المذكور الذي لقي حتفه، وبذلك كان المغول بحاجة إلى حاكم هزيل ومخلص لهم، كي لا ينتهج سياسة معادية لهم باي شكل من الاشكال ويؤمّنوا بذلك استقرار حكمهم بأربيل واقليم الجزيرة.

وبالنسبة للأوضاع السياسية بأربيل فقد سادها الاضطراب وعدم الاستقرار بسبب ذلك التنافس والعداء الذي اخذ يستفحل بين دولة المماليك بقيادة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من جهة، والدولة الايلخانية من جهة أخرى، بعد موقعة عين جالوت وانكسار جيش المغول سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، واضحت أربيل بموقعها الجغرافي المتميز بالنسبة للدولتين احد أسباب ذلك التنافس العدائي، وقد حاول المماليك اكثر من مرة ضم أربيل لسلطتهم وانتزاعها من سلطة المغول لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك وزادوا من توتر الأوضاع في المنطقة، كما ان قرارات الإدارة الايلخانية المتشنجة في كثير من الاحيان ازاء كيفية إدارة المدن والاقاليم ومنها أربيل التي كانت من المدن التي عانت من مسألة تغيير حكامها المفاجئ في كثير من الاحيان والذي كان يتم بسبب وشاية أو تهمة صحيحة أو ملفقة تصل إلى مسامع الخان الايلخاني من جانب مراقبيه وعيونه أو من جانب بعض الأمراء المغتاظين والحاسدين لحكام أربيل أو المدن الأخرى، فوشاية أو تهمة واحدة كانت كفيلة كما يبدو باقناع الخان بعزل حاكم أو امير وحتى معاقبته وتنصيب اخر مكانه مباشرة، وهذا ما حصل مع مسعود البرقوطي حاكم أربيل في عهد اباقاخان الذي واجه وشاية من حاكم الموصل المعزول رضي الدين بابا، فنجح في الحصول على فرمان من الخان (اباقا) بعزله وسجنه وان يتولى هو حكم أربيل

مكانه بل ويجمع معه حكم الموصل، ومضت اكثر من خمس سنوات قبل ان تتكشف الحقيقة وان ما قيل عن البرقوطي كان مجرد وشاية لا اساس لها، فواجه رضي الدين هذه المرة مصير البرقوطي الذي اطلق سراحه واعيد إلى منصبه كحاكم على أربيل من قبل الخان (اباقا) نفسه سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٦م ولمدة تجاوزت الثلاث سنوات، لكن البرقوطي واجه غضبا شعبيا من قبل اهالي أربيل والمناطق المجاورة بسبب سياسته السيئة التي ادت بالتالي إلى قيام معارضة شعبية واسعة لاستمرار حكمه على أربيل فاضطر في النهاية إلى ان يغادرها متخفيا ليلا نهاية سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٧٩م كما وصلت توجيهات من صاحب ممالك المغول بالقبض عليه لكنه تمكن من الهروب والتخفي.

لم يمضِ الكثير على تلك الاحداث حتى وافت المنية الخان الايلخاني الاعظم (أباقا) نهاية سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م واضحى اخوه الأمير (تكودار) خانا للدولة الايلخانية، وقد بدأ حكمه بحدث عظيم وهو اعتناقه دين الإسلام والتخلي طواعية عن دين المغول ومعتقداتهم الوثنية، وتسمى باسم احمد.

لقد اثر التغيير بأرفع المستويات في ايدلوجية الحكم على النواحي السياسية والإدارية على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي شهد عهد هذا الخان تغيرات إدارية متعددة شملت أربيل ايضا، حيث تولى امر حكمها الأمير (بهاءالدين الكردي) بعد ان كان يتولاها حكام مسيحيون على الغالب في العهد السابق. وعلى الصعيد الخارجي ادى إلى تغير جوهري في سياسة المغول العدائية تجاه دولة المماليك واعلان الهدنة بينهما والاتفاق على كيفية حكم المناطق المتاخمة لحدود الدولتين منها الموصل التي منح حكمها بموجب اتفاق الدولتين للامير

عــلاءالدين بن بدرالدين لؤلؤ، وبذلك انفــصلت إدارة الموصل عن إدارة أربيل آنذاك بصورة نهائية، لكن ذلك التغير لم يستمر ولم تأت ثماره اذ سرعان ما تمكن الأمير المغولي الوثني (أرغون) احد احفاد هولاكوخان من الوصول إلى سدة حكم الدولة الايلخانية في انقلاب مفاجئ قاده الأمراء والقادة الوثنيون الذين أغاظهم إسلام خانهم فازاحوه عن الحكم، لقد ادى ذلك إلى تزعزع امن اقليم الجزيرة وذلك بفعل فسخ الهدنة وتجدد العمليات العدائية بين الدولتين من جديد، وتعرضت أربيل إلى غارتين مفاجئتين قادمتين من حدود بلاد الشام (حدود الدولة المملوكية) سنَتي ٦٨٤هـ و٦٨٥هـ/ ١٢٨٥ و١٢٨٦م وصل خلالها المغيرون إلى اطراف هذه المدينة وضواحيها ودخلوا عنكاوة واحدثوا فيها خرابا وسلبا ونهبا، واضطر سكانها إلى الفرار واللجوء مع امير أربيل آنذاك الأمير بهاءالدين إلى القلعة، ولم يتمكن الأمير المذكور من مجابهة المغيرين وحماية أربيل والقرى المحيطة بها إذ كانت الغارة شرسة ومفاجئة ولم يمتلك الأمير بهاءالدين القوات الكافية لغرض القتال والمجابهة لذا آثر الانسحاب وحث الاهالي إلى الصعود إلى القلعة والتحصن فيها وانتظار وصول الامدادات وهذا ما حصل فعلا. ازاء عدم استقرار الأوضا ع السياسية والصرا ع المرير بين المغول الايلخانيين والدولة المملوكية.

تعاقب على حكم أربيل آنذاك أميران كرديان اولهما الأمير (ابوبكر الهكاري) الذي كان احد الخارجين على السلطة الايلخانية في وقت سابق ولكنه دخل في سلطة الدولة الايلخانية وتم إرضاؤه بمنحه حكم أربيل الذي لم يدم طويلا حيث حل محله الأمير المازنجاني الكبير (مبارزالدين كَك) الذي علا شانه وتوسعت سلطته وقوى نفوذه باقليمى اذربيجان والجزيرة فمنحه المغول (بايزة) وهي اعلى درجات التكريم التي

تمنح للأمراء من قبل المغول الذين منحوه وفق ذلك حكم أربيل بصورة شبه مستقلة ولكن السياسات المتعنتة للخان الجديد أرغون وصاحب ممالكه الأمير (بوغا) ووزيره اليهودي (سعدالدولة) أدى بهم إلى تضييق الخناق على الأمير مبارزالدين بأربيل بل ومحاولة الايقاع به بالقبض عليه على حين غفلة والذي فطن اليه الأمير الكردي في الوقت المناسب فغادر أربيل على وجه السرعة متجها إلى الجبال وذلك اواخر سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م.

٤- أربيل وثورة القياجيين:

تعد هذه الثورة إحدى اهم الحركات المعارضة لسلطة المغول وسياساتهم التعسفية ازاء المناطق الخاضعة لسلطتهم وفي مقدمتها أربيل واعمالها الممتدة من قلعة خفتيان الجبلية إلى تخوم شهرزور في المناطق السهلية، كما تكمن أهميتها إلى انها انتزعت اقليما مهما من قبضة المغول وهو اقليم أربيل ولفترة طويلة تعدت الثلاث عشرة سنة من سنة ٦٩٧هـ-١٢٩٧م إلى ٧١٠هـ- ١٣١٠م كما انها اظهرت حجم المعارضة لسلطة المغول بصورة علنية وواسعة النطاق.

بدأت االثورة عندما نزح القياجيون أي (سكنة الجبال وقاطعي الاحجار، كما تعني التسمية) من جبال أربيل نحو سهلها خارجين عن طاعة المغول ومعارضين لسلطتهم، وتمكنوا من الوصول إلى قلعة المدينة التي وجدوا في سكانها مناصرين لهم فتحصنوا فيها وأعلنوا عصياناً مسلحا على سلطة المغول المركزية ذلك العصيان الذي تحول إلى ثورة متقدة سنوات طويلة لم يتمكن خلالها المغول من القضاء عليها وانهاء امرها الا بعد جهد جهيد.

تحصن الثوار في القلعة معتمدين على استجابة الاهالي ولا سيما المسيحيون منهم بنسبة اكبر لانهم كانوا مغتاضين من سياسات الخان المغولي الجديد الذي أشهر إسلامه وتسمى (بغازان خان) سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م وكان مقر كرسي جاثليقهم الشتوي بينما كان مقر كرسيه الاول أو الصيفي بمراغة باقليم اذربيجان، قاد القياجيين الثائرين امير كردي هو (زين الدين بالو) وقد نزح من الجبال مع مقاتلين آخرين اضافة إلى اهالي أربيل المنضمين اليهم، وقد اعلنوا الخروج عن سلطة الدولة الايلخانية بكل جرأة وما ان سمع قادة المغول النبأ إلا وتحركوا لقمع الحركة، فارسل غازان خان من فوره برسالة عاجلة إلى الأمير (سوتاي) قائد جيوش المغول باقليم دياربكر طالبا منه التحرك على الفور على رأس قواته لمجابهة حركة القياجيين بقلعة أربيل والعمل على القضاء عليها، وبالفعل تحرك الأمير يصحبه ابنه الأمير (طوغاي) نحو أربيل ووصل اليها خلال ثلاثة أسابيع واخذ بمحاصرة القلعة من بعيد حيث لم يتمكن من الاقتراب منها لاقتحامها وذلك لمتانة أسوارها وعلو أبراجها ووجود خندق يحيط بها، اضافة إلى شراسة المقاتلين الثائرين على المغول والمتحصنين فيها، وقدرتهم على المقاومة والمطاولة والصمود لفترة طويلة، لذلك جابه الأمير المغولي سوتاي مقاومة عنيفة لم يتمكن خلالها من الاقدام على اي خطوة عسكرية تذكر سوى فرض حصار عسكري على القلعة من بعيد كي تبقى قواته في مأمن من عواقب الحصار الطويل الامد، والذي ادى إلى انهاك قواته وبالتالي طلب من الخان غازان الانسحاب متوجها بالتالي إلى مركز قيادته باقليم دياربكر تاركا امر أربيل وامر إدارة الحصار المضروب من بعيد على قلعة أربيل لابنه الأمير (طوغاي).

لقد استمرت ثورة القياجيين بقلعة أربيل فترة طويلة امتدت لثلاث عشرة سنة كاملة تمكن خلالها مقاتلو القياجية واهالي أربيل المتضامنين معهم الصمود بوجه حصار المغول وصد هجماتهم المتتابعة، ويذكر ان الجاثليق الاعظم للدولة الايلخانية (ماريهبالاها) كان موجودا بكرسيه بالقلعة وكان مؤلفا من بناء حصين، وقد حاول جاهدا اكثر من مرة التوفيق بين مطالب الثوار ومطالب المغول، وارسل مبعوثه الخاص إلى الأردو اي معسكر المغول الاعلى، ولكن دون جدوى تذكر، حتى ان الخان غازان أيس من امر القضاء عليها، وفعلا وافته المنية والثورة ما زالت متقدة بوجه سلطته سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، ليحل محله في منصب خانية المغول الأمير المغولي المميز (اولجايتو خدابنده) الذي شعر بمخاطر استمرار ثورة القياجية وخروجهم على سلطة المغول وتحديهم لها، تلك الثورة التي طال أمدها، فاخذ يفكر بطريقة لوضع حد لها، وبما ان الخان المغولي اولجايتو اعتنق المذهب الشيعي كما تروي المصادر منذ سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م، وكان يرتاد مجالسه اعيان واشراف العلويين ومنهم الأمير عمادالدين ناصر الشريف العلوي واخوته، الذي كلفه الخان المغولي في إحدى الجلسات المبادرة بتحمل المسؤولية على عاتقه في مسألة احتواء امر ثورة أربيل مقابل ان يمنحه الخان الايلخاني ثقته ويمده بقوته ويسند اليه حكم أربيل كاقطاع مقابل نجاحه في القضاء على القياجيين والثوار الارابلة المتحصنين بقلعتها طيلة تلك السنوات دون ان يتملكهم الخوف أو الياس، او يدب الوهن والضعف في نفوسهم والذين اثبتوا بحق انهم ابطال شجعان.

لقد وصل الأمير عمادالدين الدلقندي يصحبه اخوه على راس قوة كبيرة انضمت اليها قوات دياربكر المرابطة بأربيل اصلا من اجل احتواء

حركة القياجية بقيادة الأمير (طوغاي)، وبذلك فقد تجمعت قوات مغولية كبيرة اخذت تعد العدة لاجتياح أربيل واقتحام قلعتها الصامدة بوجه التسلط والطغيان المغولي، فشرعوا في سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م بوضع خطة محكمة من اجل الوصول إلى القلعة باشراف الأمير الدلقندي الذي وجه احد أمراء جيشه وهو (صادق بك) ببناء أبراج خشبية عالية من اجل ان يتمكن مقاتلوه من التسلق إلى أسوار القلعة وجدرانها بصورة سريعة وآمنة، وبالفعل فقد كان لتلك الأبراج واستخدامها في معركة اقتحام القلعة فعلها في تمكين قوات المغول بعد حصار طويل ومرير دام نحو ثلاث عشرة سنة من اقتحام القلعة ويقضوا بالقوة على الثائرين فيها سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م والذين قاوموا هجوم المغول الكاسح بداية الامر وتمكنوا من احراق بعض تلك الأبراج ولكن الغلبة في النهاية كانت للقوات المغولية الكبيرة والمدججة بالأسلحة المتنوعة، وهكذا وقعت أربيل بقعلتها الحصينة من جديد تحت سيطرة المغول المباشرة واخذ يحكمها الأمير عمادالدين الدلقندي باسم الخان (اولجايتو خدابندة) الذي ارسل بعد فتح أربيل مائتين من قواته الخاصة المعروفين باسم (الفرسان الخراسانية) كي يرابطوا بقلعة أربيل على الدوام ويصدوا اي محاولة للثورة أو العصيان ضد السلطة قد تنشب فيها من جديد، لاهميتها بالنسبة لضمان وديمومة سيادة المغول الايلخانيين على الامارة والمنطقة عموما.

**ثانيا: أربيل وقيام الدولة الجلائرية:**

كان انتهاء حكم الايلخانيين بمثابة امر واقع في ظل الضعف الذي انتاب نهج حكمهم وادارتهم للمدن والاقاليم، وبروز اطماع قوى بارزة من اسر مغولية أخرى انضوت تحت حكم الايلخانيين في بادئ الامر، وقاتلت

تحت امرتهم وشكلت إحدى ركائز دولتهم، ولكنها اخذت تشعر باحقيتها في الاستقلال أو بالأحرى في تولي حكم البلاد عوضا عن الايلخانيين الذين ضعفت شوكتهم وضاعت هيبة دولتهم على اثر وفاة آخر الخانات العظام (ابوسعيد خربندة) سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م، فأخذت تلك الاسر أو بالاحرى القبائل المغولية تتصارع فيما بينها من اجل الاستحواذ على السلطة والنفوذ وفي مقدمتها قبائل الاويرات والجلائرية والجوبانية لتشهد الفترة التي اعقبت وفاة ابي سعد الايلخاني صراعات حادة ولنحو عقد من الزمان إلى ان تمكن الجلائريون برئاسة كبيرهم الشيخ حسن الجلائري من ان يسيطروا على الأوضاع ويبطشوا باعدائهم ومنافسيهم ويهيمنوا بذلك على ممتلكات الدولة الايلخانية التي قتل آخر خاناتها الأمير (أرباخان) غير المعترف بسلطانه في خضم تلك المعارك الدموية، وبذلك صفت الأوضاع للشيخ حسن الجلائري ومهدت بالتالي لقيام سلطة جديدة وعهد جديد عرف بالعهد الجلائري نسبة إلى لقب الاسرة التي تنتمي إلى قبيلة (اولدوز) المغولية وتولت رئاسة وحكم الدولة بعد ازاحة منافسهم الأخير والقوي الأمير الجوباني والسيطرة على تبريز، وبالتدريج على معظم ممتلكات الدولة الايلخانية الزائلة وكان ذلك سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.

كان حكام أربيل من بيت الدلقندي واستمروا على حكمها بصيغة وراثية مستندين في ذلك إلى فرمان سابق من الخان (اولجايتو) الذي منح حكم أربيل كاقطاع شبه مستقل لاميرهم الشريف العلوي عمادالدين الدلقندي، فتمكنوا من الحفاظ على سلطانهم على أربيل في تلك الفترة العصيبة بسبب ذكائهم السياسي ونهجهم الحيادي ازاء معظم تلك الاحداث التي عصفت بالمنطقة إبان سقوط الدولة الايلخانية، وحينما

لاحت في الافق قوة الجلائريين وامكانية استحواذهم على السلطة اعلن حاكم أربيل الأمير ولاءه للشيخ حسن الجلائري، بل وارسل بعد جلوسه على عرش الدولة الجديدة بتبريز معلنا انه سيحكم أربيل باسم الدولة الجلائرية ملتزما باستتباب الامن والسلم فيها.

ورغم نجاة أربيل المدينة من الآثار المباشرة لتلك الصراعات الدموية الا ان بعض القلاع التابعة لها بحكم مواقعها الجغرافية شهدت آثار تلك المعارك بين الاسر المغولية المتنافسة للوصول إلى حكم الدولة ومنها قلعة خفتيان في الشمال الشرقي من أربيل حيث لجأ اليها سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م اكثر من الف مقاتل من اتباع الاويرات بعد اندحارهم في معركة فاصلة قرب مدينة (أطاغ) مع الجلائريين وتحصنوا فيها املا في النجاة من المصير المحتوم. وكذلك تضررت القرى المحيطة بأربيل من المعارك المحتدمة بين الجلائريين والجوبانيين طيلة عقد من الزمن.

لقد أضحت أربيل تحت حكم اميرها (علاءالدين الدلقندي) الذي تولى حكم الامارة بعد وفاة عمه الأمير (عمادالدين الدلقندي) جزءً من ممتلكات الدولة الجلائرية، وسكت النقود فيها باسم السلطان الجلائري سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م وان كانت تلك التبعية اسمية، فحكم الامارة وكيفية إدارة شؤونها كان ضمن سلطة اسرة الدلقندي الحاكمة بأربيل والتي جدد السلاطين الجلائرية ثقتهم بأمراء تلك الاسرة الحاكمة بشكل واضح وصريح آنذاك، والذين التزموا على الدوام بدفع ضريبة سنوية إلى خزينة السلطان الجلائري القائمة ببغداد أو تبريز.

١- أوضاع أربيل في عهد الدولة الجلائرية:

حافظت أربيل على استقرار نسبي بفضل حصافة حكامها من آل الدلقندي واهلها، الا انها تأثرت بالأوضاع المضطربة التي سادت المنطقة

ومعظم ارجاء الدولة الايلخانية بسبب انعدام الامن والاستقرار على الصعيد العام، واخذت مدن المنطقة وقلاعها تشهد غارات متتابعة، ومن اخطر تلك الغارات التي تعرضت لها أربيل الهجوم المفاجئ الذي شنه المقاتلون النازحون من الجبال بقيادة الأمير (سرونشاه) والذي يرجح بانه أحد الأمراء الكرد الجبليين الناقمين على السلطة الجلائرية وأمراء أربيل من آل الدلقندي، وكان هجوم سرونشاه ومقاتليه مباغتا بحيث لم يسع امير المدينة (محمد بن يحي الدلقندي) الا التحصن بالقلعة ومجابهة الغارة المفاجئة، الامر الذي اضطر سرونشاه ومقاتليه إلى الانسحاب بعدما سيطروا على اجزاء من ربض المدينة اياما معدودة وحاصروا القلعة فترة وجيزة، وأثناء انسحاب سرونشاه تم القبض عليه بتهمة الاخلال بامن الدولة الجلائرية ومدنها.

أدى اضطراب الأوضاع وتوالي الغارات سواء من جهة الجبال أو من حدود الدولة المملوكية في الشام ومصر، والذي انهك قوى حكام الدلقندي واضعف سلطتهم وبالتالي هيأ الفرصة لاسرة حاكمة أخرى حلت محلهم في حكم أربيل في العقد الأخير من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، هذه الاسرة هي من الاسر المغولية العريقة والتي انضمت إلى قوات جنكيرخان وهجرت مناطق سكناها الاصلية باواسط اسيا في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وأبلت بلاءً حسنا في خدمة الدولة الايلخانية واضحت إحدى ركائزها بل وكانت إحدى الاطراف الرئيسة المنافسة على السلطة بعد زوال الدولة الايلخانية وهم (الأويرات) الذين كان لهم باع طويل في شؤون الحرب والحكم في ظل الدولة الايلخانية ثم الجلائرية وقد تمكن كبير الاويرات الشيخ علي الاويراتي من ان يتخذ من أربيل مركزا لحكمه وسلطته خلفا لحكم الدلقندي الذي دام واستمر عقودا عدة، وبحكم كون حاكم أربيل هو كبير

قبيلة الاويرات المغولية العظيمة فقد توسعت سلطته الإدارية لتشمل مناطق كركوك وداقوق إلى تخوم شهرزور اضافة إلى قلاعها الجبلية والتي اشارت اليها المصادر ذات العلاقة بكل وضوح.

٢- اجتياح تيمورلنك للدولة الجلائرية ووصوله إلى أربيل:

تعرضت أربيل إبان حكم الأويرات إلى الاكتساح الخطير القادم من الشرق هو الأخر بقيادة احد اشهر القادة المحاربين في التاريخ وهو تيمورلنك، وقد اتجه بجيش كبير من بلاد ما وراء النهر سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م ليجتاح في وقت قصير اقاليم كبيرة من خراسان إلى مازندران وصولا إلى اذربيجان ولورستان إلى إيران، ويقيم المذابح في حق المدن العامرة التي اغلقت أبوابها بوجهه وصدته، مثل مدينة اصفهان، ويهدم القلاع التي وقفت ضده مثل قلعة تكريت وغيرها من القلاع وينزل الهزيمة الساحقة في القوات التي قاتلته ليسميه البعض (بفاتح الشرق)، نظرا لما حصده من انتصارات متوالية خلال حملاته الثلاث والتي لم يتمكن خلالها حاكم الدولة الجلائرية وسلطانها احمد الجلائري الا الفرار من وجه قواته من تبريز إلى بغداد ثم نحو العثمانيين والمماليك كي يحتمي بهم بعدما اجتاحت قوات تيمورلنك مدن العراق ووصلت بغداد وحاصرتها اشد حصار قبل ان تجتاحها خلال وقت قصير وبصورة مفاجئة سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م بقيادة ابنه الأمير (ميرانشاه).

وبالنسبة لأربيل التي توترت أوضاعها بسبب توتر الأوضاع السياسية بصورة عامة وتلاشي حكم الجلائريين بصورة مؤقتة وهروب سلطانهم، فان الشيخ علي الاويراتي الذي اتسمت سياسته بالحكمة والحصافة في التعامل مع الوضع القائم خاصة بعد تمكن قوات تيمورلنك السيطرة على قلعة تكريت ودكها واعدام واليها الذي قاوم تيمورلنك، فلم يجد كبير

الاويرات ازاء قـوة تيـمـورلنك وسطوته الا اخـتـيـار الدخـول في سلطتـه طوعا، وارسل مع واليه على داقوق الأمير (قزل علي الاويراتي) الهدايا الثمينة إلى تيمورلنك وهو في كركوك مرفقة برسالة تعلن خضوعه لحكمه كحاكم لأربيل ومناطق أخرى متاخمة ودعوته لزيارتها باعتبارها مركز حكمه وسلطانه في المنطقة وبذلك تمكن من ان يحافظ على سلطته وان يجنب أربيل مخاطر مواجهة الحرب والحصار الذي طالما عانت منه إبان تلك الحقبة.

فغادر تيمورلنك كركوك مع جزء من قواته المنتخبة وبموكب مهيب، وتوجه نحو أربيل اواخر شتاء سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م عابرا جسر التون كوبري، ومع ذيوع خبر قدومه إلى المدينة اخذ الاهالي بالتقاطر لمشاهدة القائد العظيم الذي طرقت انتصاراته وإنجازاته العسكرية مسامعهم، وهيأ الشيخ علي الاويراتي حاكم أربيل مراسيم الضيافة والاستقبال بابهى صورها والتي تليق بمرتبة قائد كبير، واستقبل افضل استقبال على الصعيدين الرسمي والشعبي ثم صعد إلى القلعة بمراسيم خاصة ليكون في ضيافة الشيخ علي الاويراتي بمقر حكمه ودار ضيافته بها.

ومع دخول المدينة في طوع تيمورلنك وضمن نطاق سلطته طوعا والتي اضحت جزءاً من ممتلكاته ومنطقة نفوذه، ارتأى تيمورلنك ان يصحب الشيخ علي الاويراتي معه في حملته على دياربكر وبلاد الشام آنذاك، مستعينا به وبقواته المرابطة بأربيل في مواجهة المصاعب التي كانت ستواجهه بتلك المناطق، وبالفعل خرج حاكم أربيل مع القائد تيمورلنك نحو الموصل ثم اقليم دياربكر لمواصلة حملته.

لقد حقق تيمورلنك انتصارا باهرا في معاركه ضد اعدائه سواء الجلائريين أو العثمانيين، وكانت نتيجة معركة انقرة انتصارا ساحقا على

القوات العثمانية بقيادة السلطان بايزيد سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م الذي وقع وتوفيَ في الاسر مذلولاً، وهذا ما عزز سلطة تيمورلنك وسطوته على صعيد المنطقة، لكن مع انسحابه نحو عاصمته سمرقند اخذت تلك المناطق والمدن تباعا في خلع طاعته والخروج عن سيطرته ومنها أربيل حيث يذكر ان حاكمها الأمير (عبدالله) الذي يرجح انه ناب عن الشيخ الاويراتي في حكمها نزع الطاعة لسلطة تيمورلنك أسوة بمدن أخرى بكردستان وخارجها ضمن نطاق الدولة الجلائرية، وكانت نتائج موقف هذا الحاكم وخيمة عليه وعلى المدينة ايضا إذ تعرضت أربيل من جديد لظروف الحرب والحصار ولكن لفترة قصيرة، فقد أعقب ذلك الحدث نهاية عهد دولة تيمورلنك وسطوته على المشرق الإسلامي،حيث وافته المنية وهو يحضر لحملة عسكرية جديدة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م.

## ثالثا: أربيل من الناحية الحضارية في عهود المغول الايلخانيين والجلائرية:

أربيل كغيرها من المدن عانت كثيرا إبان الغزو المغولي الفتاك للمشرق الإسلامي والذي اتخذ طابعا تخريبيا وتدميريا في البداية، ومع سقوط دولة الخلافة العباسية شهد المشرق الإسلامي خاصة مناطق غرب آسيا، تراجعا حضاريا خطيرا على مختلف الاصعدة، ثم كانت خطوة غازان خان المشهودة في اعتناقه الإسلام طواعية سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م، بعدما فشلت المحاولة الاولى التي قادها الخان احمد تكودار في الفترة من ٦٨٠هـ-١٢٨١م إلى ٦٨٣هـ- ١٢٨٤م ومع كل تلك الاحداث التي رافقت عهد الدولة الايلخانية وما تلتها في العهد الجلائري وما رافقهما من ظروف سياسية معقدة، فيمكن ان نجمل ابرز السمات الحضارية لأربيل كالتالي:

١-الحالة الثقافية:

عانت أربيل حالة التردي الثقافي التي سادت المشرق الإسلامي على وقع غزو المغول، كما ويذكر ان ربض المدينة اضحى مهجورا بصورة شبه كاملة اثناء حصار المغول لقلعتها واضحت المؤسسات العلمية عرضة للاهمال والتخريب، ويذكر انه كان بربض المدينة العديد من المدارس والربط والمساجد والخانات في عهد السلطان مظفرالدين كوكبوري والعباسي الأخير الذي تزامن مع هجوم المغول عليها.

أضف إلى ذلك حركة هجرة العلماء التي شاعت آنذاك، وكانت الهجرة في معظمها باتجاه بلاد الشام ومصر، اي نحو دولة المماليك التي وجد فيها المسلمون الطبقة المثقفة خصوصا الامل لاستمرار الحضارة الإسلامية وتطورها، وقد هاجر إلى مناطق السلطة المملوكية قبل وإبان الغزو المغولي العشرات من العلماء، استوطنوا مصر وبلاد الشام وحملوا معهم كنيتهم حيثما رحلوا وعرفوا بها لذلك نجد العديد من العلماء الارابلة بمختلف العلوم والشعراء والكتاب وهم يحملون لقب الاربلي ويعرفون به مثلاً على سبيل الذكر وليس الحصر: الشاعر المفكر عزالدين الحسن الاربلي ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م والعالم الجنيد بن عيسى الزرزاري الاربلي ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م والفقيه الكمال سالار بن الحسن الاربلي ت٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، والقاضي الكبير عزالدين ابو الحفص الاربلي ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، والفقيه العدل الحجة ابو محمد القاسم بن ابي بكر الاربلي ت٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م الذي ولد بأربيل وتحصل فيها على علومه ونبغ فيها، والشيخ والمؤرخ العالي المنزلة شمس الدين احمد ابن خلكان مؤلف (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م، والعلامة الكبير يونس بن حمزة الاربلي ت٧١٥هـ/ ١٣١٥م وموسى بن علي بن

يوسف الزرزاري الاربلي ت٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ولد ونشأ ودرس وتفقه بأربيل، وآخرون كثيرون، وقد انتفع هؤلاء العلماء وغيرهم من تطوير علومهم واستكمال دراساتهم وتحصيل المزيد سواء العلوم الدينية أو غير الدينية واخذوا من منابع العلم المزدهرة آنذاك بمصر والشام حين قصدوها في سبيل الاستزادة في فترات متفاوتة وأضحوا كذلك عاملا ايجابيا في تطورها وتقدمها.

ومن الأدباء الارابلة الذين ذاع صيتهم آنذاك الشاعر الاديب محمد بن ابي الهيجاء الهذباني الاربلي ت٧٠٠هـ/ ١٣٠١م، والشاعر والكاتب الكبير الاديب موسى بن احمد الاربلي ت ٧١٧هـ/ ١٣٢٨م الذي ابدع في نظم الشعر وانشاده بأربيل، والشاعر الاربلي المسيحي المبدع كوركيس وردا الذي عاصر غزوات المغول على أربيل وما حولها ووثق بعض حوادثها في اشعاره الرصينة، وغيرهم من الادباء، وكذلك علماء ارابلة نبغوا في علوم الطب والرياضيات والفلسفة والتاريخ وعلوم أخرى لا يسع المجال لذكرهم.

ومع كل ذلك لا يمكن ان ننفي وجود حركة علمية بأربيل، فمع استتباب الأوضاع في العهد الايلخاني اخذت مناحي الحياة تعود إلى طبيعتها ونهضت المسيرة العلمية بأربيل من جديد كغيرها من سائر المدن ودبت الحركة في عدد من مؤسساتها العلمية والدينية التي طالها الاهمال بسبب اثار الحصار والحروب ولكن بطريقة مختلفة ونشاط اقل واقبال اضعف. مع ملاحظة تسجيل بعض الإنجازات العلمية المتواضعة آنذاك لا سيما على الصعيد تحصيل العلوم الدينية ونظم الشعر والكتابة...الخ.

ومع ذلك نجد أن تلك الإنجازات اخذت في التلاشي في العهود اللاحقة الجلائرية وما تلاها، حيث ان التخبط والاضطراب السياسي الذي ساد

المشرق الإسلامي عموما ساهم إلى حد بعيد في عملية اغفال الجانب العلمي والثقافي عموما وبالتالي تدهوره مرة أخرى، خاصة في مدن ليست من السعة والعمران ما يكفي لمقاومة كل تلك الآثار السلبية كأربيل إذ شهد انحسار الحركة الثقافية بمدن مهمة بعينها كبغداد وتبريز. ورغم ذلك لا يمكن ان ننفي وجود علماء ومثقفين بأربيل طيلة تلك العهود بمتغيراتها لم تسعفنا المصادر ذات العلاقة بذكرهم والتطرق إلى علومهم وتحصيلهم لأسباب مختلفة. من ابرزها الافتقار إلى من يوثق ذلك.

٢-الحالة الاقتصادية:

تأثرت الحالة الاقتصادية بهجمات المغول، وما تبعها من دمار لأربيل وحصار لقلعتها، حيث عانى المتحصنون فيها الجوع والعوز، فقد خرب المغول معظم المزارع والبساتين الزاهية المحيطة بالمدينة، ووضعوا يدهم على المحاصيل الزراعية واحرقوا أخرى بسبب الحروب وما تعنيه، لكن إنقشاع الغمة واستقرار الأوضاع السياسية نوعا ما في العهد الايلخاني ادى إلى ازدهار الزراعة من جديد واشتهرت أربيل بانتاج محاصيل بعينها مثل القطن بصورة وفيرة اضافة إلى محصولي الحنطة والشعير وكانت غلاتهما غزيرة، كما عرفت أربيل بزراعة التبغ والعدس والارز بكميات اقل وما إلى ذلك من زراعة محاصيل غذائية اساسية أو داخلة في صناعات معينة، اما بالنسبة للفواكه فقد اشارت المصادر إلى المحاصيل الجبلية والتي ازدهرت باعمال أربيل، خاصة شقلاوة والتي ورد ذكرها باسم شقلاباذ والتي ازدانت باشجار الكروم والتين بكثرة، ومنطقة بين الجبلين من اعمال أربيل والتي اشتهرت بانتاج عسل النحل بكميات كبيرة اضف إلى ذلك اشجار البلوط والجوز واللوز والتي كانت منتشرة باعمال أربيل الجبلية بكثرة.

كما ان أربيل نفسها ازدانت بساتينها وعيونها المائية من جديد والتي كانت تتدفق نحو المدينة على شكل كهاريز لتخترق مركز المدينة أو لتروي الحقول والمزارع والبساتين العديدة وتشير المصادر ان أربيل كانت تحيط بها مجموعة من البساتين والاشجار الخضراء في تلك الحقبة مما اضفى منظرا اكثر بهاء وجمالا عليها، ولهذا أسمى ابن المستوفى المدينة ذات الخمائل اي البساتين حين عنون كتابه بـ(نباهة البلد الخامل...).

وقد اهتم المغول ايضا بالتجارة وتأمين طرقها وفرض الحراسات عليها، فاضافة إلى طريق بغداد أربيل والطريق الموصل إلى دياربكر، فقد عد طريق أربيل اذربيجان أو بالاحرى طريق أربيل مراغة إحدى الطرق الهامة والرئيسة التي وضع عليها المغول الايلخانيون الحراسة اللازمة للمحافظة على القوافل التجارية وقواتهم السالكة من عمليات السلب والنهب أو الهجوم المفاجئ من قبل اعدائهم أو المناوئين لهم، ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد، فقد كان طريق أربيل مراغة إحدى الطرق الآمنة والسالكة طوال العهد الايلخاني التي توزعت عليها الخفارات لحراستها والذي كان له اثره في تنمية المدينة اقتصاديا وتجاريا، حيث ازدهرت أسواق أربيل ومدن المنطقة ونشطت حركة القوافل التجارية وراجت المتاجرة بالبضائع المختلفة بين ارجاء الدولة الايلخانية وخارجها، ويذكر ان التاجر امين الدين الاربلي كان من كبار تجار أربيل والدولة الايلخانية.

ومع ذلك فان المدينة والامارة عموما لم تكن بمنأى عن الازمات الاقتصادية في العهد الايلخاني كالازمة المالية التي شهدتها الدولة الايلخانية واثرت على أوضاع أربيل الاقتصادية بشكل مباشر حينما افلست الدولة واضحت خزينتها خاوية من الذهب والفضة إبان عهد

(كيخاتوخان) الذي اضطر إلى طبع النقود الورقية التي سميت (الجاو) والتي لاقت استهجانا من قبل التجار والسكان عموما في التعامل معها لانعدام قيمتها الشرائية.

اما في عهد الدولة الجلائرية، فرغم المحافظة على استقرار الأوضاع بأربيل المدينة الا ان اعمالها لم تكن بمنأى عن العمليات القتالية بين القوى المتصارعة على الحكم فاثر ذلك بشكل واضح على الجانب الاقتصادي التجاري حتى ان أربيل المركز فقدت في بعض الاحيان تواصلها الاقتصادي والتجاري مع اعمالها الجبلية بمنطقتي بالكيان وخفتيان او مع مدن واقاليم أخرى ايضا بنسب متفاوتة. لكن الحركة التجارية طيلة العهد الجلائري كانت مزدهرة على الطريق الموصل بين أربيل وبغداد ومنها إلى مناطق أخرى، وطريق أربيل مراغة تبريز ولكن بزخم أقل، وقد انقطعت طرق التجارة بين أربيل ودياربكر بسبب حملاته العسكرية، ونشط التجار الارابلة بتجارتهم ويعد التاجر الحسن الأربلي احد ابرز تجار المدينة والمنطقة في تلك الحقبة.

وجاء اجتياح تيمورلنك للمشرق الإسلامي ليحدث بلبلة وفوضى كبيرة في المنطقة، ورغم ان أربيل سلمت من حربه ونجت من مواجهته في تلك الفترة الا ان انعدام الامن والعمليات العسكرية المتواصلة من كر وفر اثرتا على طرق التجارة بصورة كبيرة، ورغم حرص تيمورلنك على ان تكون طرق التجارة سالكة وان يستمر بيع وتبادل البضائع على اوسع نطاق الا انه لم يتمكن من تدارك امر الحرب والقتال وتأثيراته، وقد انقطعت طرق التجارة بين أربيل ودياربكر بسبب حملاته العسكرية.

اضافة إلى ان المراعي الواقعة ضمن نطاق أربيل اضحت عرضه للسلب والنهب من قبل قواته وتدنى ناتج المحاصيل الزراعية اثناء ذلك

بشكل ملحوظ بسبب الاضرار التي لحقت بتلك المحاصيل اثناء تحرك قواته من تبريز ومراغة إلى بغداد أو دياربكر وبلاد الشام سالكين طريق أربيل ونواحيها، وقد عادت الحياة إلى تلك المراعي بعد انتهاء حملات تيمورلنك بشكلها الطبيعي والتي كانت منتشرة باطراف المدينة واعمالها، حيث اشتهرت أربيل بمراعيها الخصبة والملائمة في المواسم المختلفة، وكانت الاغنام والماعز في مقدمتها اضافة إلى الابقار وحيوانات الرعي الأخرى، واشتهرت براريها وغاباتها الجبلية بكثرة وجود الغزلان والماعز البري والدببة والنمور ايضا.

هكذا نجد ان امارة أربيل احتفظت رغم كل تلك الظروف الصعبة بميزتها الاقتصادية وبنوع من الاستقلالية معظم الاحيان وكان فيها على الدوام ووفق المعلومات الواردة من المصادر المعاصرة لعهود الدولتين الايلخانية والجلائرية دار لسك النقود يحمل اسم وشعار السلطان والدولة الحاكمة، وعبارة (ضرب بأربل في سنة كذا) ووفق التسلسل التاريخي، وذلك منذ عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله والى نهاية عهد الدولة الجلائرية.

٣- الحالة الاجتماعية:

شهد المجتمع الاربلي اضطرابا متزامنا مع حالة الاضطراب السياسي والاقتصادي...الخ التي سادت في تلك الحقب العصيبة والتي كانت تشتد بين الفينة والأخرى، ومن عهد إلى اخر، وكانت المدينة اشد تاثرا من اعمالها حيث تركزت فيها وعليها الاحداث والمصاعب، ورغم ان المجتمع انكفأ على نفسه بسبب مصاعب الحياة المتزايدة وخيبة الامل التي عانوا منها إبان غزو المغول، ونجاحهم في اسقاط الخلافة العباسية وقتل آخر الخلفاء العباسيين، فان اهالي أربيل والمناطق المحيطة بها ازاحوا عنهم

غبـار تلك الايام الحـالكة واخـذوا يتكيـفـون مع الأوضـا ع الجـديـدة على مختلف الاصعدة وقد اثرت عقيدة السلطة الحاكمة في المجتمع خاصة ان أربيل المدينة واعمالها القريبة والبعيدة كانت تضم المسلمين الذين شكلوا الاغلبيـة، ثم المسـيـحـيـون فاليـهـود على نحـو اقل، ونلاحظ ان المجـتـمـع الاربلي برز وكـانه مـجـتـمـع مـسلم بجله في العـهـد الاتابكي والعـبـاسـي الأخير قبل احتلال المغول وكان ذلك ناتج من عقيدة السلطة الحاكمة على الامـارة آنذاك (اي مـركـز المدينة وأعـمـالهـا) ونجـد حـرص السلطان مظفرالدين على الاحتفاء بذكرى حلول المولد النبـوي الشريف بمراسيم واحتفالات مهيبة تمتد اياما عدة ويحتفل بها اهـالي أربيل ويحضـرها علماء الاقاليم الإسلامية المختلفة شرقا وغربا وصولا إلى الاندلس.

وكان بروز دور نصارى أربيل على الصعيدين السيـاسي والاجتماعي في العـهد الايلخـاني خـاصـة اباقـاخـان الذي كان مناصـرا للمسـيحـيين، وربما اعتنق المسيحية بتـأثير والدته (دوقوزخـاتون) المسيحية، ونجد ان الأوضـا ع السـيـاسـيـة والإدارية بأربيل طرأ عليـها تغـيـير واضـح وغيـر مسبوق بتولي حكام مسيحيين حكمها، وهم من سكانها مثل ابن المختص النصراني ومسعود البرقوطي، وقد انعكس هذا على المجتمع بمكوناته الدينيـة المتـعددة فـبـعد ان كنا نشـهـد الاحتـفـال بالمولد النبـوي وإعـمـار المساجد والربط وغيرها من المؤسسات الدينية والتعليميـة في العصر العبـاسي، نجد في العـهد الايلخـاني يرد ذكر احـيـاء اعيـاد المسيـحـيين ومنهـا (عـيـد الشـعـانين) في مـواكب كـبـيـرة تمر بمركـز المدينة، وكـذلك التطرق إلى ذكر الكنائس العديدة في الربض والقلعة ومنها كنيسة القلعة ومركز اقامة جاثليق نساطرة الدولة الايلخـانية، ومنهـا بربضـهـا وباطراف المدينة مثل كنائس عنكاوة وبيث صيدا وغيرهما.

والجدير بالذكر ان العلاقة بين مكونات المجتمع الاربلي كان يسودها الوئام والانسجام على الدوام مقارنة بمناطق أخرى مثل مدن دياربكر وبلاد الشام (دمشق وحلب) التي جاهر مسيحيوها بشماتتهم بمسلمي تلك المدن بل وتمادوا في اذيتهم إبان اجتياح المغول لها، فنجد ان الحالة بأربيل كانت مختلفة تماما فلم يجاهر المسيحيون بعدائهم لمسلمي المدينة أو يشمتوا بهم، بل نجد انهم وقفوا ضد المغول وغزوهم للمدينة وعانوا من توابع الحصار من الجوع والمرض واثار الحرب كما عانى منها المسلمون واليهود في المدينة ايضا، كما ان عمكاباد (عنكاوة) طالها التخريب على ايدي قوات المغول الغازية سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م وسنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م اثناء حصارهم الأخير لأربيل وقلعتها، وكذلك مناطق أخرى محيطة بالمدينة مثل كفرعزى من اعمال غرب أربيل العامرة آنذاك التي كان يقطنها المسلمون والمسيحيون واليهود على حد سواء والتي عانت من ويلات حروب تلك الحقبة واصابها ضرر بالغ، كما وقف سكان أربيل من المسلمين مع المسيحيين الذين دعموا القياجية النازحين من الجبال نحو سهل أربيل وايدوهم بحماسة شديدة، فجاءت المساندة ايضا واضحة وصريحة من قبل مسلمي المدينة كما تشير المصادر المعاصرة بوضوح وهيأوا لهم المأوى والملجأ حينما صدر فرمان من الخان (اولجايتو) بالحد من سكن المسيحيين في القلعة إبان القضاء على حركة القياجية، وبذلك فقد تميز المجتمع الاربلي بشكل واضح لا يقبل الشك وبمختلف مكوناته بتآلفه وتسامحه وتوحده ازاء المخاطر والتحديات وخصوصا في الفترات الحساسة والعصيبة.

وكانت أربيل الغالبية العظمى من سكانها على صعيد الإمارة من الكرد، اضافة إلى وجود قوميات أخرى كانت تسكن مركز المدينة لأسباب

إدارية او اجتماعية واقتصادية وهم التركمان بالدرجة الاولى، اضافة إلى وجود عدد من الاسر العربية التي قطنت فيها لأسباب متعددة، وكان عدد من العشائر الاربلية الكردية الاصيلة تقطن بمحيط المدينة في قرى وارياف زاهرة ومن ابرزها آنذاك (الزرزارية) الذين اضطلعوا بدور بارز على الصعيدين السياسي والحضاري والذي يرجح انهم (الزرارية) اليوم ويسكنون الطرف الشمالي والشمال الغربي من المدينة، وكذلك (الخشنانية) الذين كانوا يقطنون على الاغلب في الطرف الشرقي والجنوب الشرقي من المدينة وكان لهم ثقلهم السياسي والاقتصادي ايضا على صعيد امارة أربيل ويرجح ان المقصود (بالخشنانية) كما جاءت التسمية في المصادر المعاصرة لتلك الحقبة هم (الخوشناوية)، وهكذا غيرها من العشائر.

والمجتمع الأربلي على صعيد المدينة واجه في ظل تلك العهود مخاطر أخرى متعددة غير سياسية وعسكرية الحقت الضرر بالمجتمع من نواحي متعددة، كحدوث السيول المدمرة بسبب غزارة هطول الامطار وتواصلها في بعض مواسم الشتاء حيث كان يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه بسهل المدينة ويغمر مزارعها واحيائها واسواقها الواقعة اسفل القلعة ومن اخطرها فيضان أربيل سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وفيضان آخر بعده بثمان سنوات، وقد تكرر ذلك كثيرا، فلم تكن هنالك سدود أو جداول وطرق فنية لتصريف المياه، اضف إلى ذلك تعرض أربيل بعض الاحيان إلى عواصف رملية كانت تؤدي إلى تراكم الغبار واحمرار الجو وانعدام مدى الرؤيا الطبيعية من حولها، مثل العاصفة الرملية الكثيفة التي غطت أربيل وما جاورها سنة ٦٧٤هـ/ ,١٢٧٦

كما ان أربيل شأنها شأن غيرها من المدن عانت في بعض السنين من انتشار الاوبئة كالطاعون وباء العصر وحاصد الارواح، وقد انتشر

بأربيل اكثر من مرة بفعل الحروب والمجاعات، وفتك بالمجتمع ومن اخطرها الطاعون الذي استشرى بأربيل سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م إبان العهد الجلائري، وادى إلى اصابة ووفاة عدد كبير من سكانها، مما ادى إلى ترك الناس لمدينتهم، والنزوح إلى جهات أخرى.

٤-أربيل من الناحية الإدارية:

رغم كل تلك الحروب والمحن التي واجهتها المدينة سواء إبان حصار المغول لها أو حروب الدولة الجلائرية واجتياح تيمورلنك لممتلكاتها وحروبه الضارية في المنطقة، كل تلك الاحداث والتغيرات الجسام لم يمنع أربيل من اداء دورها وموقعها كمركز لأمارة قائمة بذاتها ضمت قلاعا عديدة وبلدات وقرى عامرة امتدت من السهل إلى الجبل.

كما ان حكام أربيل كانوا يعينون من قبل سلاطين تلك الدول بصورة مباشرة إن لم يكن حكامها من نفس الاسرة الحاكمة للدولة كما استجد ذلك فيما بعد، والذين بدورهم كانوا يشرفون على إدارة ممتلكات الامارة وتعيين الموظفين اللازمين لادارتها على افضل وجه ممكن.

والجدير بالذكر ان حكام أربيل الذين كانوا يخضعون لسلطة مركزية ومراقبة شديدة وضرورة اخذ التوجيهات من الأوردو الايلخاني في كيفية ادارتهم لشؤنها، قد تمتعوا بقسط وافر من الاستقلالية في حكم الامارة برمتها وذلك ابتداءً من نهاية العهد الايلخاني وإبان القضاء على ثورة القياجية الذي احدث تحولاً على الصعيد الإداري، واستمرت تلك الاستقلالية لعقود من الزمن اكتفى فيها سلاطين الدولة الجلائرية باعلان الولاء الرسمي أو الرمزي من قبل حكامها لسلطتهم على الامارة، والتي كانت تدار من قبل ابرز الأمراء والاسر الحاكمة في العهدين الايلخاني والجلائري.

والنظام الإداري لأربيل غير واضح المعالم بصورة شاملة في تلك الحقبة وذلك بسبب التعقيدات السياسية والحروب المتتالية وعدم وجود التوثيق اللازم لها، ووفق المعلومات الواردة عن أربيل واعمالها في ظل تلك الحقب التاريخية يمكن ان نحدد بشكل تقريبي حدود امارة أربيل والمناطق الخاضعة لسلطتها كالتالي:

أ- من الجنوب كانت حدود امارة أربيل تمتد إلى التون كوبري واحيانا ضمت داقوق ايضا.

ب- من جهة الشمال كانت حدودها عند الزاب الكبير وتضم اودية خصبة كوادي كزنه، وبلدة رازيان العامرة.

ج- من الغرب امتدت سلطة الامارة إلى نهر الخازر الذي ورد اسمه في مصادر ذات العلاقة، والعديد من القرى والبلدات العامرة الواقعة بين أربيل المدينة والنهر.

د- من جهة الشرق والشمالي الشرقي يمتد بشكل متسع ليصل إلى مابين المرتفعات الجبلية وسفوحها النظرة فكانت تضم البلاد السهرية (السورانية) وصولا لى قلعة خفتيان وبين الجبلين وما جاورهما.

# أربيل وسقوط دولة القراقوينلو

# وقيام دولة الآق قوينلو

الآق قوينلو واحدة من القبائل التركمانية الرعوية الكبيرة، وهي قبيلة البايندر التي انحدرت بهدوء وبشكل تدريجي نحو مناطق الاناضول ودياربكر منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وعرفت بتلك التسمية نسبة الى الشياه البيض التي كانت ترعاها القبيلة، واتخذت منها علما لها، وتمكن بعد ذاك زعيمها عثمان قرا يلك (ت ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) من ان يوطد سلطانه في تلك المناطق مؤسسا النواة لاقليم، ثم لسلطة مستقلة ودولة استطاعت أن تزيح سلطة دولة منافسة كانت تحكم ارث الدولتين الايلخانية والجلائرية القراقوينلو الذين سبق الحديث عنهم على يد احد احفاد الامير عثمان وهو الامير اوزون حسن ابن علي بك ابن عثمان قرا يلك.

ان الضعف والفساد اللذين اخذا ينخران في اوصال دولة القراقوينلو في السنوات الاخيرة من مختلف النواحي، كانت تقابلهما قوة متزايدة واتساع في النفوذ والسطوة من قبل الآق قوينلو بزعامة الامير حسن بك المشهور (أوزون حسن) اي حسن الطويل وذلك لطول قامته، والذي تمكن من ان ينهي النزاع المستفحل مع اخيه جيهانكير ليوحدا قواهما في الصراع ضد دولة القراقوينلو في سبيل القضاء على دولتهم. وتعد نتائج الحملة العسكرية (سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) الأخطر فالانكسار المفاجئ

لجيش القراقوينلو المتحرك من سهل اربيل نحو دياربكر بقيادة الامير رستم ترخان، الذي وقع في كمين قوات الاق قوينلو بمنطقة دياربكر على مقربة من ماردين، وتواجه في معركة كبيرة معها كان يقودها الاخوان الاميران حسن بك الطويل والامير جيهانكير، والتي أسفرت عن نتائج وخيمة على اربيل والمنطقة، وعلى دولة القرا قوينلو عموما، فقد ادى ذلك الانكسار الكبير الى تراجع ملحوظ في سلطة القرا قوينلو وضعفها على مدن المنطقة، ومنها اربيل و قوة الأق قوينلو الذين اخذت انظارهم ترنو نحو مدن دياربكر السفلى وبقايا مدن اقليم الجزيرة ومن ابرزها اربيل.

وبالفعل تسللت قوات الأق قوينلو على طول المناطق والطرق المحاذية لاقليمي الجزيرة واذربيجان، انطلاقا من اقليم دياربكر، واخذوا يعدون العدة للانقضاض على ممتلكات القرا قوينلو من مدن وقلاع ذات اهمية جغرافية تحمل دلالات سيادية لدولة القراقوينلو، ومن ضمنها اربيل، إبان الانكسار الكبير والهزيمة القاسية التي تعرضت لها في المعركة مع الاق قوينلو، وأضحت مدن اقليم الجزيرة، او مدن دياربكر السفلى حيث شاعت التسمية للدلالة على تلك المناطق في تلك الحقبة، لقمة سائغة لقوات الأق قوينلو التي استثمرت انتصارها الكبير واخذت بالتوغل في المنطقة سياسيا وعسكريا، فوصلت قواتها بقيادة الامير خليل التواجي القائد العام لقوات الاق قوينلو آنذاك الى اربيل ودخلتها دون صعوبة تذكر، حيث كان القراقوينلو قد انسحبوا منها ومن المناطق المحاذية وبذلك سيطر الآق قوينلو على اربيل واستولو على قلعتها (سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) وعين الامير "شاه علي حاجيلو" حاكما عليها بفرمان من السلطان حسن بك الطويل.

لم يكتف الاق قوينلو، في سبيل التمهيد لدولتهم، بضم اربيل والموصل

ثم كركوك الى سلطانهم بل كان لا بد من ان يحذروا من كل المخاطر القائمة، ومنها سلطة جيهانشاه على تبريز وبغداد، فاخذوا يتعقبون تحركات جيهانشاه آخر سلاطين دولة القرا قوينلو كي يكمنوا له ويوقعوا به في الوقت والمكان المناسبين، وبالفعل تمكنوا من ذلك حينما كان مشتّيا بمنطقة موش باذربيجان من جهة ايران، وقد تفرقت عنه معظم حاميته، فكمنوا له وهجموا عليه على حين غفلة وهو بصحبة قلة من أتباعه فقتلوه، وذلك سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، وانتهى بذلك عهد دولة القرا قوينلو ليبدأ عهد جديد وهو عهد دولة الاق قوينلو، حيث تحركت في اعقابها قوات الاق قوينلو المرابطة باربيل بأوامر من السلطان حسن الطويل وبقيادة حاكمها آنذاك (شاه علي حاجيلو) نحو بغداد لدعم القوات المحاصرة لبغداد تحت قيادة الامير مقصود بك ابن حسن الطويل، وتمكنت من اقتحامها بعد حصار مشدد دام اكثر من شهر، وتم بذلك ضم بغداد لسلطة الدولة الجديدة كذلك الحال بالنسبة لتبريز بعد ان تمكن حسن الطويل بجيشه القادم من ديار بكر وبالتعزيزات التي وصلته من اربيل وبغداد من ان يهزم جيش السلطان التيموري ابو سعيد باذربيجان شر هزيمة، وان يأسره سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م فسيطر على تبريز وما جاورها من مدن سيطرة كلية واتخذها قاعدة لحكم دولته الجديدة.

شهدت اربيل إبان سيطرة الاق قوينلو هدوءً نسبيا على الصعيدين السياسي والعسكري, رغم الخلاف الذي دب بين ابناء السلطان حسن الطويل على السلطة بعد وفاته سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٨م الى ان تمكن ابنه يعقوب بك من نيل زعامة الدولة وابعاد منافسيه، ويذكر ان استقرار الاوضاع في مدن اربيل والموصل وما جاورهما شجع كبير البطاركة

النسطوريين مار شمعون الثالث، ومن اعقبه في الجلوس على الكرسي، على شراء املاك وضيا ع في اربيل والموصل وعقرة ووقفها على الاديرة والكنائس وتمكن من استحصال الموافقات الاصولية من سلطة الاق قوينلو لغرض تثبيت ملكية تلك الاراضي والضيا ع، وتذكر مصادر تاريخ الكنيسة الشرقية ان مار شمعون اشترى املاكا كثيرة باربيل وما جاورها في عهد دولة الأق قوينلو لتعويض املاك الكنائس والاديرة التي ضاعت او دمرت إبان حروب تيمورلنك في المنطقة، مستفيدا من اجواء الامن والاستقرار التي سادت نوعا ما المنطقة بعد انتهاء حكم القرا قوينلو خاصة في عهد السلطان حسن الطويل وولده يعقوب بك، وصفة التسامح الديني الذي عرف به امراء الأق قوينلو على نحو اوسع من سابقاتها من الإمارات والتعامل المتحضر لسلاطينها، حيث كما هو معلوم ان الأق قوينلو كانوا على المذهب السني على خلاف أسلافهم القرا قوينلو الذين كانوا يعتنقون المذهب الشيعي.

ان استقرار الاوضا ع لم يدم طويلا باربيل ونواحيها فمن جهة اخذ سلاطين الأق قوينلو ومنذ اواخر حكم زعيمهم حسن الطويل في معاداة العثمانيين في الجهة الشمالية من حدود دولتهم وبتحريض من الكرج والصرب والبلغار والبنادقة، حيث ان الطابع الجهادي الذي اتسمت به سياسة العثمانيين تجاه تللك الاقوام وغيرها كان شبه معدوم عند الاق قوينلو, وكذلك بروز منافس دموي وشرس على حدودهم الشرقية وهم الصفويون الذين اخذوا يعدون العدة للانقضاض على الاق قوينلو طامعين في السيطرة على مناطق حكمهم الستراتيجية، فاخذ الشاه اسماعيل بانتهاك اراضي الاق قوينلو والعبث بأمنها والتدخل في شؤونها وادى ذلك الى تعقيد الصورة السياسية للمنطقة ومستقبلها تبع

ذلك انفلات امني خطير خاصة في المناطق المجاورة لاربيل والذي ساد المنطقة عموما، وزادت حالات السلب من خلال قطاع الطرق الخارجين عن السلطة، خاصة باطراف اربيل الجبلية خاصة من طرفي ايران واذربيجان ومناطق اخرى ضمن حدود دولة الاق قوينلو، فقد عانت اربيل من هذا التنافس المحتدم والانقسام لكونها توسطت حدود سلطة الاميرين، فتوترت الاوضاع السياسية فيها وسلب الكثير من المحاصيل الزراعية والمراعي باطرافها وكسدت التجارة باسواقها.

واستمرت تلك الاوضاع في التأزم الى ان انتقضت دولتهم وتقوض سلطانهم على ايدي الصفويين نتيجة الضعف والانقسامات التي عانت منه اسرة الاق قوينلو، خاصة العداء الذي برز بين آخر امراء الاسرة الحاكمة بين الاميرين الوند بك اق قوينلو، بمدن ايران والعراق، والامير مراد بك اق قوينلو باقليمي دياربكر واذربيجان.

وفق ذلك برزت قوة الصفويين السياسية المستندة على عقيدة دينية مذهبية ببلاد ايران بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي الذي استغل اهتزاز سلطة الاق قوينلو وانقسامها وأخذ المبادرة بشن الهجمات على الاقاليم و المناطق المجاورة لتوسيع نفوذ الدولة الجديدة وترسيخ سلطانها. وقد واجهت اربيل ومدن اخرى بكردستان هجوما صفويا شرساً سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م اثناء حملة الشاه اسماعيل على دياربكر ومدن اخرى للقضاء على سلطة الامير مراد بك اق قوينلو في المنطقة، والذي كانت اربيل ضمن مناطق نفوذ حكمه، وكانت أركان حكمه قد اهتزت منذ هزيمته بمعركة نخجوان سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، فتمكن الصفويون من السيطرة على مدن جنوب العراق ودخلوا بغداد سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م واجتاحوها وانتزعوها عنوة من ايدي الاق قوينلو وكان ذلك مصير المدن

الاخـرى تبـاعا ومـنها اربيل ايضـا ومـدن الجـزيرة ودياربكر،التي وقـعت تحت حكم سلطة دولة جديدة مـختلفة عن سابقتـها من حيث ايديـولوجيـة الحكم ليبدأ بذلك عهد حكم الدولة الصفوية وينقضـي به حكم الأق قوينلو.

# أربيل في عهد قره قوينلو

(٨٠٧هـ/١٤٠٥م - ٨٧١هـ/١٤٦٦م)

قرة قوينلو قبيلة تركمانية رحالة، شيعية المذهب، تمكنت في أواسط القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي من إقامة اتحاد عشائري كبير في شمال كردستان، ولمّا كانت ضمن الجيش الإيلخاني، فإنها استغلت الصراع على السلطة بين العائلتين الإيلخانية والجلائرية لتعزيز قوتها ومكانتها. فكان أن تمكن زعيمها قرةيوسف، أثناء الحملات التيمورية وبعد موت تيمورلنك في العام (٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) من السيطرة على تبريز وتأسيس دولة قرة قوينلو وضم إقليم دياربكر وأعمالها إليها، وتمكن السلطان أحمد الجلائري في العام (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) من انتزاع بغداد (العراق العربي) من أحفاد تيمور. وقد كان الاثنان قد اتفقا على هذه القسمة عندما كانا سجينين عند المماليك في الشام وتعاهدا عليها. وكان حاكم أربيل في بداية قيام دولة قرة قوينلو، الشيخ على أويرات التابع للدولة الجلائرية، حيث كان هو ومحمد ساروتركمان، حاكم شهرزور، قد أعلنا الخضوع للسلطان أحمد الجلائري.

عندما فقد علاءالدين ابن السلطان أحمد الثقة في والده، غادر بغداد في العام (٨١١هـ/ ١٤٠٣م)، ولجأ إلى قرةيوسف عن طريق أربيل- أذربيجان، إلا أن قرةيوسف حبسه. ومن هذا يتبيّن أن أربيل كانت نقطة وصل الدولتين.

عندما كان قرةيوسف، في العام (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، منكبا على إخماد عصيان عثمان قرةيولوكي رأس قبيلة آق قوينلو، احتل السلطان أحمد تبريز مخالفا بذلك اتفاقية سابقة، ما دفع قرةيوسف إلى التوجه صوب تبريز ومهاجمة السلطان أحمد، فكان أن استعاد تبريز وقبض على السلطان أحمد. وبهذا تقلصت سلطة الجلائريين إلى حد كبير وانتهى أمرهم في كردستان. وبالصورة نفسها زالت سلطته عن أربيل، وهذا ما جعل أخبار الحاكم السابق أيضا غير معروفة. لأن قرةيوسف، بعد استراحة في أربيل، أرسل ابنه شامحمد إلى بغداد ليحتلها في العام (٨١٤هـ/ ١٤١١م). بعدها أوكل شامحمد أمر أربيل والموصل إلى ابنه الأصغر شاعلي. ومن هنا يتبيّن أن أربيل كانت منطلقا للهجوم على سائر المراكز، وقد انطلق الجلائريون من أربيل لمهاجمة تبريز. وفضلا عن ذلك كانت أربيل مكافئة "مساوية" للمدن الأخرى، وخاصة الموصل، ففي زمن قرة قوينلو، كانت أربيل تماثل في الأهمية المدن الأخرى. لذا تعامل قرة قوينلو بسياسة اللين في المبدأ مع أربيل لكنهم نصبوا عليها فيما بعد حكاما منهم.

في الحقيقة، يمكننا القول إنه بسبب سطوته فقد تمكن قرةيوسف من فرض سلطته، وباتت مناطق كردستان هادئة إلى حد بعيد. لذا شهدت أربيل أيضا الهدوء في تلك الفترة، لكن مع موت قرةيوسف في العام (٨٢٣هـ/ ١٣٢٠م)، لم يكن زعماء قرة قوينلو من الدفاع عن المناطق الشرقية لكيانهم. فحمل شاهروخ ابن تيمورلنك على كردستان واحتل قسما كبيرا منها. في تلك الفترة أخلى زعماء قرة قوينلو سوح القتال، فعاد زينل بن يارعلي إلى أربيل وقصد الأمير بايزيد آينلو كردستان من جديد. ورغم أن زعماء قرة قوينلو أسلموا تبريز، لكنهم واجهو شاهروخ

وقاتلوا في كردستان إلى جانب حلفائهم من آق قوينلو. تفرق أبناء قرةيوسف، ولم تقع أربيل، خلال فترة حكمهم، في يد غيرهم، وعندما مات قرةيوسف كانت أربيل تحت سلطة ابنه إسكندر وكانت تمثل قسما كبيرا من ميدان نشاطه العسكري.

في العام (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) اتخذ إسكندر بن قرةيوسف استعداداته في كركوك وانطلق في اتجاه آق قوينلو، وحشد قوات مؤلفة من قوات ميرزا علي ابن أخ قرةيوسف في أربيل، وزينل بن يارعلي (حاكم الموصل)، وجنكلو حسن في كركوك إلى جانب التركمان من أعمالها، وكانت نتيجة المواجهة مصرع العديد من قواد آق قوينلو وقد هلك قرةيولوك متأثرا بجراحه. وبعد سنة قتل إسكندر الذي حاول الاستحواذ على كل ميراث أبيه، من قبل أحد أبنائه. ولما كانت الصراعات السياسية في تلك الأيام على أشدها، كان انحياز حكام أربيل إلى القوى المنتصرة أو بسبب كونهم أبناء أو أحفاد ذوي السلطة يطغى على إظهار حكام أربيل الولاء عند تداول السلطة.

كان إسكندر قد هجر أربيل والمنطقة قبل مصرعه، لذا فقد استحوذ القائد (أصبهان)، وهو ابن آخر لقرةيوسف، في العام (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) على بغداد، فهرب شامحمد مع أبنائه وعدد من أمرائه إلى الموصل. وقد تمكن هناك بفضل تعاون أمير آل الفضل من إقامة حكم مستقل وعيّن الشيخ حارس آل الفضل حاكما للموصل وابنه شاعلي حاكما لأربيل. ويبدو أن حكم شاعلي لأربيل لم يدم، حيث لم يتمكن في العام (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م) من الدفاع عن معسكر في المنطقة كان هو فيه، فكان أن جمع أفراد عائلته وتوجه بهم إلى أربيل وقبض على ميرزا علي، ثم سار إليه أصبهان منطلقا من بغداد، ففر شاعلي إلى تبريز.

في العام (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) انطلق أصبهان بنية احتلال أربيل، فقام حاكمها ميرزا علي بنهب المدينة وحرقها لكي لا يستفيد منها أصبهان، ودخل أبناء المدينة قلعتها ودافعوا عنها، بعد ذلك حاصر أصبهان أربيل وخاض عدة معارك، لكنه في النهاية لم يستطع احتلالها رغم مرابطته هناك خمسة أو ستة شهور، فشلت عملياته العسكرية بسبب منعة القلعة ودفاع سكانها ومقاومتهم القوة الخارجية المهاجمة التي كانت تماثل مقاومتهم منقطعة النظير للخليفة العباسي وللمغول حيث اضطر المغول الجوء إلى المكيدة والحيلة. وهذا ما أجبر أصبهان على اللجوء إلى أساليب أخرى، ودون أن يشعر أحد قام بتسميم بئر ماء الشرب، ما أدى إلى هلاك كثير من الناس، لكنه لم يتمكن من تسميم بئر ميرزا علي، ورغم ذلك أيضا لم يتمكن من الاستيلاء على قلعة أربيل فكان أن تصالح معهم في النهاية ورد القلعة وتزوج ابنته.

إلى جانب إجراءات أصبهان، انتشر الطاعون في العام (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) بين أهالي أربيل وشهرزور وكركوك وقتل الكثير منهم. وفي حوالى العام (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) انطلق أصبهان من بغداد إلى أربيل لنفس الغرض، وبقي هناك فترة، ثم توجه نحو ماردين وفي الطريق مر بقبيلة (دبانلو) التابعة للآق قوينلو، فنهبها وعاد أدراجه إلى أربيل ثم إلى بغداد.

لما سمع ألوند ابن إسكندر بن قرةيوسف، نبأ موت أصبهان وخلافته من قبل ابنه فولاذ، انطلق بجيشه من دياربكر فاحتل أربيل وكركوك والموصل، ونصحه عيسى بك بالتروّي وعدم التوجه إلى بغداد لكنه لم يسمع نصيحه. لذا فر عيسى بك إلى جهانشا الذي كان يحكم تبريز، وطلب منه أن يحتل بغداد، وهاجم ألوند بغداد من جانبه ففشل في

الاستيلاء عليها وعاد إلى كركوك مضطرا. ولمّا كانت تبريز وبغداد ودياربكر أهم المراكز السياسية في عهد قرة قوينلو، ولأن أربيل كانت تربط بين المناطق الثلاثة، فقد جرى استخدامها في تلك الفترة كطريق عسكري. وكانت موضع تنافس زعماء قرة قوينلو، كانت تتمتع بموقع ستراتيجي، يجعلها تعامل على أنها المفتاح إلى المدن الأخرى. وكان حكام بغداد يجتهدون باستمرار لضمان سيطرتهم على أربيل، وهذا يضمن الأمن والأمان لبغداد.

بعد موت شاهروخ، لم يتمكن جهانشا ابن قرةيوسف بسبب انشغاله بتمرد ألوند بن إسكندر، من استغلال التنازع بين أحفاد تيمورلنك، فبعث في طلب ألوند، لكن الأخير لم يستجب، وأعلن في العام (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) العصيان في أربيل والموصل ما دفع جهانشا إلى تسيير جيش عرمرم لقمعه وكانت النتيجة أن هزم ألوند في معركة ولجأ إلى دياربكر.

كان بيربوداق يدير حكما ذاتيا في بغداد ولا يؤدي الواجبات التي فُرضت عليه من العاصمة تبريز وتملص من دفع المستحقات المالية، ولإظهار سخطه على والده قطع في العام (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) الضرائب والخراج عنه تماما واستقطع لنفسه الكثير من الأملاك والأموال، لذا قرر جهانشا أن يهجم على بغداد ويستعيدها من بيربوداق. ولتحقيق هذا الهدف، سلك سبلا عدة في العام (٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)، منها أن بعث إلى أوزون حسن (زعيم آق قوينلو) وتحالف معه على التصدي لبيربوداق ومنع العون والمؤن عنه، وأن يسلمه إذا لجأ إليه، ولقاء ذلك يحصل على أربيل والموصل وسنجار، فوافق أوزون حسن. لقد كانت هذه فرصة جيدة لأوزون حسن لتوسيع رقعة سلطته والحصول على المزيد من أراضي إقليم دياربكر. كما ويتبيَن من هذا، أن زعماء قرة قوينلو كانوا يمرون

بأربيل إلى، بغداد وكان هذا هو الطريق الملائم عند الهجوم على بغداد. كما أن أغلب من احتلوا أربيل، عيّنوا أبناءه حكاما عليها لما لهذه المدينة من أهمية سياسية واقتصادية ولموقعها الذي كان يؤثر بفاعلية على نشاطهم السياسي، فكان أن حكمها بصورة مباشرة أبناء وأحفاد قرة قوينلو، إذ نصب قرةيوسف ابنه حاكما عليها، واقترح أصبهان ابنه ليحكمها، وحكم ابن لإسكندر أربيل، حتى أن التيموريين نصبوا أحفادهم حكاما عليها. ولأن حكام أربيل في تلك الحقبة كانوا ملتزمين بالسلطة في العاصمة (تبريز وبغداد)، فإن هوية الحكام ارتبطت بالسلطة وليس بأبنائهم في أربيل.

# أربيل في عهد دولة آق قوينلو

(٨٧١هـ/ ١٤٦٦م - ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)

كانت آق قوينلو قبيلة بدوية تركمانية، يعتقد عدد من الباحثين أن أهمية قبيلتي قرة قوينلو وآق قوينلو السياسية برزت بعد موت السلطان أبو سعيد الإيلخاني من سلالة هولاكو في العام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م)، نتيجة الصراع على السلطة داخل العائلة الإيلخانية. كانت القبيلتان في الفترة (٧٣٣-٧٣٥هـ/ ١٣٣٣-١٣٣٤م) في حالة صراع في شمال كردستان، لدرجة أن الصراع أسفر عن تدمير كثير من بلدات أرضروم. لكن الأهمية الحقيقية لقبيلة آق قوينلو برزت مع حملات تيمورلنك في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث حضر عثمان قرةيولوك زعيم آق قوينلو عند تيمورلنك الذي أقطعه عددا من بلدات شمال كردستان.

في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ولما كانت دولة قرة قوينلو في أوج نفوذها، كانت قبيلة آق قوينلو في إقليم دياربكر تشكل تهديدا لتلك الدولة، وهناك مصادر زعمت سيطرة آق قوينلو على أربيل لكن لا دليل يثبت صحة هذا، بل من الثابت أن أمراء قرة قوينلو الثلاثة، قرةيوسف وإسكندر وجهانشا، لم يسمحوا بوقوع أربيل في يد آق قوينلو.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تحولت آق قوينلو من خصم إلى حاكم لكردستان وإيران والعراق ومناطق أخرى مجاورة، ما ساعد في أن تتعامل مع مدينة أربيل تعاملا شبيها إلى حد بعيد بما كان يحصل في عهد قرة قوينلو، ولهذا الغرض كان على الحاكم السابق أن يظهر الخضوع ويبقى في الحكم أو يستبدل بحاكم مقرب إلى آق قوينلو. لكن آق قوينلو لم تتمكن طوال فترة حكمها من بسط سيطرتها على أطراف أربيل بل وفشلت حملاتها على بقايا الزرزارية وإمارة سوران.

في معرض روايته عن آق قوينلو، تحدث المؤرخ أبوبكر طهراني عن قيام جهانشا أمير قرة قوينلو في العام (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) عندما عصاه ابنه بيربوداق في بغداد، وأراد أن يحمل عليه، بالإرسال إلى أوزون حسن (حسن الطويل) زعيم آق قوينلو يعده بمنحه أربيل وسنجار والموصل إذا قطع طريق الفرار عن بيربوداق، وفي النهاية قضى جهانشا على العصيان. وفي الواقع فإن جهانشا حقق بغيته، وبالرغم من هذا التعهد فإن أربيل لم تقع في قبضة آق قوينلو في حياة جهانشا.

في العام (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) قرر جهانشا شن هجوم واسع النطاق على آق قوينلو، فسار قاصدا إقليم دياربكر، وكانت النتيجة أن قتل جهانشا على يد آق قوينلو وسارت دولة قرة قوينلو نحو الهاوية. وبهذا فتحت أبواب بلاد قرة قوينلو في وجه أوزون حسن، وبعد أن كتب رسائل الفتح والنصر ووجهها إلى أمرائه وحكامه، أعلن شاعلي حاجيلو قرة قوينلو حاكم أربيل وسنجار خضوعه لأوزون حسن ووضع أمر أربيل في يد خليل تواجي. ويبدو أن القصد من وراء أربيل كان قلعتها بالدرجة الأساس مع أن القلة والمدينة كانتا مع بعضهما.

في العام (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) أرسل أوزون حسن ابنه مقصود لاحتلال أطراف أربيل والموصل وبغداد، تمكن خليل تواجي في البدء من إخضاع أربيل والموصل وسنجار وقلعة فولاذ لسلطته. بعد ذلك أعادت آق قوينلو لعلي حاجيلو السلطة على الموصل وأربيل وانتفعت من جيش أربيل في حملات أخرى.

في الأخير، قرر أوزون حسن في العام (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) الهجوم على الإمارات الكردية، فهاجم ابنه مقصود وعدد من الزعماء قلعة هاوديان (خفتيان) وأطرافها، وتمكن الأمير رستم أوران من المقاومة والدفاع فأجبر جيش آق قوينلو على الهزيمة، لكن أولئك القواد نهبوا في طريق عودتهم كل ما طالته أيديهم وجمعوا ثروة كبيرة. ويذكر أن آق قوينلو باشرت حملة واسعة لإسقاط الإمارات وأسقط بالفعل عدة إمارات كردية، لكنها منيت بالفشل في هاوديان (سوران) والعمادية.

في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، برز صراع شديد على السلطة بين أحفاد أوزون حسن، فاستقطع الأمير ألوند إيران والعراق، واستأثر الأمير مراد بإقليم دياربكر وأذربيجان، وأضحت أربيل موضع صراع خلف آثارا سلبية عليها. وكانت نهاية الصراع أن قام الشاه إسماعيل الصفوي في العام (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م) باحتلال العاصمة تبريز، وبعد سنة وفي خضم الهجوم على (ذوالقدر)، ذهب إليه أمير الموصل معلنا خضوعه، وهي إشارة إلى وقوع أربيل أيضا تحت سلطة الصفويين، وفي العام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) انطلق الشاه إسماعيل من الموصل لاحتلال بغداد وقضى على سلطة آق قوينلو.

# أربيل في العهد العثماني

يُغطي العـهد العثمانـي أربعة قرون تقريباً من تاريـخ أربيل الحديث، أي منذ النصف الأول من القـرن الســادس عـشـر الميـلادي حـتى الاحـتـلال البريطانـي للمدينة عام ١٩١٨م. والواقع أن المعلومات التاريخية المتاحة لدينا عن الفتـرة المبكرة من ذلك العـهد قليلة، فضـلاً عن وجود تضـارب فيـها. ومما لا شك فيـه أن الأرشيف العـثمـانــي، الذي تُقدر مـحتـوياته بحوالـي ٢٠٠ مليون وثيقة، يتضمن وثائق تخص جوانب عديدة من تاريخ أربيل، وهي بانتظار جـهود المؤرخين والباحثين للكشف عنها. وسنحـاول التعرف على الملامح الأساسية لتاريخ أربيل في العـهد العثمانــي مـن خـلال عـدة مـحــاور تتناول التــاريخ الســيــاسي، والإدارة العــثـمــانيــة وتشكيلاتها، والأوضاع العامة في المدينة فـي ذلك العهد، ثم زوال الحكم العثمانــي.

**- التاريخ السياسـي:**

مع قيام الدولة الصفوية الشـيعية في إيران في مطلع القرن السادس عشر الميـلادي استطاع مؤسسـها الشاه إسماعيل الصفوي، الذي دام حكمه بين عامي ١٥٠١-١٥٢٤م، توسيع حدود دولتــه خلال العقد الأول من حكمـه لتشـمل مـعظم أنحـاء إيران والعـراق وشـرق وجنوب شـرق الأناضـول، أي أنه شمل القسم الأكبر من كردسـتان، ومنه أربيل التي

احتلها الصفويون عام ١٥٠٨م. وعلى أي حال، لم تبق هذه المدينة تحت حكم الصفويين طويلاً إذ سرعان ما تم طردهم منها بعد حوالي ١٠ أعوام. ويوجد اختلاف في الرأي بين المؤرخين بخصوص من قام بتحرير المدينة، فمنهم من يذكر أن ذلك تم على يد القوات العثمانية في عام ١٥١٨م، أي بعد أعوامٍ قليلة من إلحاق الهزيمة بالشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران في ٢٣ آب ١٥١٤م من قبل الجيش العثماني، الذي كان يقوده السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥١٤م). إلا أن هذا الرأي ليس دقيقاً على ما يبدو لأن اسم أربيل لا يظهر ضمن التقسيمات الإدارية العثمانية حتى أربعينات ذلك القرن. ومن المؤرخين من يذكر أن الكرد هم الذين حرّروها، وهذا الرأي هو الأكثر ترجيحاً. والسبب في ذلك أن أساس هذا ما ذكره المؤرخ الكردي شرف خان البدليسي (ت١٠١٢هـ /١٦٠٣م) في كتابه الذائع الصيت عن تاريخ الكرد والإمارات الكردية، الـ"شرفنامه". فقد عاش هذا المؤرخ في القرن السادس عشر الميلادي، أي أنه قريب زمنياً من تاريخ الحوادث المذكورة، كما أنه كان من مثقفي عصره، وعارفاً جيداً بتاريخ الكرد. ولتوضيح مسألة تحرير الكرد لأربيل لا بُد من العودة إلى الوراء قليلاً.

قبل معركة جالديران سيطر الصفويون على معظم كردستان سيطرةً مباشرةً وقوية. وكان الكرد عموماً يتململون من الحكم الصفوي، ففضلاً عن الاختلاف المذهبي بين الصفويين الشيعة ومعظم الكرد الذين كانوا على المذهب السني الشافعي، فإن الشاه إسماعيل الصفوي، الذي كان منتشياً بالصعود السريع للقوة الصفوية، إنتهج سياسة غير حكيمة تجاه الكرد. ومن معالم تلك السياسة إخضاعهم للحكم الصفوي المباشر، والعمل على عزل الأمراء الكرد وتعيين قادة صفويين محلهم

لحكم مناطقهم. وفي مثل هذه الظروف جاء النصر العثماني على الصفويين في جالديران في ٢٣ آب ١٥١٤م مع ما ترتّب على ذلك من نتائج مُهمة ليس بالنسبة للصراع العثماني- الصفوي فقط، بل بالنسبة لتاريخ الكرد الحديث أيضاً. فقد أدت الاستعدادات الصفوية لمواجهة العثمانيين، ثم هزيمتهم في جالديران إلى قيام إنتفاضات ضدهم في كردستان. ومن جهة أخرى أدرك السلطان سليم الأول أهمية دور الكرد وموقع بلادهم الستراتيجي في الصراع الطويل الأمد مع الصفويين، ولذا سعى إلى كسب الأمراء الكرد إلى جانبه من خلال الاعتراف باستقلالهم الذاتي وحكمهم الأُسري الوراثي، في مقابل تقديمهم العون العسكري للدولة العثمانية عند الحاجة. وكان للملا إدريس البدليسي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) الذي كان يعمل مستشاراً لدى السلطان سليم الأول دور أساسي في ترتيب تلك العلاقة بين الدولة العثمانية والكثير من الأمراء الكرد، ومنهم أمراء موكري وبرادوست والعمادية وبوتان وسوران وغيرها. وبقدر تعلق الأمر بأربيل فإن أمير سوران (سيدي بن شاه علي بك) تحرّك ضد الصفويين ونجح في تحرير كركوك وأربيل وتقلّد زمام الأمور فيها بنفسه واستقل في حكم إمارة سوران وملحقاتها لحين وفاته في ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. وقد أعقبه في الحكم ابنه الأمير عزالدين شير، الذي عُرف بتقديره للعلم والعلماء وبنائه العديد من الجوامع والمدارس الدينية في أربيل وكركوك.

إستمر حكم الأمير عزالدين شير حتى مقتله في عام ١٥٣٥م بأمرٍ من السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م). ففي عام ١٥٣٤م خرج السلطان المذكور على رأس حملة عسكرية ضد الدولة الصفوية عُرفت في التاريخ العثماني باسم حملة العراقين "عراقين

سفري". وكان من نتائج تلك الحملة بسط السيطرة العثمانية على بغداد في نهاية عام ١٥٣٤م، وقد أمضى السلطان سليمان عدة أشهر هناك نظم خلالها الإدارة العثمانية في بغداد ووسط العراق ثم قفل عائداً إلى إسطنبول في ربيع ١٥٣٥م. وفي سياق تلك الحملة تم تدبير أمر مقتل أمير سوران عن طريق الحيلة بدعوته إلى مجلس السلطان العثماني لتكريمه بهدية. ووفقاً لما ذكره (نصوح مطراقي زاده)، الذي كان مرافقاً للسلطان في حملة العراقين ودوّن معلومات عنها في كتابه "بيان منازل سفري عراقين"، فإن الحيلة انطلت على الأمير السوراني الذي حضر إلى مجلس السلطان سليمان القانوني ليثبت حسن نواياه، إلاّ أنه قُتل هناك مع مُساعِديه. أما السبب وراء صدور أمر قتله، حسبما تذكر المصادر، أن الأمير المذكور إتخذ موقفاً غير ودي تجاه حملة السلطان العثماني، وتذكر مصادر أخرى أن السبب هو أن السلطان كان في طريق عودته من بغداد إلى إسطنبول وعندما وصل الموضع المسمى " كوك تبه" سمع بأن الشاه الصفوي طهماسب (١٥٢٤-١٥٧٦م) قد بعث رسالةً إلى الأمير عزالدين شير، الأمر الذي أثار شكوك السلطان العثماني فأمر بقتله.

بعد مقتل الأمير عزالدين شير أسند السلطان حكم أربيل إلى الأمير حسين بك داسني، وأضاف إمارة سوران بكاملها إلى أربيل وسلّم إدارتها إلى الأمير المذكور. واستناداً إلى ما سبق ذكره فإن السيطرة العثمانية على مدينة أربيل بدأت عام ١٥٣٥م. ومع أن أحد أفراد الأسرة الكردية الحاكمة في سوران، وهو الأمير سيف الدين بن حسين بن بوداق، إستطاع العودة إلى حكم الإمارة واسترداد أربيل، بعد وقوف سكان الإمارة السورانية إلى جانبه وإلحاق الهزيمة بالأمير حسين بك

داسني، إلاّ أن السلطان سليمان القانوني لم يقبل بهذا الوضع وطلب من حاكم العمادية وآخرين من أمراء الكرد القضاء على الأمير سيف الدين لكن محاولاتهم باءت بالفشل. وقد حاول الأمير سيف الدين لاحقاً الحصول على عفوٍ من السلطان سليمان القانوني، لكن الأخير استغل الفرصة وأمر بقتله وكان ذلك في ٤ ذي الحجة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م. ثم أسند السلطان العثماني إدارة أربيل، مدةً من الزمن، إلى حاكم العمادية سلطان حسين بك لما كان يتمتع به من حظوةٍ لديه بسبب مشاركته في الحملات العثمانية ضد الصفويين ومؤيديهم. وبعد ذلك عُهدت إدارة أربيل إلى أشخاص مُعيّنين من قبل الحكومة المركزية في إسطنبول، غير أن سيطرة وفعالية الإدارة العثمانية كانت تتوقف على مدى قوة الدولة العثمانية نفسها، فضلاً عن الظروف الإقليمية المتمثلة في الصراع العثماني-الإيراني، والمحلية المتمثلة في دور الإمارات والعشائر الكردية في المنطقة.

بالرغم من أن أربيل كانت مدينة بعيدة عن مناطق التخوم العثمانية – الإيرانية، إلا أنها عانت أكثر من مرة بشكل مباشر من الصراع الصفوي – العثماني. ففي عام ١٦٢٣م إحتل الشاه الصفوي عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٩م) مدينة بغداد، واستغل الفرصة لاحتلال مدن أخرى، ومنها كركوك والموصل. ولتحقيق ذلك الهدف أرسل قوة صفوية بقيادة (قره جغي خان) لاحتلال الموصل، وحققت الحملة هدفها وبقيت الموصل تحت الإحتلال الصفوي إلى أن استردها العثمانيون في وقت ما بين عامي ١٦٢٣- ١٦٢٥م. كما كلف الشاه حاكم إمارة أردلان الكردية الموالي له خان أحمد خان بقيادة حملة عسكرية لاحتلال كركوك وأنحاء شهرزور. ووفقاً لما ورد في أكثر من مصدر استطاع خان أحمد خان

تحقيق أهداف الحملة إذ استولى على كركوك وكويسنجق وحرير ورواندز والعمادية، كما هاجم المناطق اليزيدية، وصار يحمل لقب "بكلربك شهرزور" أي والي شهرزور. ومع أن اسم أربيل لا يرد ضمن هذه الوقائع، إلا أنها كانت تابعة إدارياً لولاية شهرزور التي كان مركزها مدينة كركوك، وبالتالي من غير المحتمل أن تبقى بمعزل عن تأثير الصراع العثماني – الصفوي حينئذٍ. ومن جهة أخرى فإن سقوط الموصل وكركوك ومناطق أخرى قريبة بيد قوات صفوية أو موالية لها يرجح إحتمال مواجهة أربيل مصيراً مماثلا بسبب موقعها القريب من تلك المدن والمناطق. وعلى أية حال لم يمض وقت طويل حتى تمكن العثمانيون من استرداد هذه المدن والمناطق أيضاً إنطلاقاً من الموصل. وفي عام ١٦٣٨م قاد السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣–١٦٤٠م) حملة عسكرية كبيرة واستردّ بغداد من الصفويين، ومن الجدير بالذكر أن الكرد ساهموا في تلك الحملة، ومنهم رؤساء العشائر الكردية في الموصل وكركوك وشهرزور وأربيل. وفي العام التالي تم توقيع معاهدة صلح زهاو التي ضمنت السلم بين الدولتين لأكثر من ثمانين عاماً.

وفي عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م عاشت أربيل تجربة مريرة أخرى في إطار الصراع العثماني – الإيراني عندما قاد حاكم إيران نادرشاه الأفشاري (١٧٣٦–١٧٤٧م) حملة عسكرية كبيرة إستهدفت بغداد والبصرة والموصل. وقد تولى هو شخصياً قيادة القسم الأكبر من الحملة، والذي تألف من أكثر من ٢٠٠ ألف رجل، نحو الموصل عبر مدن كركوك وأربيل. وقد إستولت تلك القوات على كركوك ثم إتجهت نحو أربيل واستولت عليها بعد حصار قصير، ووفقاً لما ذكره المؤرخ الموصلي ياسين بن خير الله الخطيب العمري (ت بعد ١٨١٦م) فإن نادر شاه

"قتـــل غالب أهلـها وسبى نساءها وأطفالها وما تركوا (يقصد قوات نادر شـاه) قبـيـحـةً إلاّ فـعلوها". أمـا المؤرخ (رسـول حـاوي الكركوكلي) فقـد تحدّث عن اسـتـباحـة نادر شـاه وقـواتـه لمدينة كركـوك حيث اعـتـدوا على الأهالي وعلى أعراضـهم وأموالهم وسـبوا نسـاءهم، ثم يقول عمّا ارتكبه نادر شـاه في أربيل "وعـمل بهـا وبأهلهـا مـا عملـه بأهالي كـركـوك". ولم تستمر محنة أربيل طويلاً بسبب فشل حصاره للموصل، الذي دام حوالي شهر ونصف، كما أن المشكلات التي واجهت حكمه فـي إيران دفعته إلى التعجيل بسحب قواته من العراق عموماً، وكان ذلك آخر تهديد مباشر تتعرّض له أربيل من إيران.

من جـهـة أخـرى لم تكن أربيل بمنأى عن الصـراعـات التي تنشـأ بين الإمـارات الكردية المجاورة وبين السلطات العـثمـانيـة أو القـوى المحليـة الحاكمة في العراق. فعلى سبيل المثال وقف ثلاثة من أمـراء البابان، وهم سليم باشـا وعـثـمـان بـاشـا وقـوج باشـا، فـي عـام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠-١٧٥١م ضـد والي بغـداد المملوكي سليـمـان باشـا أبو ليلة (١٧٥٠-١٧٦٢م). وقـد انحـازت أربيل إلى الأمـراء البـابانيين إذ تذكـر المراجع التاريخية أن الوالي المملوكي كتب إلى "ألويـــة بابان وكوي وحرير ودرنه وأربل وزنكنه خـاطب بهـا العلمـاء والأعيان والأمـراء والرؤسـاء والشيوخ وسـائر الأهلين يدعـوهم إلى الطاعـة والصـواب...". وبعـد مـواجـهـات استمرت أياماً بين قوات والــي بغداد وأمراء بابان قُتل عثمان باشا، وفرّ سليم باشا في حين لجأ قوج باشا إلى أربيل وتحصّن فيها. وقد هاجم والي بغـداد أربيل وفرض حـصـاراً على قلعـتـهـا، وانتـهى الأمـر بدخـول القلعة ومقتل قوج باشا بعد أن قـاتـل بشجاعة. ثم عاد الوالي إلى بغداد بعد أن نصّب سليمان باشا البابانـي متصرفاً على إمارة بابان. ووفقاً

للمراجع التاريخية فإن هذا الأخير قد "ولّي إمارة بابان وكوي وحرير ولواء أربيل..." ومقاطعات أخرى، وبقيت أربيل تحت حكم البابانيين لسنوات عديدة بعد ذلك.

ويرد ذكر أربيل عرضاً ضمن مجريات حوادث أخرى شهدتها مناطق مجاورة، فقد قصدتها قوات تابعة لولاة المماليك في بغداد أكثر من مرة في طريقها إلى الموصل. ومن ذلك الحملة العسكرية التي أرسلها الوالي سليمان باشا الصغير (١٨٠٨-١٨١٠م) إلى الموصل في عام ١٨٠٩م بعد مقتل واليها الموالي له أحمد باشا بن بكر أفندي، والحملة التأديبية التي قادها الوالي عبدالله باشا (١٨١٠-١٨١٣م) في عام ١٨١٢م ضد والي الموصل سعدالله باشا الجليلي. وكذلك الإجراء الاحترازي الذي إتخذه والي بغداد داود باشا (١٨١٧-١٨٣١م) أثناء الحرب مع إيران في ١٨٢١م حيث أرسل قوة من ٢٠٠٠ رجل تحسباً من محاولات قد يقوم بها أمراء بابانيون موالون لإيران لبسط سيطرتهم على تلك الأنحاء.

في مثل تلك الظروف كانت إمارة سوران في رواندز تزداد قوةً على عهد أميرها محمد باشا "ميري كوره"، الذي تولى حكم الإمارة منذ عام ١٨١٤م. وقد عمل الأمير المذكور على تعزيز قوة الإمارة واستقلالها، وتوسيع نطاق سلطانها على مناطق واسعة من كردستان، بما فيها مناطق كانت ضمن سلطة إمارتي بابان في السليمانية وإمارة بادينان في العمادية. وبقدر تعلق الأمر بأربيل بدأ الأمير محمد باشا بالإتصال بالرؤساء المحليين فيها لكسبهم إلى جانبه. وفي وقت لاحق تحركت قواته واستولت على منطقة خوشناوتي، وواصلت زحفها جنوباً ودخلت أربيل دون قتال ثم أخضعت المناطق القريبة والمحيطة بها. واستمرت أربيل

تحت حكم أمير سوران حتى سقوط تلك الإمارة في عام ١٨٣٦م إثر حملة عسكرية عثمانية كبيرة ساهم فيها أيضاً والي بغداد (علي رضا باشا اللاز) ووالي الموصل (محمد إينجة بيرقدار). ففي منتصف شهر تموز من ذلك العام استولى الجيش الذي كان يقوده علي رضا باشا على بلدة آلتون كوبري، وفي أوائل شهر آب استولى ذلك الجيش على مدينة أربيل بعد مقاومة قوية من القوات الكردية فيها.

وقد نفذ علي باشا مذبحة بحق قوة كردية مؤلفة من ٤٠٠ مقاتل داخل قلعة أربيل، بعد أن نكث وعداً بضمان سلامتهم لقاء تسليم القلعة إليه. ولم يسلم أهالي أربيل أيضاً من القتل العشوائي على يد القوة العثمانية حيث تعرّض العديد منهم للقتل. ومنذ ذلك الحين بقيت أربيل تحت الحكم العثماني المباشر لحين احتلالها من قبل القوات البريطانية في عام ١٩١٨م.

- الإدارة العثمانية في أربيل:

طبّق العثمانيون تقسيماتهم ونظمهم الإدارية في العراق، وقد قسموه بعد استكمال السيطرة عليه إلى أربع مقاطعات كبيرة يُطلق على كل منها تسمية "إيالة" أي ولاية. وقد تأسست إيالة بغداد في عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤-١٥٣٥م، وإيالة البصرة في ٩٥٢هـ ١٥٤٦م، وإيالة شهرزور في وقتٍ ما بين عامي ٩٦٨-٩٧٢هـ/ ١٥٦٠-١٥٦٤م، وإيالة الموصل في ٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م. وتُدار كل ولاية من قبل والٍ يُدعى "بكلربكي"، أي أمير أمراء، أو باشا. وتنقسم الإيالة إلى وحداتٍ إدارية أصغر هي السناجق (الألوية)، ويتبع كل سنجق عدد من النواحي، ويدار كل سنجق من قبل "سنجق بكي" أي أمير اللواء.

وفقا لوثيقة عثمانية مؤرخة في ٩٢٨هـ/١٥٢٢م كانت "إيالة سوران" وسناجق الموصل وسنجار وعانه تابعة إلى إيالة دياربكر، وإذا علمنا أن أربيل كانت تابعة حينئذٍ لإمارة سوران فإن هذا يعني أنها كانت ضمن إيالة دياربكر التي أسسها العثمانيون حديثاً. ويرد ذكر أربيل في وثيقةٍ عثمانية أخرى مؤرخة في ٩٤٦هـ/ ١٥٤٢م على أنها ناحية تتبعها ٤١ قرية. ثُم تغيّر وضعها الإداري إلى سنجق مرتبط بولاية بغداد وِفقاً للتقسيمات الإدارية الواردة في قائمة عثمانية مؤرخة في ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م. واستمر ذكر أربيل في وثائق عثمانية أخرى حتى نهاية سبعينات القرن السادس عشر الميلادي ثُم ألحقت بأيالة شهرزور. ومع أن سنجق أربيل ألحق بأيالة الموصل عند تأسيسها في عام ١٥٨٦م، إلاّ انه أُعيد إلى إيالة شهرزور في ١٥٨٨م وبقي مرتبطاً به. ومن الجدير بالذكر أن معظم سناجق إيالة شهرزور كانت تُدار من قبل أُسر محلية كردية تتوارث إدارتها أباً عن جد، إلاّ أن عدداً منها كان يتولاه أمراء عثمانيون، ومنها سنجق أربيل. وعلى أي حال فإن ضعف السلطة المركزية في إسطنبول، أو إنشغال الدولة بالمشكلات والحروب في أوروبا، كان يتيح المجال للإمارات الكردية المجاورة لمد نفوذها إلى أربيل كما لاحظنا .أو أن سلطة إيالة بغداد تتسع لتشمل مناطق أخرى، بما فيها أربيل. ففي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م أُلحقت إيالتا شهرزور والبصرة بسلطة والي بغداد، ولم تظهر شهرزور كإيالة مستقلة مرة أخرى حتى عام ١٨٤٩م وبعد ثلاثة أعوام فقط أعيد إلحاق إيالة شهرزور ببغداد مرة أخرى. وحسب التقسيمات الإدارية لايالة بغداد في تلك الفترة كانت أربيل من توابع سنجق كويه. والحقيقة أن أربيل لم تسترد وضعها الإداري السابق كسنجق حتى نهاية العهد العثماني. وكانت الدولة

العثمانية قد شهدت حركة إصلاحات عامة في القرن التاسع عشر، من ضمنها استخدام تسمية ولايات بدلاً من إيالات وتقسيمها إلى سناجق وأقضية ونواح، وإدخال تغييرات على إدارتها. وفي ظل هذه التغييرات استقر تقسيم العراق إلى ثلاث ولايات في النصف الثاني من ذلك القرن، وهي ولايات بغداد والبصرة والموصل. وقد تألفت الولاية الأخيرة من ثلاثة سناجق هي "الموصل وكركوك والسليمانية"، وكانت أربيل قضاءاً ضمن سنجق كركوك يُدار من قبل قائمقام، وتتبعه ناحيتان هما "سلطانية وديزَيي (قوش تبه)"، ثم أضيفت إليها ناحية ثالثة هي ناحية شَمامك.

لا ترد فـي المصادر التاريخية المتاحة حتى الآن معلومات مفصّلة عن التشكيلات الإدارية في سنجق أربيل حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكل ما يرد فيها هو أسماء عدد من الذين تولوّا منصب السنجق بكي فيه، ومن هؤلاء بكر بك الذي كان سنجق بكا عليها في عام ٩٦٧هـ/ ١٥٥٩–١٥٦٠م، وإسماعيل بك في ٩٨٢–٩٨٥هـ/ ١٥٧٤–١٥٧٧م، ومحمد بك في ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧–١٥٧٨م، وأحمد بك في ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م. وفي أواخر ربيع الأول ١٠٥٠هـ/ تموز ١٦٤٠م عُهد لواء أربيل إلى والي شهرزور نفسه على أن يقوم بإعداد رجال (مقاتلين) فيه. وفي مطلع القرن الثامن عشر كان يتولى إدارتها محمد بك، وبناءاً على رضا الأهالي عنه فقد أُبقي في وظيفته. وتولى اللواء فيما بعد عمر بك، وفي ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م تولاه خضر بك بتوصيةٍ من والي شهرزور، إلاَ أنه أخفق فـي حفظ وحراسة اللواء واشتكى منه الأهالي فعُزل من منصبه وعُهد بإدارة اللواء إلى شخص يُدعى عبدالله في ١٥ محرم ١١٣٨هـ/ ٢٣ أيلول ١٧٢٥م. وحسب الوثائق العثمانية كان يتولى

إدارة أربيل قبل سنة ١٧٣٤م شخص يُدعى مصطفى بك، وأعقبه شخص آخر يُدعى علي بك، الذي جُددت له ولايته في عام ١٧٣٨م.

ووفقاً لما ذكره الرحّالة الدانمركي كارستن نيبور، الذي مرّ بأربيل في عام ١٧٦٦م، والرحّالة الفرنسي أوليفييه، الذي مرّ بها في أواخر ذلك القرن، كان يوجد في المدينة حامية قوية من قوات الإنكشارية العثمانية. ومع عدم وجود معلومات أخرى يمكننا القول، قياساً إلى الإدارة العثمانية في السناجق عموماً، أن الموظفين الأساسيين في السنجق هم "القاضي الذي يتولى إدارة المحكمة الشرعية، والدفتردار المسؤول عن الأمور المالية وحسابات السنجق، وربما كاتب أو أكثر لتولي أمور مراسلات السنجق مع مركز الولاية أساساً".

أما المعلومات عن إدارة أربيل في العقود الأخيرة من العهد العثماني عندما كانت قضاءاً تابعاً لسنجق كركوك في ولاية الموصل فهي أكثر، إذ أن "السالنامات"، أي الكتب السنوية، الخاصة بولاية الموصل تقدم لنا معلومات أفضل في هذا الجانب. ومن المعروف أن ولاية الموصل أصدرت خمس سالنامات في الأعوام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، و١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، و١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، و١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، و١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

ومن خلال المعلومات الواردة في هذه السالنامات يمكن إعطاء صورة واضحة عن الإدارة العثمانية فيه في تلك العقود، وعلى النحو الآتي:

١- الحدود الإدارية: يقع قضاء أربيل بنواحيه الثلاث (سلطانية، ديزَيي، شَمامك) بين قضاءي كويه ورانيه من الشرق والجنوب الشرقي، وقضاء رواندز من الشمال حيث يشكل نهر بستورة الحد الفاصل بينهما، وناحية آلتون كوبري من الجنوب الغربي، وسنجق الموصل من

الغرب حيث يشكل نهر الزاب الأعلى الحد الفاصل بينهما.

٢- إدارة القضاء: تألفت هيئة إدارة قضاء أربيل من عددٍ من الموظفين في مركز القضاء والنواحي المرتبطة به. ويأتي القائمقام على رأس تلك الهيئة، ويتم تعيينه من قبل الحكومة المركزية في إسطنبول. ويُعد القائمقام مسؤولاً عن الأمور المدنية والمالية والأمنية ودوائرها في القضاء، وتنفيذ جميع أوامر الدولة وتعليماتها التي ترد إليه عن طريق رئيسه المباشر (أي متصرف سنجق كركوك)، فضلاً عن تنفيذ الأحكام الصادرة عن المحاكم إذ كانت ضمن حدود صلاحياته، أما التي تقع خارج حدود صلاحياته فعليه الحصول على إذن من مُتصرف كركوك لتنفيذها. ومن ضمن مهامه أيضاً ترشيح مدراء النواحي التابعة للقضاء وتفتيش دوائرها. وكان راتب القائمقام يتحدد على أساس صنف القضاء، ولما كانت أربيل قضاءاً من الصنف (٢) فإن الراتب الشهري لقائمقام أربيل بلغ ١٧٥٠ قرشاً، أي ١٧,٥ ليرة عثمانية. وتذكر المصادر أسماء عدد ممن تولّوا هذا المنصب في أربيل ومنهم "الحاج بكر آغا في عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وعبدالله باشا بين عامي ١٣٠٧-١٣١٣هـ/ ١٨٨٩-١٨٩٥م، ومصطفى صبري باشا في عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٦م، ونهاد بيك في عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧-١٩٠٨م، ومحمد علي بيك في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١-١٩١٢م.

ومن الموظفين الأساسيين في القضاء مدير المال، الذي يتولى إدارة الشؤون المالية وتسوية الحسابات (الإيرادات والمصروفات) من خلال تطبيق الإجراءات والأنظمة المالية، والتعليمات المبلّغة إليه من محاسب السنجق، أي محاسب كركوك. والموظف الآخر هو كاتب التحريرات،

وتتلخص واجباته في المكاتبات الرسمية الخاصة بقضاء أربيل، وحفظ الأوراق والسجلات الخاصة بها.

وتذكر السالنامات عدداً آخر من المأمورين (الموظفين) في أربيل مثل أمين الصندوق "صندوق أميني"، وكاتب الضرائب "ويركو كاتبي"، ومأمور النفوس الذي يساعده كاتب نفوس ويقومون بالمهام التي تقوم بها دائرة الأحوال المدنية حالياً، ومأمور مخزن "أنبار مأموري"، وموظف الإتصالات البرقية "تلغراف مأموري"، وكاتب الطابو. وثمة تغييرات وظيفية تشير اليها السالنامات، ففي سالنامة ولاية الموصل لعام ١٣١٠هـ يرد ذكر وظيفة كاتب ضرائب ديزَيي" ديزَيي ويركو كاتبي" ومعه كاتب ثان، إلاّ أن سالنامة ١٣١٢هـ تذكر وظيفة كاتب ضرائب الخارج "برّاني ويركو كاتبي" بدلاً من الوظيفة السابقة، كما يرد فيها ذكر مدير دائرة البرق والبريد "تلغراف وبوسته مديري"، وموزع البرقيات، ووكيل الأوقاف. أما سالنامة ١٣٢٥هـ فتعاود ذكر كاتب ضرائب ديزَيي فضلاً عن كاتب ضرائب الخارج. ويرد في هذه السالنامة ايضاً ذكر مفتش جباية الضرائب "تحصيلات مفتشي" إلى جانب ستة جباة ضرائب، اربعة منهم خيّالة "سواري تحصيلداري"، واثنان مشاة "بياده تحصيلداري"، ومن المرجح أن الخيّالة كانوا يختصون بجباية الضرائب من النواحي والقرى التابعة لأربيل.

الواقع أن جباية الضرائب والرسوم كانت من ضمن أولويات الإدارة العثمانية في أربيل، كما هي الحال في بقية مناطق الدولة العثمانية. وبعد أعوام قليلة من القضاء على إمارة سوران وعودة الحكم العثماني المباشر في أربيل شهدت الدولة العثمانية عملية إعادة تنظيم للأمور المالية في الدولة من حيث الإدارة المالية والنظام النقدي والضرائب

والرسوم. وبموجب إعادة التنظيم هذه كانت الضرائب والرسوم المهمة هي:

أ- ضريبة الأعشار: وهي من الضرائب التي تُفرض على غلة الأرض الزراعية، ونسبتها قانوناً ١٠٪ إلا أن واقع الحال أنها كانت تجبى بمقادير أعلى من جانب الملتزمين، وكذلك مأموري الضرائب المُعينين من الدولة. كما عمدت الدولة إلى رفع النسبة الرسمية للأعشار ما بين عامي ١٨٨٣-١٩٠٠م بحيث بلغت ١٢,٦٣٪ بعد إضافة ٠,٥٪ باسم حصة المعارف و٠,٥٪ لدفع الغرامات الحربية إلى روسيا بعد حرب ١٨٧٧-١٨٧٨م، و١٪ لتأسيس المصرف الزراعي، و٠,٦٣٪ باسم التجهيزات العسكرية.

ب- ضريبة الأملاك (ويركو الأملاك): وتُفرض على جميع العرصات والأراضي المملوكة والمسقفات المعدة للسكن والأيجار بنسبة ٤ من ١٠٠٠ من قيمتها، وعلى الإيرادات السنوية للمسقفات المعدة للأيجار بنسبة ٤٪ من قيمة الإيجار، وقد تغيرت هذه النسب لاحقاً.

ج- ضريبة الدخل (تمتع ويركوسي): وهي بمثابة ضريبة الدخل في أيامنا هذه، وكانت تؤخذ بنسبة ٣٪ من الدخل السنوي للعاملين في التجارة. وارتفعت النسبة إلى ٤٪ في ١٨٧٩م، ثم إلى ٥٪ في عام ١٨٨٥م. ولم تكن هذه الضريبة تؤخذ من الموظفين إلى عهد حكومة الإتحاديين بعد انقلاب عام ١٩٠٨ م.

د- رسوم المواشي (الكودة): وهي من الرسوم القديمة في الدولة العثمانية، وتغيرت جبايتها عيناً أو نقداً من فترةٍ إلى أخرى. وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت قيمتها ٣,٥ قرش عن كل رأس من الغنم والماعز، ومنذ عام ١٩٠٠ تجاوزت ٥ قروش، وفي أواخر العهد

العثماني وصلت إلى ٩,٥ قرش عن كل رأس من الغنم والماعز في ولاية الموصل وكانت أربيل تابعةً لها.

وإضافةً إلى ما سبق هناك رسوم وضرائب أخرى مثل البدل النقدي العسكري الذي يدفعه غير المسلمين مقابل الإعفاء من أداء الخدمة في الجيش العثماني، ورسم إعمار الطرق، وضرائب الأسواق والتجارة، ورسوم المحاكم وغير ذلك. وفي سالنامات ولاية الموصل جداول إجمالية بإيرادات هذه الضرائب والرسوم لكل من سناجق الموصل والسليمانية وكركوك، أي أن إيرادات قضاء أربيل تحتسب ضمن سنجق كركوك بحكم التبعية الإدارية. وبحسب تلك السالنامات بلغ إجمالي الإيرادات السنوية لسنجق كركوك، وكان يسمى سنجق شهرزور أيضاً، ٧٥٣٢٥٧٠ قرشاً في عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠ م و٦٩٨٣٧٢٦ قرشاً في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، و٦٦٩٨٤١٠ قروش في عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.

٣- القضاء والمحاكم: كانت الأمور القضائية والعدلية في أربيل ضمن اختصاص محكمتين، الأولى هي المحكمة الشرعية التي تنظر في قضايا الأحوال الشخصية أساساً وفق أحكام الشريعة الإسلامية. وحسب سالنامة ١٣٣٠هـ كان مِلاك المحكمة الشرعية في أربيل يتألف من نائب الشرع (أي القاضي) سليمان بيك ورئيس كُتاب "باشكاتب" وكاتب ثان ومحضِر مهمته إيصال تبليغات القاضي إلى أطراف الدعاوى للمثول أمام القاضي. أما المحكمة الثانية فهي محكمة بداءة أربيل، التي تنظر في كافة المنازعات الحقوقية، وكانت أحكامها تُستأنف في محكمة بداءة كركوك. وحسب سالنامة ١٣٠٨هـ كان ملاك محكمة بداءة أربيل يتألف من القاضي وكاتبين ومعاون محقّق "مُستنطق معاوني" وعضوين هما علي أفندي وعمر عمران

أفندي، واثنين من مـأموري التنفيـذ "إجراء مبـاشري". وتضـيف سالنامة ١٣١٢هـ إلى ملاك المحكمة موظفاً آخر هو كاتب العقود "مقاولات محرّري". كما أن سالنامة ١٣٢٥هـ تضيف وظيفة مُحقِق "مُستنطق" إلى جانب معاون المحقق المار ذكره، إلا أن سالنامة ١٣٣٠هـ تغفل ذكره.

٤- الشرطة والجيش: كانت مهمة تنفيذ الأحكام والعقوبات الصادرة عن المحاكم في أربيل تقع على عاتق قوات "الضابِطة أو الضبطية"، وهي بمثابة الشرطة الحالية، ومن مهامها أيضاً حفظ الأمن وضبط المجرمين وجلب المتهمين إلى المحاكم. وتذكر لنا السالنامات أسماء بعض ضباط هذه القوة في أربيل، التي كانت تتبع فوج ضبطية كركوك. وإلى جانب الضبطية كانت أربيل مقراً لأحد أفواج فرقة الموصل من قوات الإحتياط، ويتألف هذا الفوج من أربع سرايا أو كتائب "بلوكات".

٥- موظفوالدوائر الخاصة: كان في قضاء أربيل عدد من الموظفين العاملين في إدارات غير مرتبطة بالوزارات العثمانية وهي:

أ- دائرة الأراضي السنية التي تشرف على إدارة الأراضي الواسعة التي كان يمتلكها السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) في العراق، ومنها مناطق تقع قرب المجرى الأسفل لنهري الزاب الأعلى والأسفل، أو الكبير والصغير، ضمن حدود قضاء أربيل، وتذهب إيرادات هذه الأراضي إلى الخزينة الخاصة للسلطان المذكور. وكان لهذه الدائرة مأمور ومعه كاتبان في مركز القضاء، وشعبة في شمامك يتألف ملاكها من مأمور وكاتبين وأمين صندوق ومأمور جباية "مُحصل"، ويتبع الشعبة المذكورة معاون وكاتب في ترجيل. إلا

أن هذه الدائرة وتوابعها ألغيت بعد عزل السلطان عبدالحميد الثاني في نيسان ١٩٠٩م، وتحويل أملاكه إلى الدولة وتسجيلها بإسم وزارة المالية العثمانية.

ب- إدارة الديون العمومية العثمانية التي تأسست في عام ١٨٨١م وكانت تمثل الدائنين الأوربيين والمحليين حاملي أسهم وسندات الديون التي بذمة الدولة العثمانية. وكانت مهمة هذه الإدارة تأمين استحصال تلك الديون من خلال تخويلها حق جباية رسوم إحتكار الملح والطوابع والمشروبات الكحولية والحرير ومصائد الأسماك والتبغ، وإيرادات أخرى في أنحاء الدولة العثمانية. وكان في أربيل مأمور ديون عمومية وكاتب يعمل بمعيته. ومن الجدير بالذكر أن إدارة الديون العمومية قد أحالت حق جباية رسوم التبغ إلى شركة أوربية هي "شركة إنحصار التبغ في الإمبراطورية العثمانية"، والتي تُعرف اختصاراً باسم "ريجي"، وكان لهذه الشركة مأمور في أربيل حسبما أشارت إليه معظم سالنامات الموصل.

وفيما عدا ما سبق ذكره من الهيئات الإدارية الرسمية والخاصة في أربيل، أشارت سالنامة عام ١٣١٢هـ إلى وجود شُعبة للمصرف الزراعي "زراعت بانقَسي" في أربيل يتألف ملاكها من رئيس، وكاتب حسابات "محاسبة كاتبي"، ومُحصل أموال "تحصيلدار" فضلاً عن أربعة أعضاء من السكان المحليين (طه آغا، صالح أفندي، مختار أفندي، حسن أفندي). ومن الجدير بالذكر أن هذا المصرف كان أقرب إلى صندوقٍ لتسليف المزارعين، ولا تتوفر معلومات عن حجم نشاطه في أربيل ولكن يبدو أنه كان ضئيلاً، ذلك أن السالنامات اللاحقة لا تذكر شيئاً عنه، باستثناء إشارة واحدة في سالنامة ١٣٢٥هـ إلى وكيل كاتب المصرف

"بانق كاتبي وكيلي" في أربيل.

لقد كان للإصلاحات الإدارية العثمانية في القرن التاسع عشر إنعكاسات إيجابية إلى حد ما على إدارة الولايات والسناجق والأقضية والنواحي. إن نظام الولايات الصادر في عام ١٨٦٤م أكد على أن يكون للسكان المحليين مساهمة في الإدارة من خلال تشكيل مجالس إدارة في مراكز الولايات والسناجق والأقضية تضم في عضويتها عددا من الموظفين بصفة "أعضاء طبيعيين" وعددا من السكان المحليين بصفة "أعضاء منتخبين". وفي عام ١٨٧١م صدر نظام إدارة الولايات العمومية الذي تناول أيضاً في عددٍ من مواده تلك المجالس ومهامها. وبقدر تعلق الأمر بقضاء أربيل كان القائمقام يترأس مجلس إدارة القضاء، الذي كان أعضاؤه الطبيعيون هم "القاضي (يُشار إليه بتسمية النائب)، والمفتي، ومدير المال، وكاتب التحريرات". أما أعضاؤه المنتخبون فهم أربعة من السكان المحليين، بما فيهم غير المسلمين. ويعقد هذا المجلس أربعة اجتماعات في السنة ينظر خلالها في الأمور التي تخص قضاء أربيل، وتكون صلاحياته إستشارية فقط. وقد ذكرت السالنامات أسماء رؤساء وأعضاء مجلس إدارة أربيل وعلى النحو الآتي:

- عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠-١٨٩١م:

١- رئيس المجلس: القائمقام عبدالله باشا

٢- الأعضاء الطبيعيون: القاضي (شاغر)، المفتي عبد الرحمن أفندي، مديرالمال ولي أفندي، كاتب التحريرات صفوت أفندي.

٣- الأعضاء المنتخبون: محمد سعيد آغا، خضر آغا، نوري أفندي، حنا أفندي.

- عام ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢-١٨٩٣م:

١-رئيس المجلس: القائمقام عبدالله باشا

٢-الأعضاء الطبيعيون: القاضي سيد أحمد أفندي، والمفتي ومدير المال وكاتب التحريرات الواردة أسماؤهم في المجلس السابق.

٣- الأعضاء المنتخبون: نفس أعضاء المجلس السابق، عدا محمد سعيد آغا الذي حلّ محله سيد عبدالله آغا.

- عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤-١٨٩٥م:

١- رئيس المجلس: القائمقام عبدالله باشا

٢- الأعضاء الطبيعيون: القاضي سيد خليل أفندي، المفتي عبدالرحمن أفندي، مدير المال زينل أفندي، كاتب التحريرات صفوت أفندي.

٣- الأعضاء المنتخبون: حاجي خضر آغا، سيد عبدالله آغا، خواجه أنطون أفندي، خواجه نوري أفندي.

- عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧-١٩٠٨م:

١- رئيس المجلس: القائمقام نهاد بيك

٢- الأعضاء الطبيعيون: القاضي سيد صالح أفندي، المفتي عبدالرحمن أفندي، مدير المال عباس عاصم أفندي، كاتب التحريرات محمد سليم أفندي.

٣- الأعضاء المنتخبون: خضر آغا، علي آغا، سيدا أفندي، خواجه يوسف.

- عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١-١٩١٢م:

١- رئيس المجلس: القائمقام محمد علي بيك

٢- الأعضاء الطبيعيون: القاضي سليمان بيك، المفتي عبدالله فاضل أفندي، مدير المال محمود جلال الدين أفندي، كاتب التحريرات محمد سليم أفندي.

٣- الأعضاء المنتخبون: سيد عبدالله آغا، حاجي خضر آغا، شابو آغا، يوسف نوري أفندي.

وفي إطار إصلاحات القرن التاسع عشر صدرت أنظمة وتعليمات خاصة بالبلديات وتشكيل مجالس بلدية في المدن والأقضية. ويعود تاريخ بلدية أربيل إلى عام ١٨٨٥م، وقد تألف المجلس البلدي في أربيل من رئيس المجلس وعدد من الأعضاء، تراوح بين عضو وأربعة أعضاء، فضلاً عن كاتب المجلس وأمين صندوق. وحسب سالنامة ولاية الموصل لعام ١٣٠٨هـ كان رئيس المجلس البلدي في أربيل أحمد آغا، والأعضاء درويش آغا ومحمود أفندي وولي أفندي أما كاتب المجلس فهو يوسف أفندي. وفي سالنامة ١٣١٠ هـ كان رئيس المجلس حاجي أحمد آغا، وعضو واحد هو محمود أفندي وكاتب هو طاهر أفندي الذي كان يقوم أيضاً بمهام أمين الصندوق. وفي سالنامة ١٣١٢هـ كان الرئيس هو حاجي أحمد آغا، والأعضاء هم محمد أفندي وحسين أفندي وملا محمود وخواجه إلياهو، وكان للمجلس كاتب هو طاهر أفندي، وأمين صندوق هو باروخ أفندي. وفي سالنامة ١٣٢٥هـ كان رئيس المجلس عبدالرزاق آغا، وعضوين هما حاجي إسماعيل أفندي وخضر أفندي، وكاتب هو يوسف ضياء أفندي. ووفقاً لسالنامة ١٣٣٠هـ كان علي سامي

أفندي رئيساً للمجلس البلدي في أربيل دون ذكر أعضاء للمجلس، إلا أنها تذكر كاتب المجلس يوسف ضياء أفندي وأمين الصندوق عبدالله أفندي.

كانت واجبات المجلس البلدي عديدة وأهمها إنشاء الأبنية وتوسيع الشوارع والقيام بإصلاحها، ومراقبة المكاييل والأوزان والمقاييس في الأسواق، واتخاذ الخطوات اللازمة للمحافظة على الصحة العامة، وجباية إيرادات البلدية وإنفاقها على المنافع العامة، وغير ذلك. وقد نفذت بلدية أربيل بعض المشاريع ومنها إنشاء أول شارع في أربيل وهو شارع السراي، وإنشاء حوض كبير للماء قرب الباب الجنوبي للقلعة، وكان مصدر مياهه من كهريز كسنزان، ويستفيد منه الأهالي. وفي العام الأخير من العهد العثماني، أي عام ١٩١٨م، قامت البلدية بفتح الباب الشمالي لقلعة أربيل المسمى "باب الأحمدية"، فضلاً عن رصف بعض المحلات بالحجر لتسهيل حركة تنقل الأهالي.

أما إدارة النواحي المرتبطة بقضاء أربيل فكانت تتألف من مدير الناحية وكاتب، وقد يكون معهما أحياناً كاتب ضرائب "ويركو كاتبي" حسبما تشير سالنامة ١٣١٢هـ إلى وجوده في ناحية ديزَيي. وكان من ضمن واجبات مدير الناحية تبليغ الأهالي بما يصدر عن الدولة من أوامر وتعليمات، وتبليغ قائمقامية القضاء بالمعلومات التي يزوده بها مختارو القرى التابعة لناحيته من ولادات ووفيات والخلافات التي قد تحصل بين الأهالي بسبب الإرث ودعاوى الأراضي، وواجبات أخرى.

وقبل الإنتهاء من موضوع الإدارة لا بد من الإشارة إلى أن الدولة العثمانية أظهرت اهتماما كبيراً بالسادة والأشراف المنحدرين من آل بيت النبي محمد (ص)، وبتنظيم أمورهم ورعايتهم، ومسك سجلات

خاصة بأسمائهم حيثما وُجدوا في مدن الدولة العثمانية. وأسندت تلك المهمة إلى نقابة الأشراف، وهي من المناصب التي ورثها العثمانيون من الدول الإسلامية السابقة. ويُشترط في من يتولى هذا المنصب أن يكون من ضمن السادة والأشراف، ويُعد نقيب الأشراف من الشخصيات البارزة في المجتمع. ويعود تاريخ نقابة الأشراف في أربيل إلى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م عندما أصدر السلطان العثماني عبدالحميد الأول (١٧٧٣–١٧٨٩م) فرماناً بتعيين السيد أحمد آغا الرفاعي نقيباً للأشراف في أربيل، واستمر المنصب قائماً فيها حتى نهاية العهد العثماني في عام ١٩١٨م. أما الذين تولّوا المنصب فهم:

١- السيد أحمد آغا الرفاعي (١٧٧٦–١٧٨٢م).

٢- محمد أحمد آغا النقيب (١٧٨٢–١٨٠٥م).

٣- علي محمد أحمد آغا النقيب (١٨٠٥–١٨٢٦م).

٤- أحمد آغا الرفاعي الثاني (١٨٢٦–١٨٥١م).

٥- مجيد بن أحمد آغا الثاني (١٨٥١–١٨٧٦م).

٦- عباس محمد آغا النقيب (١٨٧٦–١٨٨٧م).

٧- محمود محمد آغا النقيب (١٨٨٧–١٩٠٣م).

٨- عبدالله باشا عباس آغا النقيب (١٩٠٣–١٩١٨م).

- الأوضاع العامة في أربيل:

لم تكن أربيل في بداية العهد العثماني سوى بلدة صغيرة تقتصر أساساً على قلعتها العريقة، فضلاً عن عدد من المساكن المتواضعة في أسفل القلعة. وكانت هذه الصورة تتناقض تماماً مع ما بلغته أربيل من سعة وعمران، ونشاط في مختلف مظاهر الحياة العامة، وخصوصاً في

عهد مظفرالدين كوكبري الذي حكمها بين عامي ٥٨٦-٦٣٠هـ/ ١١٩٠-١٢٣٢م. والواقع أن المدينة تعرضت إلى محنٍ كثيرة بعده مما أدى إلى مثل هذا التراجع في مكانة المدينة ومظاهر الحياة العامة فيها. فقد تعرضت إلى غارات المغول، الذين ما لبثوا أن احتلوها في عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، وكان هذا فاتحة مرحلة طويلة من عدم الاستقرار والفوضى التي تفاقمت لاحقاً في المنطقة عموماً في عهود الجلائريين (١٣٣٧-١٤١١م) وتركمان القرة قوينلو (١٤١١-١٤٦٧م) والآق قوينلو (١٤٦٧-١٥٠٨م)، ثم الصفويين.

لا تتوفر لدينا معلومات مهمة عن حالة أربيل العمرانية في بداية العهد العثماني، فيما عدا ما ورد في وثيقة عثمانية مؤرخة في ٩٤٦هـ/ ١٥٤٢م بأن أربيل كانت ناحية تتبعها ٤١ قرية، وأن فيها ثماني محلات (أحياء سكنية) ومصبغة أقمشة "بويه خانه" و١٥ جدول ماء "كهريز". وعلى الرغم من أن الرحَالة الهولندي ليونارد راوولف، الذي مرَ بالمدينة في نهاية عام ١٥٧٤م، وصفها بأنها "بلدة كبيرة"، ولكن الأمر المرجَح أن حالتها العمرانية لم تشهد تطوراً مهماً يُذكر حتى القرن التاسع عشر. ومما يؤيد هذا الترجيح أن الرحّالة الأوربيين الذين مروا بأربيل حتى أواخر القرن الثامن عشر أكدوا أنها بلدة صغيرة يتركز سكانها في القلعة، التي يقع أسفلها عدد من بيوت الفقراء. ولكن أولئك الرحّالة، ومنهم الدانمركي كارستن نيبور في عام ١٧٦٦م والفرنسي ج. أ. أوليفييه في عام ١٧٩٥م، ذكرا أنها كانت مدينة كبيرة فيما مضى إعتماداً على وجود آثار تدل على ذلك، ولا سيما بقايا المنارة التي تقع على مسافة ٍ بعيدة جنوب غرب القلعة، وهي المنارة التي تعود إلى عهد مظفرالدين كوكبري والمعروفة باسم منارة "شيخ جولي".

شهد القرن التاسع عشر تطورات مهمة في كردستان وولايات العراق العثماني تمثلت في عودة الحكم العثماني المباشر، وتشجيع توطين العشائر، وارتباط اقتصاد المنطقة بالسوق العالمية بفعل نمو المواصلات التجارية، وافتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩م، مع ما ترتب على ذلك من نمو كبير في التجارة الخارجية. وقد تزامنت هذه التطورات مع حركة الإصلاحات العامة في الدولة العثمانية، ومنها الإصلاحات الإدارية والتعليمية. وقد ترتب على كل ذلك نمو المدن وأسواقها، وازدياد عدد سكانها.

كانت أربيل من بين المدن التي شهدت توسعاً عمرانياً تدريجياً في تلك الفترة، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من المعلومات التي تقدمها سالنامات ولاية الموصل في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وكمثال على ذلك نذكر ما ورد في آخر سالنامة صدرت في عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م من أرقام عن الأبنية العامة والخاصة في أربيل وكانت على النحو الآتي:

- مقر الحكومة "حكومت قوناغي"، أي مقر القائمقامية، وهي في القلعة.
- الثكنة العسكرية "قشلة".
- إثنا عشر جامعا ومسجدا.
- أربع تكايا وخانقاهات.
- خمس مدارس دينية.
- خمس مدارس إبتدائية للذكور (وهذا الرقم غير دقيق وقد يكون نتيجة خطأ مطبعي).

- مدرسة متوسطة "رشدية" واحدة.
- معبد يهودي " حوراء ".
- مخفر شرطة "قراقول ".
- ١٨٢٢ دارا.
- ٦٣٧ دكانا ومحلا تجاريا "مغازة".
- ٦ خانات.
- ٣ حمّامات.
- ٢٣ محلا لخزن البضائع والسلع "أنبار".

إن هذه الأرقام الإجمالية عن الأبنية العامة والخاصة تعكس إلى حدٍ ما التغييرات التي شهدتها أربيل من الناحية العمرانية منذ بداية القرن التاسع عشر، ونظراً لمحدودية مساحة القلعة فإن معظم التوسع العمراني كان في أسفل القلعة من الجهتين الجنوبية والغربية حيث تقع الأسواق والقيصريات التجارية، والخانات، والمدارس، وعدد من الأحياء السكنية، والعديد من المساجد والجوامع. ويمكننا القول أن التوسع العمراني كان أكبر مما ذكرته السالنامة، فعلى سبيل المثال ذكرت أن في المدينة ١٢ مسجدا وجامعا، في حين أن عددها كان أكثر من ذلك فقد كان في أربيل عدد من الجوامع والمساجد قبل القرن التاسع عشر، مثل جوامع الأحمدية والقلعة الكبير وأسعد أفندي في القلعة، وجامع النجارين وجامع الحاج داود في منطقة السوق. وفي القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تم بناء عشرة أخرى منها في الأقل، وهي جوامع آلتي برماغ، خانقاه، الشيخ مصطفى النقشبندي، ديره بروشه، الباشا، الشيخ جولي، ملا نبي، ملا عابد، شيخاني، حاج قادر.

أما بالنسبة لعدد سكان أربيل في العهد العثماني فلا توجد لدينا إحصاءات دقيقة بل ثمة تخمينات متفرقة. فقد قدّر الرحّالة الفرنسي أوليفييه عدد سكانها بـ ٢٠٠٠ شخص في عام ١٧٩٥م، أما الرحّالة البريطاني جيمس بكنغهام، الذي مرّ بأربيل في عام ١٨١٦، فقد قدّر عدد السكان بحوالي ٥٠٠٠ شخص. ووفقاً لسالنامة ولاية الموصل لعام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م كان عدد السكان المسلمين ٣٢٦٠ نسمة وغير المسلمين ٤٧٩ نسمة، في حين بلغ العدد ٧٥٩٠ نسمة حسب سالنامة عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م. أما سالنامة عام ١٩١٢م فتضمنت جدولاً مفصلاً عن سكان سناجق وأقضية الولاية حسب الإنتماء الديني إلا أن الأرقام الواردة فيه جزئية وليست تامة بحسب ما أوضحته تلك السالنامة، وهي كالتالي بالنسبة لقضاء (وليس مدينة) أربيل:

١- المسلمون: ١٢٥٧٩ ذكور (المقصود رجال).

٢- الكلدان الكاثوليك: ٥٥٣ ذكور و٦٧ إناث (المقصود نساء).

٣- الموسوية (اليهود): ١٠٤٩ ذكور و٧ إناث.

وفي عام ١٩١٦م قُدر سكان مدينة أربيل بنحو ١٠٠٠٠ نسمة، يسكن ما بين ٤٠٠٠ –٤٥٠٠ شخص منهم في القلعة، وحوالي ٥٥٠٠ شخص في الأحياء الواقعة في أسفل القلعة. أما العشائر الكردية في أطراف مدينة أربيل، أو المناطق الأخرى التابعة لقضاء أربيل فلا تدخل ضمن التقديرات المذكورة، ومن تلك العشائر على سبيل المثال دزيي، خوشناو، زراري، سورجي وغيرها.

كان سكان قلعة أربيل يتوزعون على ثلاث محلات، وهي السراي وطوبخانه وتكيه، وفي كل محلة عدد من الأزقة الصغيرة، مثل أزقة "حرم قوجاسي، كليسه قوجاسي، وحبيب نجار في محلة طوبخانه"

وأزقة "خرابه قوجاسي، دار بورغ قوجاسي، إمام قوجاسي، جامع قوجاسي، ويدّي قزلر قوجاسي في محلة تكيه" وزقاق "آغا قوجاسي في محلة السراي". وكان معظم وجهاء وآغوات وتجار أربيل يسكنون في القلعة، وبينهم من كان من كبار الملاكين الذين يمتلكون أراضي زراعية واسعة وقرى بأكملها. وكان بينهم من حصل على لقب باشا من السلطان العثماني محمد رشاد الخامس، الذي تولّى السلطنة بعد عزل السلطان عبدالحميد الثاني من قبل جمعية الإتحاد والترقي في نيسان ١٩٠٩م، وهم علي محمود آغا دوغرمجي، أحمد آغا دزيي، عبدالله آغا ابن عباس آغا، ورشيد آغا ابن ويسي آغا.

أما المنطقة الواقعة في أسفل القلعة فكانت تُسّمى "كورتك"، وكانت مُقسّمة إلى ثلاث محلات أيضاً وهي "خانقاه، عارَبان، وتعجيل". وكان سكان المحلة الأخيرة من اليهود في العهد العثماني قبل أن ينتقل مسلمون للسكن فيها لاحقاً فصارت قسمين، الأول منهما يسكنه المسلمون، والثاني يسكنه اليهود. ويبدو أن هذا الإنتقال حدث في العقود الأخيرة من العهد العثماني لأن سالنامات الموصل العثمانية تذكر أن عدد محلات أربيل هي سبع، ثلاث منها في القلعة وأربع في أسفلها.

تألف سكان أربيل من الكرد والتركمان، فضلاً عن عدد قليل من العرب الذين يرد ذكرهم في سالنامات ولاية الموصل لعامي ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م و١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وقد سكنوا في المكان الذي عُرف بمحلة العرب "عارَبان". أما من الناحية الدينية فقد تألف سكان أربيل من المسلمين واليهود والمسيحيين الكلدان. وقد شكّل المسلمون غالبية السكان، في حين كان اليهود أقلية تسكن في محلة تعجيل، ووفقاً لسالنامات ولاية الموصل العثمانية لم يكن في نفس المدينة كلدان بل

كانوا يعيشون في قرية عنكاوة القريبة منها.

إن إحدى السمات الإيجابية التي تميّزت بها مدينة أربيل هي روح التسامح والوئام التي سادت العلاقات بين سكانها بالرغم من التنوع القومي والديني. والحقيقة أن عهد السيطرة العثمانية الذي دام زهاء أربعة قرون لم يشهد أية مشكلة ذات صبغة قومية أو دينية تستحق الذكر.

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لمعظم الأربيليين في العهد العثماني إذ عانوا من مشكلات وصعوبات عديدة مسّت حياتهم ومعيشتهم بصورةٍ مباشرة. وقد سبقت الإشارة إلى معاناة سكان المدينة أكثر من مرة بسبب استمرار الصراع العثماني- الإيراني من جهة، والصراع بين السلطات العثمانية والإمارات الكردية من جهة أخرى. كما عانوا أيضاً من سوء الإدارة العثمانية التي كان همها الأول جباية الضرائب والرسوم من الأهالي دون أن يقابل ذلك تقديم أية خدمات ذات شأن للأهالي حتى السنوات الأخيرة من العهد العثماني. وغالباً ما كانت الضرائب تُجبى عن طريق الملتزمين الذين يتبعون أساليب تعسفية في جبايتها أكثر مما هو مُقرّر قانوناً. ولم يتردّد بعض الولاة في مصادرة أموال الموسرين أحياناً، ففي عام ١٧٩١م غضب والي بغداد المملوكي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) على تاجر كردي يُدعى عبدالله آغا الأربيلي فصادر منه غلالاً بقيمة أربعين ألف قرش إضافةً إلى بعض القرى التي كان يملكها. والحقيقة أن مراجعة جداول المصروفات السنوية لسناجق الموصل والسليمانية وكركوك (التي كانت أربيل قضاءاً تابعاً لها) في العقود الأخيرة من العهد العثماني تُبين مدى إهمال الخدمات العامة، ولاسيّما التعليم والصحة.

وكان للطبيعة نصيبها أيضاً في معاناة سكان المدينة في بعض الأعوام من خلال ما كانوا يتعرضون له من الأوبئة والأمراض، وحالات القحط والغلاء وما يتبعهما من مجاعةٍ قاسية جداً. وهناك أمثلة عديدة في المصادر التاريخية عن هذا الجانب من تاريخ أربيل نذكر بعضاً منها بقدر ما يسمح به المجال هنا.

بالنسبة للأوبئة والأمراض عانت المنطقة عموماً من تفشّي وباء الطاعون والكوليرا والتيفوئيد والحصبة في أعوام مختلفة، وكانت أربيل تتأثر بذلك مباشرةً أحياناً. فعلى سبيل المثال تفشّى الطاعون عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢-١٧٧٣م في بغداد وكركوك وأربيل. وفي عام ١٨٣٠-١٨٣١م شهدت معظم مدن العراق تفشّي الطاعون بشكل واسع حصد معه أرواحاً كثيرة. وبعد سنوات قليلة تفشّى ذلك الوباء مرةً أخرى، ففي عام ١٨٤٥م وصل الطاعون إلى كركوك وانتشر منها إلى المدن والمناطق الواقعة إلى الشمال منها. وفي عام ١٨٨٦م عمّ الطاعون مدن أربيل والسليمانية والقرى المجاورة لهما واستمر طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من ذلك العام وأوقع وفيات كثيرة. ووفقاً لما ورد في مخطوطةٍ محفوظة في كنيسة مار كوركيس في عنكاوة أدى ذلك الطاعون إلى ٦٤ حالة وفاة في قرية عنكاوة لوحدها، وهو عدد كبير بالنسبة لقرية بحجم عنكاوة في تلك الأيام. وفي عام ١٨٨٩م تفشّى وباء الكوليرا في كركوك والموصل ثم وصل إلى أربيل وقضاء رواندز أيضاً، وتكرّر تفشّي الكوليرا والحصبة في أربيل وعنكاوة وأدى إلى وفاة ٥٠ طفلاً، وفي بداية شهر آب من العام ذاته تفشّى الطاعون في عنكاوة وأدى إلى وفاة ١٠ أشخاص يومياً حتى يوم ٢٠ من الشهر ذاته حسب سجل وفيات في كنيسة الأرمن الأرثذوكس هناك. وقبيل الإحتلال البريطاني لأربيل في

عام ١٩١٨م مباشرةً تفشّى وباء "الإنفلونزا الإسبانية" فيها وأدى إلى وفاة كثير من الأهالي حسبما ذكر الكابتن دبليو. آر. هَي في كتابه (سنتان في كردستان). ومن الجدير بالذكر أن أربيل كانت تفتقر إلى الخدمات الصحية إلى حدٍ كبير جداً، وكان العلاج الوحيد المتوفر هو الطب الشعبي التقليدي. وفي عام ١٩٠٨م تم إفتتاح مستوصف صغير في أربيل دون وجود كادر طبي، وقد إعتمد المستوصف على خدمات طبيب من مدينة الموصل هو عبدالأحد عبدالنور لمدةٍ من الزمن.

أما بالنسبة للغلاء والمجاعات فإن أقسى ما واجهته المدينة ما حصل في ١٨٨٠م، وفي شتاء ١٩١٧-١٩١٨م. وفي كلتا الحالتين كانت المجاعة عامة في ولايتي بغداد والموصل، ولكنها كانت أشد وأقسى في أربيل. ففي موجة غلاء ومجاعة عام ١٨٨٠م إرتفعت أسعار المواد الغذائية فيها بنسب أعلى مما حصل في مدينة الموصل، فقد بلغ سعر كيلة (وزنة) الحنطة في الموصل ما يعادل ليرة عثمانية (١٠٠ قرش) ولذا سُمي ذلك الغلاء في الموصل بـ"سنة الليرة". أما في أربيل فقد بلغ سعر كيلة الحنطة ٢٠٠ قرش، وكذلك الحال بالنسبة للرز، في حين بلغ سعر كيلة الشعير ١٠٠ قرش. وتذكر المصادر التاريخية الكثير عن المآسي ومعاناة سكان المنطقة من تلك المجاعة.

وجاءت المجاعة الرهيبة في شتاء ١٩١٧-١٩١٨م في ظروف صعبة بسبب الشتاء القاسي في ذلك العام، وظروف الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) التي أدت إلى شحة المؤن في الأسواق. كما أن قيام السلطات العثمانية بمصادرة المواد الغذائية لدى الأهالي لسد إحتياجات الجيش زاد من تفاقم المجاعة في صيف ١٩١٨م. ووفقاً لما ذكره الكابتن "هَي" فإن سعر الحنطة في أربيل عام ١٩١٨م بلغ نحو ٣٩ ضعفاً

عما كان عليه قبيل إندلاع الحرب العالمية الأولى، أما سعر الشعير فقد تضاعف ٥٠ مرةً خلال الفترة ذاتها.

وهناك حالات غلاء أقل وطأة نسبياً حدثت في أربيل في مناسبات أخرى منها غلاء ١٩٠٧–١٩٠٨م. وللتخفيف من وطأة الغلاء والمجاعة كان بعض الموسرين من أهالي أربيل يقدمون الطعام للفقراء والمحتاجين، ومن هؤلاء على سبيل المثال مفتي أربيل جميل أفندي ابن الشيخ علي أفندي ابن الملا أبو بكر (١٨٧٨–١٩١٩م).

أما بالنسبة للحياة الاقتصادية في أربيل فقد تأثرت بعوامل عديدة، منها موقع المدينة بالنسبة لطرق المواصلات التجارية، والوضع السياسي والأمني في المنطقة عموماً، وعدد السكان، ومدى الطلب على المنتجات المحلية من جهة والسلع المستوردة من جهة أخرى. ومن خلال المعلومات المتفرقة المتاحة عن الحياة الإقتصادية في أربيل إبان العهد العثماني يمكن القول أن الزراعة كانت تُشكّل النشاط الإقتصادي الرئيس للسكان. وكانت السهول المنبسطة في المنطقة عاملاً مساعدا على ذلك، وتعتمد الزراعة فيها عموماً على الأمطار، أما بساتين الخضراوات المجاورة لأربيل فكانت تُسقى من مياه الآبار والكهاريز. وكانت الأراضي ذات خصوبة جيدة وقسم منها ذو مردود إنتاجي عالي، مثل سهل قره جوغ الواقع غرب مدينة أربيل، حسبما تؤكد مصادر تلك الفترة. وثمة ملاحظة مهمة ذكرتها سالنامات ولاية الموصل بخصوص إمكانيات قضاء أربيل في مجال الزراعة وهي أن هذا القضاء يتفوق على بقية أقضية الولاية من حيث الإنتاج الزراعي، وأنه (أي قضاء أربيل) بمثابة مخزن مؤن لكل من بغداد والموصل. والحقيقة أن في مصادرنا التاريخية الأخرى ما يؤيد هذا، فقد ذكر المؤرخ الموصلي محمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري

(ت١٢٠٣هـ/١٧٨٩م) في كتابه "منهل الأولياء من سادات الموصل الحدباء" أن الموصل شهدت في عام ١٢٠٠هـ/ ١١٨٦م موجة غلاء لانقطاع الأمطار وعانى الناس معاناة شديدة بسبب ذلك، ثم يقول "ولولا أن منّ الله علينا بما يُجلب إلينا من بلاد شهرزور ونواحي أربل وأطراف الجبال لهلكت النفوس...".

كانت أهم المحاصيل الزراعية في أربيل، حسب ما ورد في السالنامات العثمانية، هي الحنطة والشعير والرز والذرة والدخن والهرطمان والعدس والماش والسمسم والقطن، وأن الكثير من الحنطة كانت تُصدر إلى الموصل وبغداد لأنها كانت مرغوبةً هناك. وبتعبير آخر فإن الفائض في الإنتاج كان كبيراً وهناك شهادات من الرحّالة الذين مرّوا بأربيل تؤيد ذلك. فعلى سبيل المثال أشار الرحّالة البريطاني جاكسون في عام ١٧٩٧م إلى حقول الحنطة والخضراوات في الطريق بين آلتون كوبري وأربيل، كما ذكر المنشئ البغدادي الذي مرّ بأربيل في عام ١٨٢٠م أن منتجاتها الزراعية كثيرة. ووفقاً لما ذكره الكابتن "هَي" كانت الحنطة المنتجة في أربيل صنفين، الأول يُسّمى "رَشكول" وهو صلب يُصنع منه البرغل الذي هو غذاء أساسي للسكان، أما الصنف الثاني يُسّمى "قندهاري" فهو جيد جداً للطحين، ويُضيف بأن الحنطة كانت تُصدّر من أربيل إلى أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى. وذكر أيضاً بأن إنتاجية الرز كانت عالية جداً إذا زُرع في موعده. وكانت بعض الأسر المعروفة في أربيل تولي اهتماماً بزراعة محاصيل معينة، مثل أسرة الحاج رشيد آغا التي اهتمت بزراعة الرز والقطن.

أما بالنسبة لحيازة الأرض الزراعية في أربيل في ذلك العهد فكانت مثل مناطق العراق الأخرى التي خضعت للحكم العثماني. ففيما عدا

الأراضي المملوكة للأفراد وأراضي الأوقاف كانت معظم الأراضي "ميري"، أي ملكا للدولة، وكانت تمنح حق زراعتها للفلاحين مقابل دفع رسم معين. وفي عام ١٨٥٩م أصدرت الدولة نظام تفويض الأراضي بالطابو على أساس تثبيت حقوق الأفراد الذين كانوا يقومون بزراعتها فعلاً. وقد طُبق هذا النظام في العراق منذ عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م)، إلا أنه لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة ذلك أن كبار المسؤولين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن كانوا المستفيد الأكبر من نظام الطابو وسُجلّت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية بأسمائهم. وكان السلطان عبدالحميد الثاني من المستفيدين منه أيضاً حيث سُجلت باسمه مساحات كبيرة جداً من أخصب الأراضي الزراعية في العراق، ومنها أراضٍ ضمن حدود قضاء أربيل، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. أما الفلاحون الذين كانوا يزرعون الأرض فعلاً فلم يستفيدوا من نظام الطابو بسبب ترددهم في تسجيل أسمائهم في دائرة الطابو خشية أن يكون ذلك مقدمةً لسوقهم إلى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، والتي أصبحت إلزامية منذ أواسط القرن التاسع عشر. وهكذا تحّول أولئك الفلاحون إلى مزارعين يعملون وفق نظام "المحاصصة" أو بالأجرة في أراضي كبار الملاكين.

وإلى جانب الزراعة كانت تربية المواشي، وخصوصاً الأغنام والماعز، تشكّل مصدر رزق مهم للعشائر الكردية في أطراف أربيل. وكان السكان هنا إما مستقرين أو شبه مستقرين، وبعض العشائر ترحل صيفاً إلى بلاد فارس ثم تعود لتُمضي فصل الشتاء في أطراف أربيل.

وفي داخل مدينة أربيل كانت الأسواق الواقعة في أسفل القلعة تشكّل محور الحياة الأقتصادية للمدينة. ووفقاً لما ذكره الرحّالة

البريطانـي بكنغهام فـي عام ١٨١٦م كان نشاط تلك الأسواق يبدأ منذ وقت مبكر من اليوم، وأنها كانت مُسقفةً بالأخشاب والحصران.

وبعد فترةٍ غير طويلة من هذا الوصف تم بناء سوق القيصرية في أربيل بين عامي ١٨٢٠-١٨٣٠م من قبل كل من الحاج قادر الدباغ والحاج حويز مامه بيرس. ويُقال أنهما قررا بناء السوق بعد أن شاهدا سوق الحميدية الشهير في دمشق عندما كانا عائدين من الحجاز بعد أداء فريضة الحج. وكما ذكرنا سابقاً شهدت أربيل تطوراً عمرانياً ملحوظاً في القرن التاسع عشر شمل أسواقها أيضاً، فقد استُكمل سوق القيصرية السابق، المعروف بالقيصرية الكبيرة، بقيصرية أخرى صغيرة لبيع السلع للفقراء من الأهالي.

كان العاملون في أسواق أربيل صنفان أساسيان، الأول أصحاب الحرف مثل الصاغة والحدّادين والنجّارين والنسّاجين والسرّاجين وغيرهم. أما الصنف الثاني فهم التجار على اختلاف مستوياتهم فمنهم التاجر الكبير "جلبي" والتاجر العادي أو الصغير. ومن البديهي القول أن كل تاجر كبير كان يتخصّص في تجارةٍ معينة. وكان بعض هؤلاء التجار يجلب البضاعة ليس لتلبية حاجة السوق المحلية فقط، بل لإعادة تصديرها إلى مناطق أخرى. فعلى سبيل المثال كان التجار يستوردون القهوة والسكر من بغداد ثم يعيدون تصديرها مع مواد ومنتجات محلية أخرى إلى سابلاغ وأورميه في كردستان الشرقية لبيعها هناك واستيراد سلع ومنتجات أخرى مقابلها مثل السجاد والفرو والجلود والسماورات وغيرها.

الحقيقة أن موقع أربيل بالنسبة لطرق المواصلات التجارية المعروفة في ذلك العهد كان عاملاً مهماً في ديمومة وتطور النشاط التجاري فيها.

فقد كانت أربيل تقع على أكثر من طريق تجاري فهي محطة من محطات طريق القوافل التجارية بين الموصل وبغداد المعروف باسم طريق شرقي دجلة، وعند أربيل كان يتفرع عنه طريق أو أكثر يربطه بكردستان الشرقية وإيران. ومن خلال هذا الطريق وامتداداته من بغداد نحو البصرة، ومن الموصل نحو الأناضول وبلاد الشام أُتيح لتجارة وتجار المدينة مجالاً أوسع. فعلى سبيل المثال ذكر الرحّالة الهولندي راوولف الذي كان في الموصل عام ١٥٧٤م بأنه غادر أربيل في قافلة كبيرة نحو الموصل وأن تاجراً أرمنياً كبيراً كان ضمن القافلة ومعه حمل ٥٠ حماراً من العفص "مازو" اشتراها من أربيل، وكان متوجهاً إلى مدينته دياربكر حيث يُرسل منها العفص إلى حلب لتصديره إلى أوروبا. وفي مثال آخر كان تجار أسرة الدباغ في أربيل يقومون في القرن التاسع عشر بشراء الجلود والصوف من أنحاء كردستان ثم يرسلونها إلى البصرة ليتم تصديرها من هناك إلى أوروبا. وعلى أي حال كانت حركة النقل التجاري تعتمد على مدى استقرار الأوضاع السياسية من جهة، كما تتأثر بأعمال السلب والنهب التي تتعرض لها القوافل التجارية، وفي الوثائق العثمانية والمصادر التاريخية إشارات عديدة بهذا الخصوص.

وبالإضافة إلى ما سبق كانت أربيل مقصداً لأهالي القرى وأبناء العشائر المجاورة والقريبة، الذين يجلبون منتجاتهم الزراعية والحيوانية ومصنوعاتهم اليدوية لبيعها أو مقايضتها مقابل ما يحتاجونه في أسواق المدينة، وهذا النوع من المبادلات التجارية ما يزال قائماً حتى يومنا، ولكن على أساس التعامل النقدي وليس أسلوب المقايضة.

ونختتم حديثنا عن الأوضاع العامة في أربيل بعرض الحالة الثقافية فيها في العهد العثماني، وكان الوضع الثقافي قد شهد تراجعاً كبيراً

بفعل الظروف التي مرّت على المدينة منذ نهاية عهد مظفرالدين كوكبري. وعلى أي حال، كانت حاجة المجتمع تتطلب الاهتمام بهذا الجانب، ولا سيّما التعليم الديني. وقد لاحظنا مثل هذا الاهتمام منذ القرن السادس عشر من قبل الأمراء الكرد من جهة، وبعض الأسر العلمية في المدينة. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرناه سابقاً عن رعاية الأمير السوراني عزالدين شير، الذي تولى الحكم بين عامي ١٥٢٥-١٥٣٥م، للعلماء واهتمامه ببناء الجوامع والمدارس في كركوك وأربيل. كما أن هناك وقفية مؤرخة في ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م للأمير الباباني سليمان باشا تتضمن تخصيص إيرادات أملاك من القرى والعقارات والحمّامات والدكاكين والأرحية (جمع رحى) للإنفاق على مدارس ومدرسين وطلاب في مدارس في قلاجوالان وكويه وكلعنبر وأربيل.

والحقيقة أن التعليم لم يكن يُعد من ضمن مهام الدولة في العهد العثماني قبل حركة الإصلاحات في القرن التاسع عشر، بل تُرك للموسرين من أبناء المجتمع المحلي أمر العناية به. ولذا بقي التعليم منحصراً في المدارس الدينية الملحقة بالجوامع والتي يسهم الموسرون في الإنفاق عليها وضمان ديمومتها، وقد إستمرت هذه المدارس في أربيل حتى بعد قيام الدولة العثمانية بانشاء عدد من المدارس الرسمية فيها منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

حظيت بعض المدارس الدينية في أربيل وتوابعها بمكانةٍ كبيرة وشهرةٍ واسعة في المنطقة عموماً، وصارت مقصداً لكثير من طلاب العلم الذين درسوا وحصلوا على إجازات علمية منها ثم غادروها للتدريس في مدن عديدة، منها بغداد والموصل. فقد كانت قرية ماوَران القريبة من شقلاوة والتابعة لأربيل من المراكز العلمية الذائعة الصيت التي كان علماء الأسرة

الحيدرية يتولّون التدريس فيها. أما في داخل مدينة أربيل فقد كان للمدرسة الملحقة بالجامع الكبير في القلعة دور مهم في التعليم الديني. وممن تولى التدريس ومنح الإجازات العلمية فيها الحاج عمر أفندي (١٢٣٠-١٣٠٩هـ/ ١٨١٦-١٨٩٢م) مفتي أربيل، وكذلك إبنه ملا أبوبكر أفندي المعروف بـ"ملا أفندي" (١٨٦٣-١٩٤٢م). وقد قصد هذه المدرسة الكثير من طلاب العلم من أنحاء كردستان، ويمكن ملاحظة هذا الأمر من خلال ألقاب العديد من الذين قصدوها للدراسة وحصلوا على الإجازة العلمية منها خلال المدة الواقعة بين عامي ١٣٠٩-١٣٢٨هـ/ ١٨٩٢-١٩١٠م. ومن هؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر "ملا سعيد سقزي، ملا احمد قوم قلعَيى، ملا شيخ عارف شنويي، ملا رشيد بوكاني، ملا عبدالله مريواني، ملا طاهر كركوكي، ملا محمد باديناني، ملا هيبة الله عقراوي، ملا عبدالفتاح شواني وغيرهم".

وتذكر المصادر التاريخية أسماء بعض علماء أربيل الآخرين منذ نهاية الحكم الصفوي للمدينة، ومنهم علاءالدين إبن ولي الدين الأربيلي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) وهو من العارفين بالطب، ومحمد بن علي الأربيلي وكان خطيباً في أربيل وله مؤلفات عدة (كان حياً عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)، وأبوبكر بن ملا عمر بن ابي بكر الأربيلي الذي كان صاحب مؤلفات في علم الحديث وعلم الكلام والتصوف وكانت وفاته في عام (١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م). وممن اشتهر من العلماء الأربيليين في القرن الثامن عشر ملا جرجيس بن محمد الأربيلي (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م) الذي كان قد درس العلوم العقلية والنقلية على يد الشيخ صبغة الله ابن ابراهيم الحيدري (١٧٠٢- ١٧٨٥م). وقد انتقل من أربيل إلى الموصل بعد ذلك حيث اشتهر بالتدريس في مدارسها ومنح الإجازات العلمية للعديد من طلاب

العلم هناك. ويُقال أن والي الموصل هو الذي دعا ملا جرجيس الأربيلي إلى الموصل بعد وقوع وباء فيها تسبب في موت العديد من علمائها، مما يدلل على مدى شهرة هذا العالم الأربيلي في عصره.

وثمة مسألة لا بد من الإشارة إليها عند الحديث عن الحياة الثقافية في أربيل في ذلك العهد وهي انتساب قسم من سكان المدينة وعلمائها إلى الطرق الصوفية، التي كانت سمة بارزة من سمات الحياة الاجتماعية والثقافية ليس في أربيل فحسب بل في معظم البلدان والمجتمعات الإسلامية. أما أبرز طريقتين انتشرتا في المدينة فهما النقشبندية والقادرية، وخصوصاً منذ أوائل القرن التاسع عشر. فقد انتشرت الأولى بسرعة في كردستان بين عامي ١٨١١-١٨٢٠م على يد مُجدّد الطريقة النقشبندية ضياءالدين أبو البهاء خالد بن حسين الشهرزوري المعروف بمولانا خالد النقشبندي (١٧٧٩-١٨٢٧م). ومن الذين أخذوا هذه الطريقة عنه مباشرةً في أربيل الشيخ مصطفى بن الحاج عمر والد الشيخ محمد جولي، وهدايت الله ابن إسماعيل الأربيلي. وكان ملا عمر بن ملا أبوبكر الملقب بملا كجكه (١٧٧٨-١٨٥٥م) من مؤيدي النقشبندية أيضاً، وقد ذكره المؤرخ عباس العزاوي ضمن خلفاء مولانا خالد النقشبندي.

أما بالنسبة للطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر الكيلاني (ت ١١٦٥م) فهي معروفة سابقاً، لكنها شهدت انتشاراً متزايداً في هذه الفترة في الموصل وأربيل ومناطق أخرى مجاورة، ويعزو البعض هذا الانتشار إلى نشاط أحد أعلام الطريقة القادرية، وهو نورالدين البريفكاني (١٧٩٠-١٨٥١م). ولكننا نضيف على ذلك عاملاً آخر وهو تأثير أحد كبار زعماء هذه الطريقة وهو كاك أحمد الشيخ بن الشيخ

معروف النودهي (١٧٩٢-١٨٨٧م)، إذ يُذكر بأن الشيخ صالح، المتوفى عام ١٩١٦م عن عمر تراوح بين ٧٠ و٨٠ عاما، كان معجباً بكاك أحمد الشيخ ولذا ذهب إليه فزوجه الأخير أختـه وطلب منه الذهاب إلى منطقة أربيل والعمل من أجل نشر الطريقة القادرية هناك. ويُنسب إلى الشيخ صالح بناء تكية وجامع الشيخ محي الدين في أربيل عام ١٨٩٢م. وقد ذكرنا سابقاً إشارة سالنامات ولاية الموصل إلى وجود تكايا (قادرية) وخانقاهات (نقشبندية) في أربيل في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

استمرت المدارس الدينية كمراكز تعليم وحيدة في أربيل حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما تأسست إلى جانبها مدارس عثمانية رسمية. ففي إطار الإصلاحات العثمانية المعروفة بـ"التنظيمات" بين عامي ١٨٣٩-١٨٧٦ م تأسست نظارة (وزارة) المعارف، وصار التعليم من ضمن مهام الدولة، وصدرت قوانين وأنظمة تناولت تنظيم شؤون التعليم وتأسيس مدارس ابتدائية ورشدية (متوسطة) وإعدادية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية. وبقدر تعلق الأمر بمدينة أربيل فقد ذكرت سالنامة ولاية بغداد لعام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م وجود مدرسة رشدية فيها تضم ٢٥ طالباً، وكانت أربيل يومئذٍ قضاء تابعا لولاية بغداد كما سبقت الإشارة. ويتكرر ذكر هذه المدرسة لاحقاً في سالنامات ولاية الموصل، فكانت تضم ١٨ طالبا في عام ١٨٩٤م، و٢٩ طالباً في عام ١٩١٢م.

تأخر الاهتمام بالمدارس الإبتدائية في الدولة العثمانية عموماً حتى أواخر القرن التاسع عشر. وحسب سالنامة عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م كان في مدينة أربيل مدرستان ابتدائيتان، الأولى مدرسة القلعة "قلعة ابتدائي مكتبي" وتضم ٦٩ تلميذاً، ومدرسة أخرى، ربما كانت في أسفل

القلعة، وتضم ٨٦ تلميذاً. وكانت المناهج الدراسية فيها هي القرآن والتجويد، والعلوم الدينية، والجغرافيا والتاريخ العثماني، والحساب، والخط والإملاء. ويبدو من المعلومات القليلة المتاحة أن إحدى المشكلات التي عانت منها هي قلة الكادر التعليمي إذ كان ملاك كل واحدة من المدرستين معلم أول (مدير) ومعلم ثانٍ. في حين أن ملاك المدرسة الرشدية حسب هذه السالنامة كان معلماً واحداً فقط.

## زوال الحكم العثماني:

دخلت الدولة العثمانية مرحلة جديدة من تاريخها بعد الإنقلاب الذي وقع في ٢٣ تموز ١٩٠٨م، فقد أُرغم السلطان عبدالحميد الثاني على إعادة العمل بدستور عام ١٨٧٦م، ولم يمض وقتٌ طويل حتى تم عزله في نيسان ١٩٠٩م. ومع أن جمعية الإتحاد والترقي التي قادت الإنقلاب رفعت شعارات الحرية والعدالة والمساواة في البداية لكنها سرعان ما كشفت عن حقيقتها من خلال انتهاجها سياسة التتريك تجاه القوميات غير التركية في الدولة العثمانية مما أدى إلى تنامي المعارضة الداخلية ضدها. ومن جهة أخرى إتخذ الاتحاديون قراراً متسرعاً وخاطئا في عام ١٩١٤م بدخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والإمبراطورية النمساوية- المجرية ضد دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية)، وكانت النتيجة هزيمة الدولة العثمانية واستسلامها بموجب هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨م.

لا تتوفر لدينا معلومات كثيرة عن أصداء انقلاب عام ١٩٠٨م في مدينة أربيل، ويمكن القول، قياساً إلى ما حصل في مدن أخرى في المنطقة، أن ردود الفعل قد تباينت فيها إزاءه. فالعلماء وقسم من وجهائها لم يشعروا

بالارتياح من الانقلاب، ومن ثم عزل السلطان عبدالحميد الثاني، الذي كانت سياسته الدينية القائمة على أساس فكرة "الإتحاد الإسلامي"، أو ما يُعرف بالجامعة الإسلامية، تحظى بتأييدهم. وهناك من رحب بذلك الحدث وانضم إلى حزب الاتحاد والترقي مثل علي آغا دوغرمجي، الذي صار عضواً بارزاً فيه، كما انضم اليه سيد سعيد باشا النقيب وأحمد آغا دزَيي وآخرون، منهم من أراد تحقيق منافع شخصية من حزب السلطة، أو من توقع تغييراً إيجابياً في الوضع السياسي والاقتصادي. ولكن أكثرية الناس كانوا غير مبالين بما حصل، بل أنهم شعروا بوطأة الاتحاديين ومساوئ حكمهم لاحقاً، ولذا وقفوا إلى جانب أي تحرك ضد حكومة الاتحاديين. فقد كان أحد القادة العسكريين في انتفاضة الشيخ عبدالسلام البارزاني في عام ١٩١٤م من أربيل وهو مصطفى هَوليري، واسمه الكامل هو مصطفى ياسين النجار. كما حظيت تلك الانتفاضة بدعمٍ من عدد من العشائر الكردية، ومنها عشيرة دزَيي في أطراف أربيل. ومن الحوادث التي تُذكر في تلك الفترة إجراء الانتخابات في ولاية الموصل لاختيار نواب عنها إلى البرلمان العثماني "مجلس المبعوثان" في تشرين الثاني ١٩٠٨م، وكان مرشح أربيل فيها يحيى آغا بن خدر آغا بن ويس آغا، ولكن لم يُقدّر له أن يشغل مقعدا في البرلمان إذ مات غرقاً في نهر الزاب الكبير عندما كان في طريقه من أربيل إلى الموصل لاستلام فرمان العضوية من والي الموصل، أما في إنتخابات عام ١٩١٢م فلم يترشح نائب عن أربيل لعضوية البرلمان.

صارت الدولة العثمانية طرفاً مباشراً في الحرب العالمية الأولى منذ إعلان روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب عليها بين ٢ و٥ تشرين الثاني ١٩١٤ م، وهكذا أصبحت أراضيها هدفاً لقوات دول الوفاق. وبقدر تعلق

الأمر بأربيل فإن الاحتلال البريطاني لها بدأ منذ ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨م، إلا أنها تأثرت مباشرةً بحوادث الحرب قبل ذلك. فقد استجاب عدد من سكانها لنداء الجهاد الصادر عن السلطان العثماني محمد رشاد الخامس بصفته خليفةً للمسلمين وشاركوا، مع قوات كردية أخرى كانت بقيادة الشيخ محمود الحفيد، إلى جانب الجيش العثماني ضد البريطانيين في معركة الشعيبة التي وقعت بين ١٢-١٤ نيسان ١٩١٥م. وعندما احتلت القوات الروسية رواندز في نيسان ١٩١٦م، وارتكبت مع حلفائها الأرمن مجازر بحق سكانها الكرد، وقفت عشائر أربيل وأهاليها مع القوات العثمانية ضد الروس. ويُقال بأن الشيخ صالح الذي كان من شيوخ الطريقة القادرية في أربيل، كما ذكرنا سابقاً، كان قد ذهب مع مجموعة من أتباعه ومريديه للحرب ضد الروس.

من جهة أخرى عانى سكان أربيل كثيراً بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى من ناحية المعيشة. فقد كان تأثير الحرب سلبياً جداً على الحياة الاقتصادية بسبب تراجع النشاط التجاري وشحة عرض السلع الأساسية عموماً، ناهيك عن ارتفاع أسعارها بسبب تدني قيمة العملة الورقية العثمانية، وهي الليرة. كما أن التجنيد وسوق الرجال إلى جبهات الحرب ساهم في زيادة المعاناة، وهناك من لم يعُد، أو لم يعرف أي شيء عنه. وقد سعى بعض وجهاء أربيل إلى مساعدة عدد من شباب المدينة كي لا يساقوا إلى الخدمة في الجيش أو يُرسلوا إلى جبهات الحرب، ومن هؤلاء الوجهاء ملا أفندي وعلي آغا دوغرمجي.

ومع استمرار الحرب واستنزافها لموارد الدولة اتخذت السلطات إجراءات أكثر تشدّداً لتأمين متطلبات الجيش على حساب ما لدى الأهالي من مؤن ومواد أخرى. كما أن بدء تراجع القوات العثمانية من

وسط العراق منذ إحتلال القوات البريطانية لبغداد في آذار ١٩١٧م كان له تأثير على المدن التي انسحبوا إليها، ومنها أربيل. ومن الجدير بالذكر هنا أن القوات العثمانية كانت قد اتخذت من بعض جوامع أربيل مراكز طبية لمعالجة الجنود الجرحى، مثل جامع الحاج داود، وجامع الشيخ محي الدين. ثم حلّت المجاعة الرهيبة في شتاء ١٩١٧–١٩١٨م، التي سبق الحديث عنها. وفي مثل هذه الظروف كانت القوات البريطانية تواصل تقدمها من بغداد شمالاً وتحتل المدن والبلدات في طريقها تباعاً، أما أربيل فقد دخلها البريطانيون في ١٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨م، أي بعد عشرة أيام من هدنة مودروس، وانتهت بذلك مرحلة الحكم العثماني الذي دام زهاء أربعة قرون.

# أربيل بين عامي ١٩١٨ - ١٩٣٩

## مخطط المدينة وتوزيع السكان:

تقع أربيل، عاصمة إقليم كردستان (العراق)، جغرافيا وسط منطقة سهلية واسعة، بين منطقتين جبلية في شمال الشرق وسهلية في الجنوب والغرب، وتقع على مسافتين متساويتين تقريبا من نهري الزاب الكبير والصغير. وقد ورد اسمها في المصادر التاريخية بعدة صيغ، مثل: اوربليون، اوربليوم، أربيلا، اربئيلو، اربئلو، اربايلو، أربيرا، أربيلا، اربل، ابرل، بيروبل، أربيل، هَوريل، هَولير.

في مطلع القرن العشرين، كانت أربيل ضمن النظام الإداري العثماني واحدا من الأقضية التابعة لسنجق كركوك، وتتبع هذا القضاء ناحيتا (سلطانية ودزَيي) كما كان يضك شعبة أراضي شَمامك الأميرية. وحسب سالنامة ولاية الموصل كان يحد القضاء من الشمال قضاء رواندز ويفصل بينهما مهر (بَستورة) وتقع ناحية بردي (آلتون كوبري) جنوب غرب القضاء وإلى جنوب الشرق هناك قضاء كويسنجق ومن الغرب لواء الموصل. هذا التقسيم الإداري بقي على حاله حتى نهاية حكم الدولة العثمانية لهذه المدينة في العام ١٩١٨.

كانت أربيل بين العامين ١٩١٨ و١٩٣٩ تعد واحدة من المدن الصغيرة في العراق مقارنة بالمدن الكبيرة مثل بغداد والموصل والبصرة. لكنها

بفضل التنوع القومي والديني فيها كانت مختلفة نوعا ما عن سائر المدن الكردية في كردستان العراق. وفيما يتعلق بمخطط المدينة وتوزيع السكان، فإنها تنقسم قسمين، الأول: سكان القلعة، التي لها تاريخ عريق وتقع في وسط المدينة وتتألف من أحياء (سراي، طوبخانة، تكية).

ويأتي اسم حي (سراي) من وجود (سراي الحكومة) فيه، ومن أبرز العائلات التي سكنت هذا الحي "منزل ومضيف الحاج رشيد آغا، الشيخ جميل أفندي، فتاح جاورَش، الحاج بيرداود آغا دزَيي، منزل ومضيف علي باشا دوغرمجي، خليفة فاطمة خان، شيخو آغا عبدالله آغا، يونس آغا سعيد آغا، فتاح جلبي، مصطفى عُزيري و... إلخ".

أما اسم حي (طوبخانة) فقد جاء من وجود مدفع عثماني في الحي نصب في مواجهة طريق أربيل-الموصل، ومن عائلات الحي "داود آغا قصاب، عبدالوهاب آغا حكمت آغا، وهاب أحمد آغا، علي أفندي، ساسَن صالح آغا، سليم كارَسول، مجيد آغا، حاجي عثمان حاجي إلياس... إلخ".

وجاء اسم حي (تكية) من وجود تكية الشيخ إبراهيم (إبراهيم بابا) فيه، ولايزال مزاره قائما في الحي إلى اليوم، ومن أبرز العائلات التي سكنت الحي "عبدالرزاق آغا بيرداود آغا، موسى صمد، محمد مصطفى الصفار، توخمة سَعو، حاجي عثمان نجار، حاجي نادر حاجي كريم، ملا ياسين إلياس أفندي".

وكان ثم أحياء أصغر ضمن أحياء القلعة الرئيسة هذه، فقد كان حي طوبخانة يضم أحياء "حرم قوجاسي" الذي جاءت تسميته من وجود دار القائمقام ودار الضيافة فيه، وحي "كليسة قوجاسي" نسبة إلى وجود كنيس اليهود فيه، وحي "حبيب نجار" حيث قبره. وكان يوجد ضمن حي

تكية أحياء "خرابا قوجاسي، دار بورغ قوجاسي، امام قوجاسي، جامع قوجاسي، يَدي قزلَر قوجاسي"، وكان حي "آغا قوجاسي" يقع في حي السراي ويتألف أغلب سكانه من آغوات أربيل.

القسم الثاني: سكان المنطقة التي تقع عند أسفل القلعة وتسمى (كورتَك) وتظهر المدينة بها على صورة قوس، حي أحياء أسفل القلعة كانت تتخذ شكل القلعة. وتعتبر زيادة عدد سكان القلعة وعدم كفاية مساحتها لهم وارتفاع نسبة الهجرة من الريف إلى المدينة وخاصة من قرى سهل أربيل بسبب التطورات الاقتصادية والاجتماعية عوامل رئيسة في توسع المدينة. حتى أواسط ثلاثينات القرن العشرين كان معظم أغوات وأثرياء أربيل يسكنون القلعة، لكن منذ بداية العام ١٩٣٥ بدأت عملية بناء الدور والمضايف في أسفل القلعة، وكان أسفل القلعة في هذه الحقبة الزمنية يتكون من خمسة أحياء هي:

١- حي خانقا: أول حي بني في أسفل القلعة ويعود تاريخه إلى زمن الأتابكة (٥٢٢-٦٣٠هـ/ ١١٢٨-١٢٣٣م) واسمه جاء من جامع "خانقاه" الواقع غرب الحي، وأبعد نقطة في الحي من جهة الشرق هو قصر "عطاءالله آغا" زمن الغرب جامع "الشيخ أبوبكر".

٢- حي عارَبان "محلة العرب": من الأحياء القديمة ويبدأ من خلف المتصرفية القديمة ممتدا إلى السوق الكبير طولا، ومن جامع "الشيخ جولي" محاذيا للممر المائي إلى أن يواجه حي "تعجيل" عرضا. وقد سمي بهذا الاسم لأن العرب هم من أسس هذا الحي بدءً، وكان هؤلاء العرب قد جاؤوا إلى أربيل وكانوا يعملون خبازين، ولم يكن يتجاوز عدد الأوائل منهم ٧ عائلات سكنوا زقاقا واحدا ولهذا كان الحي يعرف أحيانا بزقاق العرب، وقد أقيم أغلب مؤسسات ودوائر

الحكومة في زمن العثمانيين والبريطانيين والحكم الملكي في هذا الحي، ومن تلك المؤسسات سراي الحكومة ودار المتصرف والحاكم السياسي البريطاني ومركز الشرطة والسجن.

٣- حي تعجيل: ينسب اسمه إلى "الإمام تعجيل" الذي يوجد له مزار في الحي مازال قائما، ويقع بين حيي "عارَبان وسعدوناوا" وينقسم قسمين، أحدهما يعرف باسم "تعجيل إسلام" كان يعيش فيه المسلمون، والثاني "تعجيل جولَكان" الذي يبيَن اسمه أن سكانه كانوا من اليهود. وكان "بخاس بن إلياهو" في الفترة ١٩٢٥-١٩٣٥ و"يونا بن عمران" في الفترة ١٩٣٤-١٩٣٦ مختارين لتعجيل جولَكان، ومن أبرز عائلات اليهود في الحي "يعقوب بن شاؤول، شمعون بن شلوم، ناتان بن إسحق، اليوم سعيد خباز، حاي شبو، موردخاي إسحق، داود بن إسحق".

٤- حي سَعدوناوا: تقع حدوده بين محطة القطار القديمة وحي تعجيل، أما اسمه فقد جاء من قبر أحد الصالحين اسمه "سعدون" والذي مازال قائما هناك. كان أغلب سكان الحي وبسبب موقعهم القريب إلى "متنزه كلكند الحالي" كانوا يعملون في أفران صناعة الطابوق، كان "ملا شريف حاجي يونس" مختار الحي في الفترة ١٩٣٤-١٩٣٧. وحسب سجلات الطابو في أربيل فقد كان "محمد حاجي جرجيس" مختار حي "ابن المستوفي" في العام ١٩٣٩، ما يدل على أن الحي كان حينها حديث الإنشاء.

ومن مكونات المدينة سوقها، الذي يقع في جنوب غرب القلعة ويعرف باسم "القيصرية" وقد بني بطراز هام وفريد يبدو اسطوانيا لمن ينظر إليه، وتنقسم القيصرية إلى قسمين، الأول: القيصرية الكبرى، بناها

"الحاج قادر الدباغ والحاج حويز مامة بيرس" في الفترة ١٨٢٠-١٨٣٠م، وتتألف من ثلاثة أقسام رئيسة، القسم الأول كان يشغله عدد من التجار المعروفين وكانت تمارس فيه حرف تتعلق بالحياكة وصناعة الفرش والسجاد واللحف والأغطية والجراب والخرج. أما القسم الأوسط فيعرف بقسم "الخفافين". والقسم الثالث كان يشغله اليهود. أما القسم الثاني من القيصرية، فقد عرف بقيصرية الخياطين، ويفصل سوق البزازين والعطارين بين هذا القسم وبين القيصرية الكبرى وقد بناها الحاج حويز مامة بيرس، تتألف قيصرية أربيل من ثلاث طبقات، الأولى عبارة عن سرداب تحت الأرض والثانية عبارة عن المحلات التجارية والثالثة عبارة عن مخزن لخزن السلع التي تعرض في السوق. ولهذا السوق أربعة أبواب منها باب كبير في جهة الشمال وآخر عند جامع السوق الكبير.

الجوامع هي مؤسسات دينية واجتماعية، فهي مكان للعبادة وأداء بعض فرائض الإسلام ومن الناحية الاجتماعية محل للاجتماع واللقاءات وحل بعض المشكلات الاجتماعية، ويختلف هذا باختلاف المواقع. ففي القرى مثلا يبرز دور المسجد أو الجامع بصورة أكبر مما في المدن، ويمكن أن نعزو ذلك إلى غياب المؤسسات الحكومية والشرعية عن القرى، ويعود تاريخ بناء المساجد والجوامع في أربيل إلى زمن بعيد ويرتبط استمرار هذا البناء بتوسع المدينة وإلتزام سكانها بالدين الإسلامي. في الفترة ١٩١٨-١٩٣٩ كان يوجد عدد كبير من الجوامع في المدينة، منها "جامع القلعة الكبير" الذي يقع في الجانب الشرقي من القلعة ويعد أقدم جوامع المدينة، حيث كتب على قوس درج منبر الجامع أنه بني سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٠م، وقد سمي بهذا الاسم لأنه كان أكبر جامع على

القلعة، وشيدت منارة الجامع في العام ١٢٦٧هـ/ ١٨٤٩ في أيام نجيب باشا (١٨٤٢-١٨٤٩م) والي بغداد، ومازالت المنارة على حالها. وهناك جامع "أسعد أفندي" وجامع "الأحمدية" الذي كان في القلعة وبناه أسلاف "ملا رسول أفندي" في العام ١٦٥٠م، وجامع النجارين وهو من الجوامع القديمة في سوق أربيل يعود تاريخ إنشائه إلى العام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٦م ويقابل الباب الجنوبي للقلعة. وجامع الحاج داود "جامع السوق الكبير" الذي يقع وسط سوق أربيل بناه في العام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٠م "ملا داود حاجي أحمد سليمان آغا الأربللي"، وجامع خانقاه الذي يعود تاريخ تشييده إلى العام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٥م، وجامع "آلتي برماغ" يقع داخل القيصرية شيده في العام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٠م "الشيخ عبدالكريم الشيخ حارث الصديقي"، وجامع الشيخ عبدالله قطب المعروف بجامع "شيخ الله" ويقع إلى الشرق من القلعة. وجامع الشيخ مصطفى النقشبندي الذي يقع إلى الشرق من القلعة وقد بني في العام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٦م. وجامع "ديرة بروشة" في حي عارَبان بالقرب من جامع الشيخ محي الدين الشيخ صالح البرزنجي والذي شيد في العام ١٢٦٤هـ/١٨٤٦م. وجامع "باشا" في حي عارَبان بالقرب من جامع "ديرة بروشة" وبني في العام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م. جامع الشيخ جولي يقع في نهاية حي تعجيل بالقرب من منارة المظفرية "منارة جولي"، شيد في العام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م. جامع الحاج عبدالقادر محمد الدباغ يقع جنوب القلعة في صف جامع النجارين بناه الحاج عبدالقادر الدباغ سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. وجامع ملا نبي يقع في حي تعجيل قرب الجسر الرئيس للحي، بناه الكورجية في العام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. وجامع المفتي يقع في حي تعجيل وقد بناه أبناء الحي في مطلع القرن العشرين. جامع ملا عابد في حي تعجيل بناه أهالي الحي في العام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م. جامع شيخاني "ملا إبراهيم

دوغرمجي" في القلعة بالقرب من بابها، بنته عائلة الشيوخ في العام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م. جامع سليمان مولود "خليفة سمايل" في حي خانقاه بناه في العام ١٤٣٤هـ/ ١٩٢٥م الحاج إسماعيل دارتاش. وجامع الحاج مولود فتاح "شيخة رَشكة" الذي يقع إلى جانب الخانقاه الكبير ويعرف بجامع القاضي أيضا، بني سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م. وجامع الشيخ نورالدين في حي تعجيل بالقرب من جامع الشيخ جولي بني سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م. وجامع سيداوا القديم يقع وسط الحي بني في العام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م. جامع الشيخ ملا رشيد القديم في حي ابن المستوفي بالقرب من "شارع الأطباء" الحالي شيّد في العام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م. جامع الحاج مجيد قَردار في حي طيراوا قرب جامع "شيخ محمد باليساني" بني في العام ١٣٥٦هـ/ ,١٩٣٨ جامع الحاج صالح الدباغ ويقع في حي عارَبان ويعرف أيضا بجامع "قبلة خوار" شيد سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م. يذكر أن صلاة الجمعة كانت تقام في عدد من هذه الجوامع مثل جامع "القلعة، الحاج داود، خانقاه، شيخ الله، الشيخ مصطفى النقشبندي، الشيخ جولي، الحاج عبدالقادر الدباغ". وإلى جانب المساجد والجوامع كانت هناك في أربيل تكايا للطرائق القادرية والنقشبندية والرفاعية، ومن تكايا النقشبندية في أربيل في الفترة ١٩١٨–١٩٣٩، تكية خانقاه التي يعود تاريخ بنائها إلى العام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م، وتكية الشيخ مصطفى عمر النقشبندي التي تقع في حي عارَبان وشيّدت سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م. أما عن تكايا القادرية، فتعد تكية "شيخ زادة" أقدم تكاياهم وتقع في حي سراي شمال شرق القلعة، بالقرب من باب الأحمدية ويعود تاريخ تشييدها إلى عهد الأتابكة ٥٢٢–٦٣٠هـ/ ١١٢٨–١٢٣٣م. وتكية الشيخ حاجي ملا خضر التلعفري في حي تكية ويعود تاريخ بنائها إلى العام ١٩٢٠م. وتكية الشيخ محي الدين الشيخ

محمد صالح البرزنجي تقع في وسط حي عارَبان بالقرب من جامع "ديرة بروشة" تم تشييدها سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. وتكية خليفة إسماعيل القادري تقع في حي خانقاه شيّد سنة ١٩٢٠م. تكية الشيخ عبدالكريم المعروف بالشيخ "عبدالكريم دارخورما" بنيت سنة ,١٩٣٢ التكية القادرية وتقع في حي التكية بالقلعة، بنيت في العام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. تكية الشيخ عارف البرزنجي في حي عارَبان بالقرب من جامع باشا تأسست سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٠م. أما التكايا الخاصة بالطريقة الرفاعية فهي تكية الشيخ عبدالله الرفاعي التي يعود تاريخ افتتاحها إلى العام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. وتكية خضر النعيمي في حي عارَبان شيَدت في مطلع القرن العشرين وكانت تتبع آل خنجر. تكية خليفة مجيد شيخ حسن الرفاعي وتقع في حي عارَبان قرب جامع الشيخ جولي، بناها في أواخر القرن التاسع عشر "خليفة أحمد حسن". تكية الشيخ طه حسن الرفاعي في حي تعجيل بنيت في أواخر ثلاثينات القرن العشرين.

وهناك تكايا كانت قائمة في المنازل، حيث يتم تخصيص غرفة في الدار يرتادها المريدون والأتباع، وكان ذلك في الغالب خاصا بالنساء، وكانت توجد في قلعة أربيل ثلاث تكايا خاصة بالنساء للطريقتين النقشبندية والقادرية، وهي: تكية فاطمة خان في حي السراي وهي لأتباع الطريقة النقشبندية، وتكية خليفة فطمة خان القادرية في حي التكية، وتكية مريم ابنة عبدالله القادرية المعروفة باسم "خليفة ميروش" في حي طوبخانة.

في أسفل القلعة كانت ثم حصارات يملكها الآغوات، وكان كل حصار (حائط) من حصارات أربيل يتألف من ٤-١٠ غرف (واحدة للمزارع وعائلته، ومخزن (عنبر) لحفظ المنتجات الزراعية وخاصة الحنطة والشعير بعد حصادها، وحظيرة تستخدم لإيواء الحيوانات التي تستخدم في

العمل، ومخزن للتبن (يسمى لَودة) يحفظ فيه التبن، ولم يكن كل حائط يضم "خانـ"اً، ومن حصارات أربيل "حصار نورالدين آغا، حصارا داود آغا وأحمد علي آغا اليعقوبي، مردان آغا سيد محمود آغا، رشيد آغا، عبدالرحمن جلبي، الشيخ جولي، علي وَيس آغا، حسن آغا جاوشلي" وتقع هذه في حي عارَبان، وحصارات " علي باشا، حمد آغا، حاجي مستو دارتاش، حسن صالح سور جاوشلي، أحمد آغا، حمو علي زَمو القصاب" وتقع في حي خانقاه.

وكان هناك ٧ خانات، وهي الخان الأبيض وكان خانا كبيرا من طابقين، جدرانه مطلية بالطين الأبيض (الجص) وهو سبب إطلاق هذه التسمية عليه، وكان يقع بجوار شارع باتا الحالي، وكانت بوابته الرئيسة كبيرة عالية جدا ما سهل على ذوي الإبل دخوله بإبلهم والإقامة فيه. وهناك أيضا خان "حسن بَيرم" الذي يقع خلف جامع خانقاه، وكان يجتمع إليه حاملو الخضار والفاكهة القادمون من منطقة خوشناوَتي الذين كانوا يجلبون معهم الثلج صيفا مخزّنا في التبن. وخان "عثمان كَردز" الذي يقع خلف "مصرف الرافدين القديم" حيث كان يحل بائعو الفحم. وخان "سليمان خدر" بائع الجص الذي يقع إلى جانب خان عثمان كَردز والذي كان من أهالي منطقة كَنديناوا وكانوا يجلبون الجص إلى أربيل ويحطون رحالهم في هذا الخان. خان "قوجة" الذي يقع بالقرب من جامع خانقاه إلى جانب خان حسن بَيرم، وكان يدار بإشراف "مام قورباني" وكان يعمل فيه صباغو الجلود والأقمشة اليهود ومن أبرزهم "خدروكة جو، يونة، بَبو، إسحق". خان "حاجي سعيد جامباز" يقع في حي اليهود وكانت تجري فيه تجارة الغنم والماشية. خان "علي حاجي أحمد آغا" الذي يقع قبالة جامع "آلتي برماغ" وفيه عدد من الغرف على

شكل دكاكين، يرتاده في الغالب بائعو الجبن ومنتوجات الألبان.

وعن حمامات أربيل، فإلى جانب حمام القلعة الذي هو أقدم حمامات أربيل ويرتبط اسمه بموقعه، حيث يقع إلى جانب جامع القلعة، شيَد في العام ١٢٠٠هـ/ ١٧٧٥م من قبل "عبدالله آغا إسماعيل إبراهيم" ثم تم ترميمه من قبل "قاسم آغا عبدالله آغا" حيث حفر فيه بئرا عمقه ٦٠ مترا وعرضه ٥ أمتار لتوفير الماء للحمام. وكانت توجد في جنوب القلعة ٥ حمامات أخرى. "الحمام الكبير" الذي يقع قبالة جامع خانقاه، و"الحمام الصغير" في الموقع نفسه وكانا لعائلة "حاجي رشيد آغا ويس آغا" وقد بنيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانا يمدان بالماء من كهريز "شيخ أحمد". والحمام الثالث هو حمام "حاجي قادر الدباغ" الذي يقع أسفل من القلعة وقد بني بالاشتراك مع "القاضي داود فهمي أفندي" ويعود تاريخ بنائه إلى العام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م. حمام "علي آغا" الذي بناه "علي باشا دوغرمجي" في فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) في حي خانقاه. حمام "مُودة" بناه رشيد آغا ويس آغا في العام ١٩٢٨ بالقرب من جامع الشيخ جولي، وجاء اسمه من بنائه على صورة حمامات إستنبول، وقد جلب تصميمه من تركيا من قبل عطاءالله ابن رشيد آغا.

المدافن، وهي الأراضي المخصصة لدفن الموتى والمسجلة ضمن أراضي الوقف ويتولى جميع المسلمين ودائرة الأوقاف مسؤولية الحفاظ عليها وفق الشريعة الإسلامية. كانت مقابر أربيل تتوزع جغرافيا في الفترة ١٩١٨-١٩٣٩ على النحو الآتي:

١- المقبرة الكبرى: من أقدم المقابر وتقع إلى الجنوب من القلعة، وكانت تسمى في أيام الأتابكة "مقبرة الصوفية"، حيث حضر فيها

مظفرالدين كوكبري (٥٨٦-٦٣٠هـ/ ١١٩٠-١٢٣٣م) فيها في العام ٦١٥هـ/ ١٢٠٠م مراسيم دفن مؤسس أولى التكايا القادرية في أربيل "الشيخ أبو محمد عبداللطيف البكري"، وتسمى بالكبرى لأنها أوسع مساحة من سائر المقابر.

٢- مقبرة جراغ: تقع جنوب القلعة، وإلى الشرق من مقبرة اليهود وغرب حي سعدوناوا. تضم قبور عدد من علماء وصالحي المدينة. هناك آراء عدة حول تسميتها، فثم من يقول إن الاسم جاء من أسطورة تقول لإن الملائكة يضيئون المقبرة ليلا من أجل الصالحين المدفونين بها. ويقول آخرون أن الاسم هو لشخص من إيران جاء به "محمود آغا بيربدر" إلى أربيل، وكان المكان حينها بستانا فتمنى أن يصبح المكان مقبرة للمسلمين، وكان أول من دفن هناك بعد موته، ومذذاك عرفت المقبرة باسم "جراغ" وصارت مقبرة عامة لأهالي المدينة.

٣- مقبرة إمام محمد: تقع جنوب غرب القلعة في حي عارَبان مقابل منارة جولي، ووصل حدودها في ثلاثينات القرن العشرين إلى مزار النبي عزير، ويعود تاريخها إلى عهد الأتابكة في أربيل، واسمه جاء من قبر "الإمام محمد حسين الرفاعي" حيث تعود ملكية أرضها إلى عائلته.

٤- مقبرة النبي عزير: تقع جنوب غرب القلعة قرب جامع الشيخ جولي في حي عارَبان، وجاء اسمه من مقام النبي عزير (عليه السلام) وهو من أنبياء بني إسرائيل وعاش في أربيل في عصر الملك البابلي "نبوخذنصر".

٥- مقبرة الشيخ جولي: من المقابر القديمة في أربيل ويعود تاريخها إلى نهايات القرن التاسع عشر، وكانت في البدء خاصة بعائلة ومريدي

الشيخ محمد النقشبندي "الشيخ جولي"، وفي مطلع القرن العشرين صارت مقبرة لعامة مسلمي المدينة ودفن فيها عدد من العلماء والصالحين ووجهاء المدينة.

٦- مقبرة الشيخ عبدالله قطب المدار "شيخ الله": تقع جنوب القلعة بالقرب من المقبرة الكبرى ومقبرة الشيخ محمد الخراساني في حي تعجيل قبالة محطة السكك الحديد القديمة، واسمها مقترن بقبر الشيخ عبدالله.

٧- مقبرة محمد الخراساني: تقع في حي تعجيل قبالة محطة السكك الحديدية القديمة وكان موقعها قبل أن تتخذ مقبرة تكية من تكايا أربيل، وقد دفن فيها الشيخ محمد وكان من خراسان الإيرانية قبل حوالى أربعة قرون كما دفن فيها عدد من الكورجية.

٨- مقبرة الشيخ محمد الواسطي: تقع جنوب مقبرة "محمد الخراساني" وسميت باسم "الشيخ محمد الواسطي المدفون فيها وهو من الصالحين، كما كان أهالي حي تعجيل إسلام يدفنون فيها موتاهم.

٩- مقبرة أوسكومة دلوكي: تقع بالقرب من مقبرة "إمام محمد" وفيها قبر أحد الصالحين وهو غير معروف، ويعرف الموقع باسم "كندة كوخ"، وقد اعتاد أهالي أربيل منذ القدم زيارة الضريح المذكور طلبا للشفاء من الأمراض، وثم قبور أخرى في المقبرة لكن التطور العمراني الذي تشهده المدينة سيقضي على المقبرة.

١٠- مقبرة "ستي إمام": تقع ضمن محطة قطارات أربيل، والضريح موجود في غرفة صغيرة، تزوره النسوة أيام الأربعاء طلبا للشفاء، وإلى أدنى من ضريح "ستي إمام" هناك ضريح "باباكركر" كانت نساء المدينة يقصدنه ليرزقن بالبنين وقد شاعت في أربيل مقولة

"باباكركر جئت طالبة البنين" عند زيارة القبر.

١١- مقبرة الشيخ عمر: تقع في حي خانقاه خلف جامع الشيخ أبوبكر النقشبندي، وفيها قبر هذا الشيخ وقد عرفت باسمه، كما دفن بها عدد من أشراف وصالحي أربيل.

أما مقابر الأقليات الدينية كاليهود والمسيحية الذين عاشوا في المدينة منذ القدم، فقد كان لليهود مقبرتهم الخاصة عند الواد الموجود جنوب المدينة إلى جانب مقبرة "جراغ"، ويعود تاريخها إلى عصر ما قبل الإسلام. ويذكر أن اليهود المقيمين في منطقة سهل أربيل، كانت جثامينهم تنقل بعد موتهم إلى أربيل حيث تدفن في هذه المقبرة، لإذ لم تكن لهم مقابرهم في قرى المحيطة بأربيل لقلة عددهم فيها.

ولم يكن للمسيحيين مقابر خاصة بهم في مدينة أربيل، بل لهم مقبرتان في قرية عينكاوا أقدمهما "قسرا" وهي عبارة عن تلة شمال عينكاوا مساحتها ١٥٠٠ متر مربع، ومقبرة "مارت شموني" الخاصة بالآشوريين ومساحتها ألف متر مربع وتقع إلى الشمال من مقبرة "قسرا". ويمكن القول إن هذه المقابر تدل على التعايش والاحترام المتبادل بين أبناء المدينة بمختلف أديانهم وقومياتهم.

المقابر والأضرحة الدينية القديمة جدا تعد موضع تقدير كافة أبناء المدينة من المسلمين بمختلف قومياتهم "الكرد، التركمان، العرب"، وتزار باستمرار لأغراض مختلفة ومازالت قائمة إلى اليوم، ومن أهم المزارات "مزار مظفرالدين كوكبري، ستي إمام، بينجة علي، شيخ الله، النبي عزير، جاكي بن عَردي، إمام شاقز، الشيخ جولي، محمد الخراساني، إمام محمد، الشيخ أومر، باباكركر، الشيخ معروف".

## - التركيبة السكانية:

ينقسم سكان أربيل وفقا لقومياتهم إلى عدة قوميات، ويشكل الكرد القسم الرئيس من سكان المدينة، ويأتي التركمان بالدرجة الثانية بعدهم، لكن تركمان أربيل مختلفون في اللهجة عن التركمان في المناطق الأخرى مثل (كركوك، تلعفر، داقوق، كفري، قرتبة)، لكن أهالي آلتون كوبري يتحدثون نفس اللهجة، وهناك روايات عديدة عن أصلهم وظهورهم، ومن أعرق عائلات المدينة، عائلات (ملا أفندي، يعقوب آغا، رشيد آغا ويس آغا، عمر آغا حاجي احمد، عَبو آغا عوزيري، مردان محمود آغا، محمد آغا ميرم خان، آل الدباغ، بيربال آغا، عبدالله جلبي، عبدالرزاق آغا، سيد احمد آغا نقيب، حسن آغا صالح سور جاوشلي، زيور آغا، الحيدرية، الأسعدية، عائلة تيرو، حمة على زمو، علي باشا دوغرمجي، شيخ جولي) وأغلبهم من ملاك الأراضي في أربيل والقرى المحيطة بها، ويأتي العرب بالدرجة الثالثة وهم الأقل عددا.

وكان اليهود يشكلون قسما آخر من سكان أربيل، ويشير بعض المصادر إلى أن هؤلاء هم من بقايا السبي الذي تخلف عن موجات الحملات العسكرية في الحقب المختلفة التي سبقت الإسلام، وبعد أن بلغ الأسلام البلاد تم نقلهم إلى كردستان على ثلاث مراحل. وإلى جانب المدينة، سكن اليهود في بعض قرى سهل أربيل ومنها "قوشاغلو، أومَراوا، قازيخانة، كردمَلا" وقرى أخرى.

كما عاش النصارى "المسيحيون" منذ القدم في أربيل، وقد عاشت نسبة قليلة منهم في حي عارَبان، ومن العائلات التي سكنت في الحي "جورج صانع الأسنان، بايكرديج، ميساك الخياط، صالح سوبي، هورن"،

لكن غالبيتهم سكنت في قرية عينكاوا التي تعد المركز الرئيس لسكن مسيحيي أربيل.

عدد سكان لواء أربيل بين العامين ١٩١٩ و ١٩٣٥

| السنة | عدد السكان بالآلاف |
|---|---|
| ١٩١٩ | ١٠٦ |
| ١٩٢١ | ١٠٦ |
| ١٩٢٩ | ١٠٦,٩٧٥ |
| ١٩٣٠ | ١٠٦,١٣٤ |
| ١٩٣٢ | ١٠٧ |
| ١٩٣٤ | ١٤٤ |
| ١٩٣٥ | ١٦٩ |

كانت أربيل منذ القدم من ناحية التكوين الديني لسكانها تعددية، فبعد انتشار الإسلام اعتنق غالبية السكان هذا الدين واتبعوا مذهب السنة، وقد عاش في أربيل عدد قليل من الشيعة.

كانت اليهودية الديانة الثانية في أربيل. وقد سكن اليهود أول الأمر في القلعة ثم تم نقلهم في أواخر الحكم العثماني إلى جنوب القلعة وأسكنوا في حي تعجيل، ولم يبق في القلعة غير كنيساتهم، وقد اختلفت أسماء كنيسات اليهود حسب حجمها، فقد كان الكنيس الكبير يعرف باسم "كنيشتا ربتة" والصغير "كنيشتا زورتة".

أما الدين النصراني (المسيحي) فقد كان ثالث الأديان وكانت الكنائس

هي أماكن العبادة الخاصة بهم، لكن الملفت أن أغلب مسيحيي أربيل سكنوا قرية عينكاوا، خلا نسبة ضئيلة منهم سكنت في أربيل وكانت لهم كنيسة وحيدة في حي عارَبان عرفت بكنيسة "القلب الأقدس" كانت تشهد إحياء مناسباتهم كعيد الفصح وميلاد السيد المسيح عليه السلام.

وعن الطبقات الاجتماعية، فبسبب العدد القليل نسبيا لسكان أربيل في هذه الفترة التاريخية لم تبرز الاختلافات الطبقية بوضوح فيها مثلما كانت الحال في غيرها من مناطق جنوب كردستان كقرى سهل أربيل مثلا، لكن طغيان النظام الاقطاعي على كل كردستان، وبسبب تواجد عناصر هذا النظام الاجتماعي في أربيل أيضا وخاصة مالكي الأراضي الذين يعدون عنصرا رئيسا من عناصر المجتمع الطبقي، نستطيع وفقا للأسس الرئيسة لهذا النظام تقسيم سكان هذه المدينة إلى ثلاث طبقات:

١- طبقة الأثرياء: وجلهم من سكان القلعة والآغوات وكبار التجار ذوي المضايف والقصور الضخمة، وإلى جانبهم بعض علماء الدين الموسرين، وقد كان أغلب عائلات أثرياء أربيل وضواحيها مالكا للأراضي الزراعية وخاصة أراضي منطقة سهل أربيل الخصب، ومن هذه العائلات "يعقوب آغا، الحاج رشيد آغا ويس آغا، عمر آغا حاجي أحمد، عَبو آغا العزيري، مردان آغا، محمد آغا ميرم خان، بيربال آغا، عبدالله جلبي، عبدالرزاق آغا، سيد أحمد آغا النقيب، حسن آغا صالح سور جاوشلي، زيور آغا، شيوخ خانقاه، الشيخ محي الدين الشيخ صالح، حَمو علي زَمو، علي باشا دوغرمجي" وعائلات أخرى.

٢- الطبقة الوسطى: وكانت تتألف من صغار التجار وأصحاب المحال وموظفي الدولة ورجال الدين والأقلية المثقفة. ومع أن عددا من

المصادر العنية بتاريخ هذه المدينة يشير إلى غياب الطبقة الإقطاعية عن كل تاريخ أربيل، فــإن ذلك الاســتنتــاج لا يتــفق مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمدينة.

٣- الطبقة الفقيرة: وتتألف من الكسبة والعمال وذوي الحرف اليدوية، الذين كانوا يعيشون حياة الفقر ويشكلون قسمان من سكان المدينة.

**العلاقات الاجتماعية:**

تلتزم المجتمعات الانسانية بحسب النظم الاجتماعية بعدد من الأسس والقيم التي قد يتغير بعضها وفقا لمراحل تطور المدنية، بينما يبقى البعض منها مستمرا لاحتواء كل فرد على عامل إدامة له. والعلاقات الاجتماعية واحدة من الظواهر الاجتماعية التي يلعب كل فرد في المجتمع الكردي دوره فيها بل يعد كل فرد عاملا لظهور الاختلاف في العلاقات سواء من زمن إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر، بل وضمن مجتمع واحد أيضـا، ومـردّ ذلك إلى حـقـوق وواجـبـات كل فـرد، ويرى بعض علمـاء الاجتما ع أن المجتمع الانساني عبارة عن منظمة علاقات اجتماعية بين مجموعة من الأفراد يتقاسمون عوامل مشتركة، والعلاقات الاجتماعية هي عبارة عن تأثير وتأثر كل فرد بالطبيعة وبالمجتمع ضمن الإطار الذي تظهر فيه تصرفات الانسان وتتجسد فيه المصالح والصراعات بسبب الاختـلاف بينهم، وهذا هو السبب في تصنيف أشكال العلاقات وعدم ظهورها بمظهر واحد. العلاقات الاجتماعية في مدينة أربيل يمكن لنا تقسيمها إلى عدة أشكال:

الأول: العلاقات الاجتماعية على مستوى الأديان:

بحسب طبيعة التكوين الديني لهذه المدينة حيث عاش "المسلمون واليهود والمسيحيون"، كان العامل عنصرا من عناصر بناء العلاقات الاجتماعية بين السكان. فبخصوص العلاقة بين "المسلمين والمسيحيين" ولكون أغلب المسيحيين يسكنون في قرية عينكاوا ونسبة ضئيلة منهم كانت تعيش داخل المدينة، كان مستوى العلاقات بينهم ضغيفا إلى حد ما، فقد انضم إلى قلة عددهم في أربيل، غياب المسيحيين عن النشاط اليومي أو ظهورهم بدرجة ضعيفة جدا وخاصة في النشاطات التجارية وعلاقات السوق والحرف بخلاف الأقليات الدينية الأخرى. كما أنهم كانوا مختلفين في التقاليد وخاصة من حيث الأسماء واللغة والأزياء. لكن علاقات التعاون والإحترام والمحبة بينهم وبين المسلمين كانت قائمة لاسيما في الأعياد والمناسبات كمناسبات الزواج والجنائز.

أما اليهود، فبسبب اختلاطهم الكثير بالمسلمين، لم تكن تقاليدهم وأزياؤهم تختلف كثيرا عن المسلمين، بل كانوا أيضا يسمون بناتهم بالأسماء الكردية مثل "أستيرة، روشن، نرجس، شيرين، خوخي"، وكذلك يختارون لأبنائهم الذكور بعض الأسماء المشتركة مثل "صالح، إبراهيم، يوسف، نوري، عزير، سليمان"، وكانوا يصغرون تلك الأسماء إلى "برايموك، صالحوك" مثلا، ومع أنهم كانوا يعرفون اللغة الكردية جيدا، كانت لهم لغتهم الخاصة بهم أيضا. وكانوا يتعاونون في مراسيمهم الخاصة، فيتبادلون الزيارات في الأعياد كما يشاركون في جنائز ودفن أهالي المدينة.

كان يهود أربيل، بخلاف اليهود الأوروبيين الذين كانوا يعيشون في أحياء منعزلة، مختلطين مع مسلمي المدينة وكانت أحياؤهم مجاورة

لأحياء المسلمين. من جانب آخر كان لنشاطهم الاقتصادي في سوق أربيل دوره في زيادة اختلاطهم بسائر سكان المدينة، وكانت لهم علاقات تبادل تجاري مع المسلمين. بل كانوا يعملون شركاء مع المسلمين، فمثلا كان ميخائيل اليهودي شريكا في التجارة للحاج عثمان والحاج عباس بازركان وسلمان البزاز وعَبو المسلم، كما كان المسلمون يتزوجون اليهوديات وخاصة في سهل أربيل "في قريتي قوشاغلو و عاللا"، لكن لم يكن هناك شغار مثلما أشار إليه بعض الكتاب لأن الإسلام يحرم تزويج المسلمات لغير المسلمين.

لكن العلاقات بين اليهود والمسيحيين لم تكن جيدة كتلك التي بين المسلمين واليهود، والسبب هو أن اليهود والمسلمين كانوا أقرب إلى بعضهم البعض وخاصة في التجارة والأسواق والحياة اليومية.

الثاني: العلاقات الاجتماعية على أسس طبقية:

الأوضاع الطبقية هي أيضا من العوامل التي تحدد قسما من العلاقات الاجتماعية، ورغم أن العلاقات الاجتماعية في المدن تقوم غالبا على أسس وراثية وعائلية ودينية وطائفية، حيث أن هذه العوامل هي التي تولد التأثيرات الاجتماعية في المدينة، وعلى هذا الأساس تجد لكل طبقة من السكان تقاليدها والأسس الخاصة بها لبناء علاقاتها الاجتماعية. ويمكن أن نقسم العلاقات الاجتماعية على الأساس الطبقي إلى قسمين:

١- العلاقات بين الطبقات الثرية: وتشمل الآغوات وقسما من رجال الدين وكبار التجار، حيث العلاقة بين هؤلاء متينة يمكن القول بأن المصالح الاقتصادية تلعب دورها فيها خاصة نظاما الإنتاج "الزراعي والصناعي"، وهذه العلاقة لها إنعكاسات على سائر مجالات الحياة

الاجتماعية، وقد كان هؤلاء يتعاونون بصورة خاصة في المناسبات العامة والخاصة، فمثلا اختلطت عائلة "رشيد آغا" اجتماعيا بعائلات "آل النقيب، الدباغ، اليعقوبية، الجلبية، العزيرية" ومع العائلات الدينية في أربيل ومنها "شيوخ خانقاه، ملا أفندي"، وإلى جانب عائلات أربيل كانت لها علاقات نسب مع عشيرة "طي" العربية. وكانت هناك مثل هذه العلاقات بين آغوات أربيل وآغوات "خوشناو، دزَيي، كَردي"، مثل العلاقة بين آل النقيب وعائلتي "بايز وفارس" من عشيرة دزَيي، وعلاقات بعض العائلات الدينية مع الآغوات كعلاقة الشيخ مصطفى مع رؤساء عشيرتي "كَردي، والعزيري".

من جانب آخر كانت علاقات الآغوات مع آغوات ورؤساء عشائر أطراف أربيل في مستوى جيد، ومنهم "دزَيي، خوشناو، كَردي" وغيرهم، لكن التطورات السياسية في كردستان كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى تغيير وجهة تلك العلاقات، فمثلا عند احتلال أربيل من قبل البريطانيين برزت بصورة جيدة علاقات أعداء بريطانيا مع زعماء عشيرة دزَيي، لكن عند تحسن علاقات عدد من هؤلاء الزعماء القبليين مع البريطانيين ساءت علاقاتهم مع عدد من آغوات أربيل.

كانت لزعيم قبيلة خوشناو "ميران قادر بك" علاقات قوية مع رجالات أربيل ومنهم آغواتها ورجال الدين وآغوات دزَيي في سهل أربيل، حتى أنه كان مستعدا لمساعدة شخصيات أربيل ضد المتصرفين الذين لم يكن أبناء أربيل يريدونهم، لدرجة أنه وعد كلا من "حسين ملا وفتاح آغا الهركي" بأن يقضي على سلطة الحكومة فيما فوق أربيل في حال لم تستجب الحكومة لمطالبة الأربيليين بعزل المتصرف "أحمد توفيق بك".

٢- العلاقة بين طبقة الأثرياء والفقراء: بدت هذه العلاقة في مستويات لا

تكاد تذكر لأن المستويات والمقامات الاجتماعية والاقتصادية كانت تلعب دورا هاما فيها، ورغم الإشارة إلى أن بعض أغوات أربيل كان يتعامل بعطف وحب مع الطبقة الفقيرة في المدينة، لكن يمكن القول أن تلك العلاقة كانت محدودة جدا، إذ لم يكن ثم أي رابط يربط آغوات أربيل بفقرائها غير كون البعض من الفقراء أجراء عند الأغوات في البيوت والحقول وغيرها، دون أن يحصل أي اختلاط في الأنساب، فقد كانت المستويات الاجتماعية والاقتصادية تمنع الآغوات من الاختلاط بالفقراء وقد سرى هذا التقليد الرجعي على آغوات أربيل وسهل أربيل، لكن لكون الآغوات هم المتسلطين، فقد كان بإمكان أبنائهم إن أعجبتهم بنات الفقراء أن يتزوجوهن وقد شاع ذلك بين آغوات سهل أربيل بينما ندر في آغوات أربيل لأنهم كانوا يعدون الزواج ببنات الفقراء نقيصة لا تناسب مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية. وكانت التجارة أيضا من عوامل الربط بين الطبقة الثرية في المدينة ونظيراتها في المناطق المحيطة بأربيل كالموصل وبغداد وخارج العراق مثل دياربكر بتركيا وحلب وديرالزور بسوريا وصابلاخ وتبريز الإيرانيتين.

الثالث: العلاقات الاجتماعية على أساس الحرف:

كان سوق القيصرية منذ القدم، عاملا من عوامل التقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية للمدينة بمختلف قومياتها وأديانها، وقد كانت أربيل منذ القدم مدينة ذات حرف معينة من أهمها "الحدادة، صياغة الذهب، الخراطة، النجارة، الصفارين" وحرف أخرى. وكان وجود هذه الحرف من الأسباب التي خلقت نوعا من العلاقات الاجتماعية بين أبناء المدينة وخاصة بين الحرفيين بسبب نوع حرفهم، فمثلا تعد النجارة من الحرف

القديمة في أربيل وكان ما تنتجه هذه الحرفة من سلع، يعتبر أدوات تستخدم في الزراعة كأدوات الحراثة والحصاد والطحن، وكذلك الحال بالنسبة للحدادة التي كانت منتجاتها تدعم منتجات النجارة في صناعة الأدوات الزراعية. وبهذا كانت هذه الحرف تعد بطريقة من الطرق مكملة لبعضها البعض، ما أدى بالتالي إلى تقارب أصحابها ونشوء علاقات اجتماعية بينهم ليس داخل المدينة وحدها بل ومع مناطق الأرياف المحيطة بها أيضا.

لكن العلاقة بين ذوي الحرفة الواحدة، مثلا بين الحداد والحداد وبين النجار والنجار وبين القصاب والقصاب وبين البقال والبقال، ولعدم وجود علاقات مهنية بين هؤلاء من قبل الجمعيات والنقابات، لم تكن مميزة، كأن تكون للحدادين علاقات مع أمثالهم فقط، وكذلك الحال بالنسبة إلى غيرهم، لذا يمكن القول بأن جميع حرفيي المدينة كانوا بسبب صغر حجم السوق من جهة وقلة عدد السكان من جهة أخرى، يتمتعون بعلاقات متنوعة عموما، فمثلا كانت هناك علاقات نسب ومصاهرة بين ذوي الحرف المختلفة وكانوا يتبادلون الزيارات في المناسبات الخاصة والعامة، ويمكن القول بأن سوق أربيل كان مكان ربط هؤلاء ببعضهم البعض وإنشاء علاقات بينهم.

### **الأوضاع السياسية في مدينة أربيل** (١٩١٨–١٩٣٩)

بعد هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، انتهت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨) بانتصار الحلفاء، وكانت النتيجة ان احتلت قوات الحلفاء مناطق واسعة كانت تابعة لسلطة الدولة العثمانية. وكانت أربيل حتى ذلك الحين قضاء تابعا لولاية الموصل بموجب النظام الإداري

العثماني، وكانت الولاية المذكورة قد بقيت بعد توقف القتال خاضعة للسلطة العثمانية.

لغرض سحب إدارة مدينة أربيل من الدولة العثمانية وإخراج ما بقي من قوات تلك الدولة منها، أرسل قائد القوات البريطانية في كركوك مذكرة عن طريق الكابتن هَي W. R. Hay إلى المسؤولين العثمانيين في أربيل، ولم يصحب الكابتن المذكور أية قوات معه خلا ضابط بريطاني واحد من وحدة الخيالة ١٢ الهندسية وموظفي إتصالات بريطانيين. بعد لقاء هَي بالمسؤولين العثمانيين في المدينة تم تسليم إدارة مدينة أربيل إلى البريطانيين. وبعد انتشار خبر وصول القوات البريطانية إلى كركوك ومسيرها إلى أربيل، اجتمع وجهاء أربيل ورؤساء القبائل المحيطة بأربيل لاتخاذ موقف موحد مما يجري، وبعد التشاور حول فكرة مقاومة البريطانيين، ظهر توجهان أولهما ينطلق من كون القوات العثمانية قد هزمت على كافة الجبهات وانسحبت من المدينة خلا قوة صغيرة وليس بإمكان أهالي أربيل مقاومة قوة مثل قوة بريطانيا فاختاروا عدم المقاومة حفظا للمدينة من الدمار، والتعامل مع الظرف الذي فرض نفسه، لكن وجهة النظر الثانية كانت تقول بمقاومة القوات البريطانية، وذلك بقيادة "الحاج رشيد آغا وعلي باشا دوغرمجي وعبدالله باشا أحمدي وجميل آغا كَردي وأحمد باشا دزَيي والحاج بيرداود دزَيي" مع عدد آخر من وعماء قبائل سورجي وزراري وخوشناو، لكن بالأخير ثبتت فكرة عدم المقاومة وتسليم المدينة للبريطانيين دون مقاومة. بعد تنفيذ مهمة تسلم المدينة، اجتمع الكابتن هَي في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ بدار القائمقامية "السراي _ دار الحكومة" مع وجهاء أربيل وتحدث إليهم عن وضع المدينة وقدوم القوات البريطانية إليها. وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨، وصل

النقيب موري إلى أربيل وتولى منصب نائب الحاكم السياسي لأربيل. وبهذا بدأت مرحلة جديدة من تاريخ المدينة مع انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨). وفي فترة الحكم البريطاني تولى حكم أربيل كل من:

١– دبليو آر هَي :W. R. Hay تسلم المدينة من العثمانيين في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨، وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ عقد أول اجتماع في سراي الحكومة مع وجهاء أربيل التي بقي فيها حتى ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨.

٢– الكابتن موري :Cap. Murry باشر مهامه نائبا للحاكم السياسي في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨ وبقي في هذا المنصب حتى ١٣ تموز ١٩١٩.

٣– دبليو آر هَي :W. R. Hay باشر مهامه حاكما سياسيا من ١٣ تموز ١٩١٨ حتى ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠.

٤– الكابتن مارشال :Cap. Marshal باشر مهامه حاكما سياسيا لأربيل في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠.

لم تشهد أربيل في أيام البريطانيين تطورا يذكر. لكن بعد اقتراح "مست بل" الحاكم السياسي للموصل تحويل أربيل إلى متصرفية وإلحاق قضاءي كويسنجق ورواندز بها، توجه الكابتن هَي رفقة رئيس البلدية "أحمد عثمان" إلى بغداد لطرح المقترح على الحاكم السياسي للعراق "ولسن" الذي لم يوافق عليه في البدء، لكن تقرر فيما بعد القبول به. وبهذا صارت أربيل في الأول من تشرين الثاني ١٩١٩ متصرفية تابعة لمتصرفية كركوك، ثم صارت في العام ١٩٢٣ لواء مستقلا وصار أحمد عثمان أول متصرف للواء أربيل.

يذكر أن البريطانيين في الفترة ١٩١٨-١٩٢٠ لم تكن لديهم سياسة واضحة تجاه المناطق الكردية عموما وأربيل خصوصا، وقد تسبب ذلك في انتهاج سياسة معقدة متضاربة، كما أن الحاكم السياسي العام للعراق "ولسن" انتهج نفس تلك السياسة التي كان ينتهجها في الهند، وفي بدء وصولهم إلى أربيل سعوا إلى ترسيخ سلطتهم والبحث من أجل بناء مركز قوي لهم يقفون عليه وممارسة سياسة غامضة تخفى على السكان والعمل على إنشاء قوة كردية تابعة لبريطانيا في أربيل تأتمر بأوامرهم.

بعد أن تمكن البريطانيون من تقويض سلطة الشيخ محمود في كل كردستان، لجأوا إلى ممارسة الحكم المباشر، وكان الكابتن هَي يسعى إلى إحياء السلطة المركزية في أربيل بعد تغييرات مشابهة على سلطة لإتحاديي تركيا على أربيل. وعن هذا قال الميجر سون: "لإن أردنا أن نحكم أربيل، فعلينا أن لا نكتفي بها وحدها بل يجب أن نحكم رواندز أيضا، عندما أنظر إلى الكرد أقتنع بأنهم لا يريدون ولا يستحقون حكما ذاتيا..."

لغرض ترسيخ سلطتهم وسيطرتهم على أربيل، وثق البريطانيون في الزعماء القبليين الذين يحمون مصالحهم وخصصوا بعض المال ليدفع لهم كراتب شهري لقاء ولائهم لبريطانيا، ومن جهة أخرى ولغرض فرض سيطرتهم اعتمدوا على القوة البريطانية في المدينة وهي عبارة عن فوج عسكري هندي وصل إلى أربيل بعد خروج القوات العثمانية بأسبوع. أما قوات الشرطة فقد كان عدد أفرادها في المدينة قليلا وهم أنفسهم الذين كانوا موجودين في أيام الحكم العثماني، لكن البريطانيين بعد الاحتلال فرضوا نظاما جديدا للشرطة فزاد عددهم بمرور الزمن وأطلق على تلك

القوة اسم "قوة الليفي" وكان يقودها في أربيل النقيب "ليتلدَيل". كانت هذه القوة الوحيدة لحماية السلطة البريطانية وترسيخها في المدينة والوقوف في وجه المعادين لبريطانيا. ويذكر أن بدء تشكيل هذه القوات كان في العام ١٩١٥ وكانت ذات أعداد قليلة عرفت حينها بـ"الخيالة العرب" حيث كان العرب وحدهم يشكلون قوامها، لكن في العام ١٩١٨ بلغ عددها الآلاف وتغير اسمها إلى "الشبانة"، حيث بدأت مشاركة الكرد فيها وانضم إليها أهالي أربيل تحت إمرة الزعماء القبليين، وكان هدف هذه القوات الوحيد حماية سلطة وسمعة بريطانيا في جميع أنحاء العراق.

كانت أربيل مدينة هادئة إلى حد ما، لكنها لم تكن المدينة التي يمكن تترسخ فيها الإدارة البريطانية بسهولة، إذ يمكن القول بأن دوام حكم الأتراك لها مئات السنين كان قد بنى للأتراك مكانة ومؤيدين تصعب زعزعتهم، سواء في ذلك الذين كانوا قد نالوا مناصب ودرجات أو الذين كانوا قد اقتنعوا بأن الدولة العثمانية هي امتداد للخلافة الإسلامية، وهؤلاء أغلبهم من الناس البسطاء، لكن الحقيقة وخاصة بعد انقلاب الاتحاديين في العام ١٩٠٨ وإعلان الدستور العثماني كانت عبارة عن بروز القضية القومية وفقدان القضية الدينية أهميتها السابقة.

وعن بدايات المواجهات بين أربيل والبريطانيين، فإن الأمور لم تخرج عن إطار التعبير عن السخط من احتلال المدينة والاجتماعات ونشر الدعاية المعادية للبريطانيين ويمكن القول بأن المرحلة كانت هادئة وسرية. لكن ذلك لم يدم طويلا بل دخل مرحلة العلنية والسعي لطرد بريطانيا من المدينة في مطلع آب ١٩٢٠، وأسباب هذه المواجهة إضافة إلى فكرة الدفاع عن المدينة كانت نابعة عن السخط على تصرفات البريطانيين في

أربيل كما أنها تزامنت مع التوترات التي مرت بها مناطق أخرى من كردستان والثورة ضد البريطانيين في كردستان ووسط وجنوب العراق، والتي كانت رد فعل على الظروف التي عاشها الشعب الكردي في كردستان والشعب العربي في وسط وجنوب العراق في ظل بريطانيا وتعهداتها.

ومن الإجراءات العملية في هذا المجال، تعرض الكابتن هَي في ١٢ آب ١٩٢٠ في طريق عودته من رواندز إلى أربيل إلى كمين في منطقة كلي علي بك وإطلاق النار عليه ونجاته بأعجوبة، وتفيد المصادر التاريخية أن الكمين خطط له من قبل ثوار أربيل وشارك فيه بعض المعادين لبريطانيا من أبناء مدينة رواندز.

كما دبرت محاولة لاغتيال مساعدي الكابتن هَي في أربيل لكن لم تنفذ المحاولة، ولما عاد إلى أربيل في ١٥ آب لم تكن أوضا ع المدينة عادية، وقد أحرقت دار الكابتن هَي ولم يستطع بعدها الإقامة فيها وكان مهددا بالقتل، فأقام في المعسكر البريطاني بأربيل لكي يتمكن من مغادرة المدينة حالما اضطر إلى المغادرة، وذلك بمساعدة القوات الموجودة في المدينة وبعض رجالات المدينة.

كانت أربيل في تلك الفترة تمر بظروف غير مستقرة، وكانت السلطة البريطانية قد تحولت إلى سلطة رمزية تنتظر دون أمل. في ٨ أيلول وصل جوا صحبة ٣ طائرات إلى أربيل قادما من بغداد، الحاكم السياسي العام "ولسن"، يرافقه وفد من ضباط القوة الجوية الملكية واجتمع مع عدد من وجهاء المدينة. لكن زيارة ولسن، وكذلك تهديداته، لم تفعل فعلها في إرهاب سكان أربيل وضواحيها، فبعد عودة الحاكم العام إلى بغداد ببضعة أيام انكشفت الخطة التي كان قد وضعها ثوار أربيل

لطرد البريطانيين من أربيل وإقامة حكومة محلية فيها. لكن انتفاضة أربيل انتهت وبقيت السلطات البريطانية في المدينة، لأنه مع المجيء بقوات الجيش إلى المدينة، تراجع عدد من المعادين لبريطانيا عن موقفهم وتحولوا إلى موالين لها قبل وصول تلك القوات، وانتهى الحصار الذي كانت تعانيه السلطة البريطانية مع وصول القوات القادمة من الموصل إلى أربيل، عن طريق "كوير" في ١٣ أيلول، ووصول القوات القادمة من كركوك إليها في ١٤ أيلول، فتغيرت أوضاع المدينة، وأمسكت بريطانيا من جديد بزمام الأمور، وبهذه المناسبة أصدرت القيادة العامة البريطانية منشورا أشارت فيه إلى تحسن أوضاع أربيل، لكن الناس وخاصة أبناء مدينة أربيل كانوا غاضبين على البريطانيين.

### أربيل في ظل الحكم الوطني:

بعد إعلان نظام الانتداب على العراق في مؤتمر سان ريمو في ٣ أيار ١٩٢٠، خضع العراق رسميا لسلطة بريطانيا، وكانت أوضاع أربيل السياسية في هذه الفترة أفضل من المناطق الأخرى، وكانت السلطة البريطانية فيها رمزية حتى ١٤ أيلول، لكنهم استعادوا بعد ذلك سيطرتهم على المدينة، وتم اعتقال عدد من الأشخاص ونقلوا إلى سجن بغداد حيث اتهموا بالقيام بنشاطات معادية لبريطاني في المدينة، وإلى جانب أربيل خضعت مناطق وسط وجنوب العراق أيضا إلى أوضاع سياسية غير مستقرة.

وصل بيرسي كوكس في الأول من تشرين الأول ١٩٢٠ إلى بغداد بهدف القضاء على الثورة وتشكيل حكومة عربية في العراق، وبعد محادثات أجراها مع "عبدالرحمن النقيب" واستحصال موافقته، تم

تشكيل الحكومة الموقتة الأولى في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ والتي كانت مؤلفة من ٨ وزراء و١٢ وزيرا بلا وزارة، ولم يكن في تلك الحكومة وزير أربيلي واحد.

وعن موقف أربيل من هذه الحكومة الجديدة، فإنه لم ذا أهمية تذكر، لكن نستطيع القول بأن المعادين لبريطانيا في أربيل كانوا يسعون إلى إقامة حكم وطني، وكانت السلطات البريطانية في المدينة تؤيد هذه الحكومة الموقتة لأنها صنيعتهم وكانوا هم المشرفين عليها، وكان قسم من سكان أربيل يؤيد قيام دولة كردية مثلما تقرر في السليمانية، وكان أهالي أربيل عموما معارضين لفكرة عودة الأتراك ليكموا المدينة من جديد.

كان بيرسي كوكس واحدا من معارضي فكرة قيام دولة كردية في كردستان الجنوبية ويدعم إعادة التنظيمات الإدارية التي كان معمولا بها إبان حكم الدولة العثمانية والتي من شأنها أن تجعل أربيل وحدة إدارية تابعة للواء كركوك تدار من قبل مساعد متصرف، وبعد عودته في ٦ أيار ١٩٢١ أصدر بيانا بخصوص قرارات مؤتمر القاهرة، وكانت النقطة الثانية منه تمس أربيل وقد جاء فيها:

"... فيما يتعلق بلواء أربيل، فقد وعدت السلطات البريطانية بالبحث لإرسال موظفين بريطانيين إلى أربيل للمساعدة في إدارة المدينة والمناطق المحيطة بها. مع مراعاة رغبات الكرد في اختيار وتعيين الموظفين هناك. كما أن أربيل ستكون لواء ثانويا تابعا للواء كركوك، وسيتم تعيين مساعد متصرف لها يتمتع بصلاحيات متصرف إلا في الأمور المالية والعسكرية والسياسة الخارجية والعلاقة مع القبائل المحيطة بأربيل، وعليه أن يستشير متصرف كركوك في هذه المسائل..."

وعن موقف أربيل من الأفكار الواردة في البيان المذكور، يجب إجراء استفتاء ويبدو من نتائجه أن أربيل تؤيد تلك الأفكار التي جاءت في بيان ٦ أيار، وهي بهذا تصبح جزء من دولة العراق حديثة التشكيل.

بعد تشكيل حكومة العراق الموقتة برئاسة "عبدالرحمن الكيلاني" في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠، بدأت بريطانيا تفكر في العثور على شخص يرأس العراق، وباتت هذه الفكرة واحدة من مواضيع مؤتمر القاهرة في العام ١٩٢١، حيث طرح بيرسي كوكس أسما المرشحين خلال هذا المؤتمر، ولم يكن اسم الأمير فيصل واردا ضمن قائمة المرشحين، لكن تم اختياره في الأخير.

بعد وصول الأمير فيصل إلى بغداد، وافق رئيس الوزراء في ١١ تموز ١٩٢١ باسم الحكومة العراقية الموقتة على تنصيب "فيصل ابن الحسين" ملكا على العراق وتقرر إجراء استفتاء شامل جميع العراق.

وعن أربيل، فقد قرر سكانها مساندة الأمير فيصل مشترطين لذلك أن يدار المركز من قبل إدارة كردية مثلما جاء في معاهدة "سيفر"، وكان تصويت سكان أربيل لصالح الأمير فيصل مختلفا عن تصويت غيرها من المناطق كالسليمانية وكركوك اللتين لم تصوتا لصالحه. وهناك عوامل عدة لعبت دورها في هذا، منها أن المستشارين البريطانيين في أربيل أقنعوا سكانها بالقبول بتولي الأمير فيصل عرش العراق، كما لعب "ملا فندي" الشخصية الأربيلية البارزة، دورا كبيرا في إنجاح الاستفتاء، وقد كانت هناك علاقات قوية تربط عائلة ملا فندي، وخاصة والده "ملا عمر" بشريف مكة.

بعد إعلان النتائج والحصول على أصوات ٩٦٪ من المستفتين، تم في مراسيم مهيبة تتويج فيصل ملكا للعراق في ٢٣ آب ١٩٢١، وشارك في

المراسيم ممثلو كل المدن التي شاركت في الاستفتاء، وبناء على دعوة من رئيس الوزراء، شارك "عبدالله باشا النقيب" فيها ممثلا عن أربيل. ويذكر أن لقاء حصل بين رئيس الوزراء وعبدالله باشا، عرض فيه عبدالرحمن الكيلاني حقيبة وزارة الأوقاف عليه، فوافق على ذلك لكن مرضه ثم موته حالا دون تحقق ذلك.

بعد صدور إرادة ملكية عن "الملك فيصل الأول" في ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ بتشكيل مجلس تأسيسي، طلبت وزارة الداخلية من كل المتصرفيات اتخاذ الإجراءات اللازمة لهذه الانتخابات، وبعد إجرائها بدأت أولى جلسات المجلس في ٢٧ آذار , ١٩٢٤

مثّل أربيل في هذا المجلس كل من "إبراهيم الحيدري، صبيح نشأت، محمد عبدالله أفندي، عبدالله مخلص، محمد شريف، بيرداود آغا دزَيي، حسين محمد بايز آغا دزَيي، داود الحيدري"، وبعد تنفيذ واجبات تلك المرحلة تم حل المجلس بموجب مرسوم ملكي في ٣ آب ١٩٢٤. وبعد المصادقة على قانون انتخابات مجلس النواب في ٨ تشرين الثاني ١٩٢٤، تم انتخاب أول مجلس نواب عراقي.

أسماء ممثلي لواء أربيل في الدورات (الأولى – التاسعة)

| الدورة | طول فترتها بالسنين والشهور والأيام | عدد أعضاء الدورة | أسماء الأعضاء |
|---|---|---|---|
| الأولى | سنتان و ٥ أشهر ويوم واحد | ٨٨ | صبيح نشأت، داود حيدري، ابراهيم يوسف، اسماعيل بك رواندزي، عبدالله مخلص |
| الثانية | سنتان وشهر و٢٤ يوما | ٨٨ | جمال بابان، داود حيدري، معروف جياووك، اسماعيل رواندزي، عبدالله مفتي |
| الثالثة | سنة و١١ شهرا و٢٧ يوما | ٨٨ | ابراهيم يوسف، داود حيدري، علي باشا دوغرمجي، معروف بيرداود آغا دزيي، صلاح الدين بابان |
| الرابعة | سنة و٥ شهور و٢٦ يوما | ٨٨ | جلال بابان، عبدالله مفتي، علي باشا دوغرمجي، ميران قادر بك، داود حيدري |
| الخامسة | شهران و١٣ يوما | ٨٨ | احمد محمد علي آغا، جمال بابان، سليمان فتاح، علي باشا دوغرمجي، ميران قادر بك |
| السادسة | سنة وشهر و٢١ يوما | ١٠٨ | حسين ملا، ميران قادر بك، علي باشا دوغرمجي، أمين رواندزي، حويز آغا |
| السابعة | ٦ شهور ويومان | ١١١ | جميل آغا كردي، خدر احمد باشا، شكري محمد صكبان، ميران قادر بك، محمد علي آغا جنديان، محمد علي محمود |

| الثامنة | سنتان وشهر و٢٠ يوما | ١٠٨ | محمد علي محمود، جمال بابان، عطاالله رشيد آغا، أحمد محمد علي، جميل آغا كردي، خدر احمد باشا |
|---|---|---|---|
| التاسعة | ٤ سنوات و٣ أيام | ١١٣ | احمد عثمان، ابراهيم يوسف، جمال بابان، جميل ئاغا حويزي، حوسين ملا، حمدى سليمان، صديق ميران |

**أربيل بعد حل مشكلة الموصل:**

عند ظهور مشكلة ولاية الموصل، كانت مدينة أربيل واحدة من المدن ذات التأثير على مصير تلك المشكلة، خاصة بعد فشل الدولتين في حل المشكلة بينهما ورفعها إلى عصبة الأمم وتشكيل لجنة خاصة بحلها. من جانب آخر، كانت الدولتان الحديثتان "المملكة العراقية وجمهورية تركيا" في سباق للفوز في المشكلة. ولم تكن أربيل مستثناة من نشاطات الطرفين، بالرغم من أن مساعي الأتراك كانت تجري في الخفاء ولم يكن مؤيدوهم يظهرون في المدينة علنا، بينما كشفت المملكة العراقية نشاطاتها العلنية في هذا المجال، ومن بين مساعي الحكومة العراقية قيام الملك فيصل في ١٩ كانون الأول ١٩٢٤ بزيارة مدينة أربيل واجتماعه بوجهاء المدينة وإطلاقه بعض الوعود لأهلها. وللغرض نفسه، قام عبدالمحسن السعدون، وزير داخلية العراق في كانون الثاني ١٩٢٥ بزيارة مدينة أربيل، وعقد مؤتمرا بحضور المسؤولين السياسيين البريطانيين ووجهاء وكبار مسؤولي إدارة أربيل، بهدف لفت أنظار السكان، واتخذت خلال المؤتمر مجموعة قرارات كان بعضها يخص مدينة أربيل.

أقامت اللجنة الدولية لحل مشكلة الموصل في المدينة والمناطق التابعة للواء أربيل، لمدة أسبوعين، وإلتقت بالكثير من الشخصيات داخل وخارج

أربيل مثل "ملا أفندي، قادر ميران بك، ملا محمد كويسنجق" وزارت رؤساء عشائر دزَيي وخوشناو وكَردي وشيخ بزيني. يذكر أنه في حين كانت اللجنة تعمل في أربيل، وجه عبدالمحسن السعدون وزير داخلية العراق، كتابا سريا مؤرخا في ٤ شباط ١٩٢٥ إلى متصرف الموصل "عبدالعزيز القصاب" يوجهه بالاتصال المستمر مع "أحمد عثمان" متصرف أربيل وإطلاعهم باستمرار على أعمال اللجنة. وفي الواقع كا لمتصرف أربيل دور بارز في تلك الظروف، وعندما كانت اللجنة تجوب المدينة أصدر كتابا سريا نشره بين الوجهاء والزعماء القبليين، أوضح فيه الأسئلة التي تطرحها اللجنة على السكان محددا الإجابات في نفس الوقت وهي في صالح البقاء مع العراق. وقد تعرض هذا الإجراء من جانب متصرف أربيل إلى انتقاد "رشدي بك" ممثل الحكومة التركية في عصبة الأمم عند مناقشة تقرير اللجنة في ٣ أيلول ١٩٢٥، والذي اعتبره انتهاكا لعمل اللجنة.

بعد انتهاء عمل اللجنة في المناطق التابعة لولاية الموصل، تم إعداد تقرير شامل عن الأوضاع، رفع إلى جانب التقرير النهائي للجنة إلى عصبة الأمم. وبعد دراسة التقرير وتقييمه وإبداء الآراء المختلفة حوله، قررت عصبة الأمم في جلسة ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ إلحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية المستحدثة، وفي ٥ حزيران ١٩٢٦ تم التوقيع على اتفاق ثلاثي بين بريطانيا والعراق وتركيا، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من تاريخ العراق السياسي.

بانتهاء مشكلة ولاية الموصل وإلحاقها بالمملكة العراقية وتعيين "خط بروكسل" حدودا رسمية تفصل بين الدولتين، كان الموقف الرسمي في أربيل الترحيب عن طيب نفس بهذا القرار من جانب المؤسسات

الحكومية، وقد رحب بالقرار "أحمد عثمان" متصرف أربيل الذي كان واحدا من الذين قدموا أكبر الدعم لإنجاح الاستفتاء بالتعاون مع متصرف الموصل "عبدالعزيز القصاب".

كذلك وجه "عبدالله عبدالرحمن المفتي" مدير بلدية أربيل برقية شكر إلى وزير المستعمرات البريطاني "ليوبولد إيمري L. Amery" على جهوده وحمايته مصالح العراق. لكن الموقف غير الرسمي، هو أنه كان لأربيل كونها واحدة من مدن جنوب كردستان الهامة، دور مشهود في تحديد مصير المشكلة لذا كانت موضع اهتمام كل من تركيا والعراق، لكن بخصوص موقف سكانها من إلحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية الحديثة التشكيل، فقد كان لوجود قوميات وأديان مختلفة فيها أثره في غياب موقف موحد، وكان للكرد مواقف مختلفة من مسألة إلحاق ولاية الموصل بالعراق وذلك بتأثير من عوامل مختلفة مباشرة وغير مباشرة، فقد كان عدد من الزعماء القبليين والمثقفين والعائلات الكبرى يطالبون بتشطيل حكومة كردية ترعاها بريطانيا، ولهذا الغرض عقدت إجتماعات في أربيل وتم توجيه النقد إلى طريقة إجراء الاستفتاء وطالبوا بزيادة سؤال ثالث "هل تريد الاستقلال؟" إلى سؤالي الاستفتاء.

وكان هناك كرد آخرون، من بينهم مسؤولون وزعماء قبليون وبرلمانيون، رحبوا بقرار إلحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية، والسبب هو تأثير الوعود التي أطلقها كل من الملك فيصل وعبدالمحسن السعدون لدى زيارتهما أربيل في كانون الأول ١٩٢٤ وكانون الثاني ١٩٢٥، حيث طمأنا الناس إلى أن الكرد يمكن أن يستوفوا حقوقهم في إطار العراق. لكن المكونات الأخرى، كالتركمان الذين كانوا من الموظفين السابقين في الدولة العثمانية، وكانت لهم مكاسب خسروها في العهد الجديد، وأولئك

الذين كانت الدوافع الدينية والسياسية مازالت تؤثر فيهم، وأغلبهم من الجيل القديم، فلم يرحبوا بالقرار.

وكانت للأقليات الدينية "المسيحيون واليهود" في لواء أربيل مواقف متشابهة من قرار عصبة الأمم ضم ولاية الموصل إلى العراق، لكنهم كانوا يختلفون في دوافق وحدة الموقف تلك. بعد أن صارت مدينة أربيل في العام ١٩٢٣ لواء مستقلا، وعند الحل النهائي لمشكلة الموصل صارت أربيل رسميا مدينة من مدن المملكة العراقية، ولحين بدء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) تولى هؤلاء المتصرفون منصب متصرف لواء أربيل:

| اسم المتصرف | تاريخ مباشرته مهام المتصرفية | تاريخ انفكاكه من مهامه |
| --- | --- | --- |
| احمد عثمان | ١ /٣/ ١٩٢٣ | ١٩٢٧/٤/١ |
| عبدالمجيد اليعقوبي | ١٩٢٧/٢/١٢ | ١٩٣٠/٤/١٣ |
| عبدالحميد صرصر | ١٩٣٠/٥/٢٠ | ١٩٣١/١١/٣٠ |
| جلال بابان | ١٩٣٢/١/٢٠ | ١٩٣٢/١١/١٤ |
| محمود فخري | ١٤ /١١/ ١٩٣٢ | ١٩٣٥/٤/٢١ |
| أحمد توفيق | ١٩٣٥/٤/٢٥ | ١٩٣٩/٤/٢٤ |
| صالح زكي صاحيبقران | ١٩٣٩/٤/٢٧ | ١٩٤١/٥/٢٤ |

بعد انتهاء مشكلة الموصل في العام ١٩٢٥ واتضاح مواقف كل من الحكومة العراقية والبريطانية من عدم تحقيق الحقوق القومية الكردية في جنوب كردستان، بدأت حركة سياسية كردية استمرت ضمن إطار رفع

المذكرات والتعبير عن الامتعاض، كما لم يقصر الكرد في مجال تنظيم العمل السياسي العلني والسري، وكان تشكيل الجمعيات والأحزاب والأندية والتنظيمات السياسية والثقافية الكردية في الفترة ١٩٢٦-١٩٣٩ انعطافا هاما في التاريخ السياسي والثقافي الكردي في جنوب كردستان، وكانت المدن هي المراطز الرئيسة لتنظيم هذه النشاطات، وأربيل واحدة من هذه المدن التي صارت في تلك الفترة التاريخية مركزا للنشاطات السياسية والثقافية لهذه الجمعيات والأحزاب والمنظمات، سواء التي تأسست في أربيل أو التي كانت لها فروع فيها، وتزامن ذلك مع نضج الوعي القومي في المدينة. أما عن مراحل التاريخ السياسي العراقي في العهد الملكي والذي ينقسم إلى مرحلتين، الأولى: فترة الانتداب التي بدأت بعد مرحلة الإحتلال (١٩١٨-١٩٢٠) لتستمر حتى العام ١٩٣٢، والثانية مرحلة الإستقلال (١٩٣٢-١٩٥٨). ولكل واحدة من المرحلتين خصائصها. ويمكن أن نجمل الجمعيات والأحزاب السياسية (الكردية والعربية) والأندية التي نشط فيها الأربيليون داخل وخارج مدينتهم في الآتي:

أولا: الجمعيات الكردية: وهي جمعية الشباب الكرد، والجمعية الزردشتية، والجمعية العلمية الكردية، وجمعية مؤازرة الكرد، وجمعية خويبون، وجمعية إعانة الكرد، وجمعية الهداية الإسلامية، وجمعية العثور على وتفعيل الكلام الكردي، وجمعية آزادي كُرد، وجمعية رزكاري كُرد.

ثانيا: الأحزاب الكردية: بعد التطورات الفكرية والسياسية في الفترة (١٩٣٣-١٩٣٩) التي شهدتها دول أوروبا. ظهرت بوادر بداية جديدة للصراع بين القوى العظمى. وخاصة بعد بروز "النازية" ووصولها إلى السلطة في ألمانيا ووصول "الفاشيين" إلى السلطة في إيطاليا. وبهذا

انقسمت دول أوروبا آيديولوجيا إلى ثلاثة أفكار مختلفة. "الديمقراطية الليبرالية" في بريطانيا وفرنسا، و"الفاشية والنازية" في إيطاليا وألمانيا، و"الماركسية الشيوعية" في الاتحاد السوفييتي.

وظهرت في مدينة أربيل بين الحربين العالميتين، ثلاثة اتجاهات سياسية وآيديولوجية، الأول: مؤيدو بريطانيا الذين بدأت علاقاتهم بالبريطانيين بعد احتلال المدينة وصارت المكاسب والمناصب وسيلة لحماية هذا الولاء. الثاني: الذين يعدون أنفسهم موالين لألمانيا ويفخر بإطلاق اسم النازيين عليهم، رغم عدم وجود رابط يربطهم بالنازية كالذي بين البريطانيين ومؤيديهم. الثالث: الموالون للقومية التركية، وهم منقسمون على قسمين، الذين مازالوا متأثرين بالدولة العثمانية والذين يتبعون تركيا الكمالية وكانت أفكارهم تميل إلى النازية.

من جانب آخر، تعرف مثقفو أربيل إلى تاريخ ألمانيا من خلال المقالات التي تنشرها مجلة "روناكي". فمثلا نشر "خاوند امجا" مقالا بعنوان تاريخ الصحوة الألمانية، أشار فيه إلى الوحدة الألمانية مقارنا إياها بأوضاع كردستان. كما كانت تنشر مقالات خاصة عن تاريخ زعماء أوروبا ومنهم "موسوليني" في حلقتين كتبهما "حسين حزبي" تحدث فيهما بطريقة ملفتة عن حياته ونضاله السياسي.

بهذه الصورة، وفي ظل هذا الوضع السياسي والفكري لمدينة أربيل، ظهرت جمعية سياسية باسم "جمعية داركَر = الحطاب" أسسها عدد من طلبة مدينة أربيل. وتألفت الهيئة التأسيسية للجمعية من: يونس رؤوف "دلدار" (١٩١٧–١٩٤٨)، مصطفى عزيري، عوني يونس (١٩٠٨–١٩٨٨)، جليل هوشيار، جميل رشيد ميران، عبدالفتاح جباري، رستم جباري، موسى أحمد، عزيز شالي، نورالدين بهاءالدين.

وعقد المؤتمر الأول لجمعية "داركَر" في حزيران ١٩٣٨ في حديقة "أم الربيعين" بمدينة كركوك، بحضور ٦٠ عضوا. وناقش الأعضاء في المؤتمر نقطتين رئيستين، الأولى: يبدو من مقررات المؤتمر أن أعضاء الجمعية كانوا منحصرين على الطلبة الكرد فلم تكن حتى ذلك الحين تضم غير الطلبة في صفوفها، وتقرر في المؤتمر توسيع القاعدة الجماهيرية للجمعية لأنه لا يمكن للطلبة وحدهم تولي القيادة السياسية والإدارية لهذه الجمعية. لذا اقترحوا انتخاب رئيس للجمعية. الثانية: فكرة تحويل الجمعية إلى حزب سياسي.

وبعد قرارات مؤتمر كركوك، تم اختيار كل من "أمين زكي بك، توفيق وهبي، مارون جاو، جمال بابان، رفيق حلمي" للرئاسة، وتم في الأخير انتخاب رفيق حلمي رئيسا. وسمي الحزب من قبل رئيسه "حزب هيوا = الأمل". في نيسان ١٩٣٩ عقد اجتماع موسع لهذا الغرض وتم اختيار الهيئة المركزية، فضمت "رفيق حلمي _ رئيسا، نوري شاويس _ نائبا للرئيس، يونس رؤوف (دلدار) سكرتيرا وأمين صندوق، أحمد خانقا وبرهان جاف ومصطفى عزيري ورشيد باجلان ورستم جباري وفتاح جباري – أعضاء".

من أبرز الأعضاء الأولين لحزب هيوا في أربيل "مجيد أمين، عزالدين فيضي، رمزي نافع، عمر عثمان، حيدر عثمان، رؤوف ابراهيم، ابراهيم يوسف، جليل وشيار، رشيد عبدالقادر، عزيز أشغال، يونس أشغال، زيد احمد عثمان، موسى عبدالصمد، فتاح جبارى، مصطفى عزيري، يونس مصطفى، شيت مصطفى، حسين حزني، ناظم أسعدى، وآخرين".

كانت تحركات ونشاطات فرع أربيل تجري ضمن إطار التنظيمات الموزعة على مجاميع صغيرة تعرف بالخلايا الحزبية، وكان لكل خلية

مسؤول وكانت تجتمع أسبوعيا، ولغرض الحفاظ على السرية كان لكل عضو اسم حركي كردي يعرف به في صفوف الحزب. وتجدر الإشارة إلى أن الأسماء الحركية كانت تخلو من أسماء العائلات والعشائر والمدن والمناطق والحرف، بل كانت الأسماء تعابير عن الولاء والإخلاص للكرد وكردستان. فمثلا كان اسم عزيز محمد الحركي هو "كورد" واسم مصطفى عزيري كان "دلاور".

كان فرع أربيل من الفروع الأكثر نشاطا وكان يقوم بكل النشاطات السياسية في مدينة أربيل. وكان "مجيد أمين أفندي" المعروف باسم "مجيد كوفيت" المسؤول الأول عن فرع أربيل، ومصطفى عزيري معتمد الفرع، وموسى عبدالصمد أمين الصندوق، ورستم جباري سكرتيرا، أما أعضاء الفرع فهم " فتاح جبار، ناظم الاسعدي، عمر عثمان، ابراهيم يوسف، حسين حزني موكرياني، ابراهيم دزَيي، رمزي نافع". وفي نفس السنة اجتمع أعضاء فرع أربيل في حديقة "جميل ميران" في شقلاوة واختير "عزالدين فيضي" مسؤولا للفرع. استمر هذا الحزب في النشاط حتى العام ,١٩٤٥

ثالثا: الأندية: في هذه الفترة التاريخية لم يكن في أربيل غير ناد وحيد هو نادي موظفي أربيل وتأسس سنة ١٩٢٨، وفي انتخابات سنة ١٩٣٦ تم انتخاب الهيئة الإدارية للنادي لتتألف من "بهجت أفندي، جميل بك، يوسف بك، احمد ناجى أفندي، رشيد أفندي، عبدالرحمن أفندي، احمد نوري بك طه أفندي، محسن آغا".

كانت لمدينة أربيل صلة مباشرة بكل التحركات والنشاطات السياسية والمسلحة في جنوب كردستان في الفترة ١٩٢٦-,١٩٣٩ لكن أربيل تعاملت مع التغييرات السياسية في العراق خلال هذه الحقبة التاريخية

من خلال أهمية وعلاقة الأحداث الأحداث بكردستان. فمثلا أسفرت أحداث ٦ أيلول عن سخط شديد في أربيل ونظم أبناء المدينة مظاهرات احتجاجية ضدها. الأمر الذي دفع وزير الداخلية "جميل المدفعي" إلى توجيه رسالة سرية في ٨ أيلول إلى "عبدالحميد صرصر" متصرف أربيل يطلب منه الحفاظ على استقرار المدينة وعدم السماح بتكرار ما حصل في السليمانية.

بعد ٦ أيلول صارت أربيل ساحة للنشاط السياسي للأشخاص المبعدين من السليمانية. وكان "رفيق حلمي" من أبرز الشخصيات، والذي اعتقل بعد مشاركته في انتفاضة "بوابة السراي" المضادة لانتخابات ١٩٣٠، وبعد شهر من السجن أطلق سراحه وتم إبعاده إلى أربيل. فلعب دورا كبيرا في نشر وتعزيز الروح الوطنية والقومية (الكردية) بين شباب وطلبة المدينة.

في أواخر أيلول، زار الشيخ محمود منطقة بشدر طلبا لدعم القبائل الكردية، فكان له ما أراد، وللغرض نفسه أوفد مبعوثا خاصا إلى مناطق أربيل وكركوك للقاء زعماء قبائل هذه المناطق والحصول على عهودهم، ومع بدء هذا التحرك وقف زعماء قبائل أربيل وأطرافها موقف المؤيد لمطالب الشيخ محمود، وخاصة عندما وجه رسالة إلى "روبرت بروك بويهام" المندوب السامي الموقت يطالبه فيها بتنفيذ مطالب الكرد وإطلاق السجناء، فساند رؤساء قبائل أربيل مطالب الشيخ محمود، وتم في ١٠ تشرين الأول ١٩٣٠ توجيه كتاب يحمل تواقيع رؤساء عشائر أربيل والسليمانية إلى المندوب السامي وإلى عصبة الأمم.

أصرت أربيل على دعم حركة الشيخ محمود. وبعد تحرير بعض المناطق من قبل قوات الشيخ محمود، مثل المناطق المحيطة ببنجوين في

٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٠ وخورمال وشاندر في ٩ كانون الثاني ١٩٣١، وتشكيل هيئة إدارية لتلك المناطق، وحث سكان الألوية على الوقوف ضد أوامر الحكومة. تم توجيه كتاب إلى لواء أربيل يقضي بعدم دفع أي كردي الضرائب للحكومة ومن يفعل ذلك يعتبر خائنا كبيرا.

ويمكن القول أن محاولة منع الضرائب في أربيل عن الحكومة، جاء بسبب القيمة السياسية لهذه المدينة في مواجهة الحكومة، كما أن ذلك سيمثل دعما كبيرا لأهداف هذه الحركة. ومن جانب آخر، كان تأكيدا على ثقة قيادة الحركة بإخلاص أربيل في دعمها.

لم يقتصر موقف أربيل من حركة الشيخ محمود على الدعم السياسي والمعنوي. ففي آذار ١٩٣١ عقد اجتماع سري بأربيل بين "ملا أفندي وميران قادر بك وخورشيد آغا درَيي" لدعم لواء أربيل تلك الحركة بقوة مسلحة. واقترح في الاجتماع أن يلتحق عدد من مسلحي قبيلة درَيي بقوات الشيخ محمود.

وهكذا، إلتحق في نيسان ١٩٣١ عدد من مسلحي درَيي بقيادة "علي محمود كاكة خان" بقوات الشيخ محمود في منطقة بشدر. ودفع انتشار هذا الخبر السلطات في أربيل إلى التعامل بحساسية مفرطة مع الوضع. وخاصة عند تلقي خبر وصول قوات الشيخ محمود إلى أربيل فتشمل الفوضى مناطق سهل أربيل وخاصة ناحية "ديبكة" حيث غادر عدد من العمال الذين كانوا يحفرون بئرا في المنطقة عملهم، وانطلقت في الوقت نفسه مظاهرات في ديبكة مؤيدة لحركة الشيخ محمود ولحقوق الكرد.

وبخصوص موقف مدينة أربيل من حركة الشيخ أحمد البارزاني، يمكن أن نقسمه إلى قسمين. الأول: الموقف الرسمي الحكومي الذي كان معاديا للحركة عموما، ولم يلتزم متصرفو أربيل موقفا موحدا منها، حيث

كانت مواقفهم تتغير وفقا لشخصياتهم وانتماءاتهم القومية، فمثلا في أواسط العام ١٩٢٥ عندما كانت الحكومة منشغلة بتوطيد سلطتها في جنوب كردستان. وكانت مساعي الكرد مستمرة للحصول على حقوقهم قبل حسم قضية الموصل، كانت لمتصرف أربيل "أحمد عثمان" علاقات صداقة مع الشيخ أحمد البارزاني. وقد أجرى كل من "الشيخ أحمد البارزاني وأحمد عثمان وسيد طه النهري قائمقام راوندز" اتصالات فيما بينهم بهدف توحيد مطالب الكرد ومن أجل إقامة دولة مستقلة. ومن هذا يتبيَن أن أحمد عثمان كان من جهة متصرفا ومحل ثقة البريطانيين بينما كان من جهة أخرى يظهر موقفا قوميا وطنيا إلى جانب الشيخ أحمد البارزاني.

القسم الثاني: هو موقف جماهير المدينة وأطرافها وهو يناقض موقف الحكومة. لأن أبناء أربيل بالرغم من عدم مشاركتهم المسلحة في هذه الحركة، والذي يمكن أن نعزوه إلى حصر تلك الحركة في منطقة بارزان، وعدم قرب التحركات من المدن وخاصة من أربيل. لكن التأييد للحركة وظهور نفوذ البارزانيين في أربيل وأطرافها كان محسوسا. وقد زاد هذا من شعور مسؤولي المدينة بخطر اتساع قاعدة هذه الحركة، فقام عبدالحميد صرصر في ١٨ أيار ١٩٣١ بتوجيه رسالة تتعلق بانتشار مؤيدي الشيخ أحمد إلى المفتش الإداري للواءي أربيل وكركوك يشير فيها إلى إلتحاق مناطق تابعة للواء أربيل بحركة الشيخ أحمد البارزاني.

ويمكن القول بأن تأثير هذه الحركة على مشاعر سكان أربيل كان بسبب عاملين رئيسين، الأول: موقف الشيخ أحمد البارزني المناهض للبريطانيي في العام ١٩٢٠ ووقوفه إلى جانب الزيباريين في مناطق العمادية وعقرة، ما أسفر عن نمو نشاطه بين السكان المعادين

للبريطانيين. وكان لأربيل في مبدأ احتلال جنوب كردستان موقف متشدد معاد للبريطانيين. تحول فيما بعد إلى وثبة في العام ١٩٢٠ هددت وجود السلطة البريطانية في المدينة. هذه الخلفية التاريخية لأربيل في الوقوف في وجه البريطانيين كانت سببا لبناء الثقة بهذه المدينة في مجال التصدي للبريطانيين. وتبين ذلك بجلاء خلال زيارة ضابط كردي في الجيش العراقي هو النقيب "إسماعيل حقي شاويس" إلى مدينة أربيل. فبعد إجتماعه مع أحمد عثمان، طرح أفكاره عن البريطانيين، وبناء على عدم الالتزام بالتعهدات والدور السيء الذي لعبه البريطانيون مع أحداث "الشيخ محمود والشيخ أحمد" نصحهم بعدم الوثوق بالبريطانيين وقطع العلاقات معهم والعمل على تحسين العلاقات مع العرب. ومع أن الحكومة العراقية كانت تعادي الكرد علنا، لكن سياسة البريطانيين في جنوب كردستان كانت تظهر بمظهرين، ويمكن أن نعتبر انتهاج مثل تلك السياسة عاملا رئيسا ساهم في القضاء على الحركات السياسية والمسلحة الكردية في تلك المرحلة.

العامل الثاني الذي كان وراء دعم أبناء أربيل حركة الشيخ أحمد البارزاني كان عبارة عن الأهداف القومية والوطنية للحركة. إذ أن الفكر القومي الثوري كان قد انتعش في أربيل مع مطلع الثلاثينات وظل يشهد نموا مستمرا طوال ذلك العقد. كما أن القضاء على الحركات السياسية الكردية في تلك المرحلة كان سيخلف آثارا سيئة على توجهات الحكومة بخصوص مطالب الكرد. إضافة إلى إخضاع العشائر الكردية لمطالب الحكومة.

عندما هاجم الجيش العراقي والقوة الجوية البريطانية بارزان والمناطق المحيطة بها، لعبت عوامل عديدة دورها في إثارة سخط أبناء أربيل على

الحكومة العراقية وعلى البريطانيين، وفي مقدمتها نشر أخبار المعارك في جريدة "العراق" حيث كانت صفحات هذه الجريدة تعج كل يوم بأنباء الانتصارات. ولم تكن هناك جريدة في أربيل في تلك الأيام فتنشر الحقائق ردا على تلك الأخبار. والعامل الثاني تمثل في تنظيمان "جمعية الدعم" في أربيل التي لعبت دورا بارزا في تعبئة أبناء المدينة لتأييد الشيخ أحمد البارزاني والتعاطف معه. ما دفع القوات الأمنية في أربيل إلى مراقبة كل التجمعات المشبوهة بل وحتى التجمعات العادية للناس وخاصة في المقاهي التي لعبت دورا فاعلا في الحركة التحررية الكردية، لمعرفة تحركات الجماهير. ومع أن موقف أبناء أربيل هذا لم يكن شاملا، فقد كان هناك قسم من السكان يؤيد موقف الحكومة وخاصة من بين المعادين للحركة القومية الكردية. ويذكر أن مؤيدي الحركة التحررية الكردية كانوا في ظل تلك الظروف الحساسة تلك يعملون سرا على جمع المساعدات لدعم الحركة، وكان ثقاة ينقلون تلك المساعدات إلى منطقة بارزان.

ظهرت حركة الآشوريين في العام ١٩٣٣، فبعد حل مشكلة الموصل زادت مخاوف الآشوريين وخاصة بعدما بدأ البريطانيون بتقليص قوات الليفي وإحلال الجيش العراقي محل هذه القوات. وكانت المملكة العراقية تقترب من الاستقلال بموجب معاهدة العام ١٩٣٠ ولم يرد أي ذكر لحقوق الآشوريين في المعاهدة. فزاد الآشوريون نشاطاتهم في سبيل الحصول على إمتيازات وفي مقدمتها السعي لإقامة كيان سياسي لهم. ومن أبرز الذين لعبوا دورا هاما في هذه المساعي، الضابط المتقاعد الكابتن أ. هرمز رسام A. Hormuz Rassam الذي وصل إلى العراق في كانون الثاني ١٩٣٠ والضابط البحري البريطاني ماثيو كاب Mathew

Cup الذي وصل إلى الموصل في آذار ١٩٣٠ واتصل بزعيم الطائفة الآشورية وبالكرد. وكان من أبرز الأهداف، الانفصال عن العراق. ولهذا الغرض شكلوا في ١١ تموز ١٩٣٠ لجنة في لندن باسم لجنة "لإنقاذ الأقلية غير المسلمة في العراق" وصار الكابتن رسام رئيسا للجنة.

وبسبب العلاقات التاريخية بين الكرد والأقليات الدينية في جنوب كردستان، لم يكن أبناء أربيل في أي عصر طرفا في الصراع بين السلطة والأقليات الدينية. بل على العكس كانت أربيل من المدن المعروفة بالتعايش بين الأديان. وفي فترة الحرب العالمية الأولى، عندما بدأت هزائم الدولة العثمانية في جبهات جنوب العراق، تم تحريض بعض سكان أربيل وأطرافها على القضاء على مسيحيي قرية عينكاوا كونهم عملاء ومؤيدين للبريطانيين، لكن وجهاء أربيل حالوا دون وقوع مثل تلك الحوادث.

بعد احتلال أربيل وإنشاء أول مركز لليفي في المدينة في نيسان ١٩٢٠ بقيادة الملازم بارلو G. F. Barlow، ساءت العلاات بين الآشوريين وأبناء أربيل بسبب سياسات بريطانيا وخاصة بسبب استخدام هذه القوات في قمع الحركة السياسية الكردية والمعارضين لبريطانيا في أربيل. ومن جانب آخر، كانت هناك محاولات إسكان ٥٠٠ عائلة آشورية في أربيل، ولهذا الغرض جاء جون بانفل John B. Panfil في ٦ كانون الثاني ١٩٢٩ من الموصل إلى أربيل للقاء الضابط السياسي البريطاني في المدينة، وزاروا قرية عينكاوا، لكن فقر صندوق إسكان الآشوريين حال دون التمكن من إسكان هذا العدد منهم في أربيل. هذه التحركات التي كان يأتيها الآشوريون بدعم من البريطانيين في عموم كردستان، وفي أربيل بصورة خاصة، خلفت آثارا سيئة على العلاقة بين أربيل

والآشوريين. وكانت السياسة البريطانية عاملا رئيسا لرفض المشاريع التي تقدم بها الآشوريون في سبيل الاستقلال المشترك الكردي الآشوري. ويتبيَن هذا بجلاء خلال زيارة ممثل عن مار شمعون إلى أربيل في ١٩٣٠ بهدف العمل على تشكيل جبهة مشتركة كردية آشورية معادية لحكومة العراق، ومن أجل إقامة كيان خاص بالآشوريين في العراق، بعد مناقشة الآراء والملاحظات مع "معروف جياووك".

بعد أن قررت الحكومة العراقية مهاجمة الآشوريين، طلبت الدعم من أغلب آغوات مناطق جنوب كردستان والموصل ومشاركتهم في هذه الحملة. وشارك بعض القبائل الكردية في الحملة بتحريض من بكر صدقي. لكن زعماء قبائل لواء أربيل لم يشاركوا في تلك المعارك بالرغم من العلاقات القوية التي كانت تربط بعضهم مع بكر صدقي. وكذلك كانت علاقات الحكومة قوية مع بعض من آغوات أربيل وأطرافها وشخصيات ووجهاء أربيل، اتخذوا نفس الموقف، بل إنهم أثنوا بعض سكان أربيل وضواحيها الذين دفعتهم العاطفة الدينية للتعبير عن الاستعداد للمشاركة، أثنوهم عن عزمهم. ويمكن القول إن العامل الجغرافي كان له أثره أيضا في ابتعاد أربيل عن هذه الحرب، حيث كانت الحملات تشن في المناطق المحيطة بأربيل وخاصة منطقة "سميل" حيث يعيش الآشوريون.

لا شك أن مشاركة بعض القبائل الكردية في الهجوم على الآشوريين، كان مخالفا للموقف الكردي العام في جنوب كردستان، لأن الكرد عموما إلتزموا موقفا متحفظا رغم أن العامل الديني كان يدغدغ مشاعر سكان المدن الكردية، إذ كان الآشوريون مسيحيين، واعتبر الكثيرون هذه المعركة معركة بين المسلمين والكفار. بعد انتهاء الحملات العسكرية وقمع

حركة الآشوريين، خرجت في بغداد والموصل وكركوك مظاهرات جماهيرية تعبر عن الفرح، لكن لم تظهر في أربيل إشارة واحدة تدل على الفرح لقمع الآشوريين.

يتبيّن من تقرير "أج. بي. هربرت" حول وقوع انقلاب بكر صدقي أن السلطة الإدارية في مدينة أربيل وعلى رأسها المتصرف "أحمد توفيق" كان من الشخصيات المتورطة في هذا الحدث وأيد وقوعه، بل إن التقرير يقول:

"... كانت هناك أدلة على وجود خطة محنكة لتنفيذ انقلاب يتعاون معها القوميون الكرد. والذين وضعوا خطة الإنقلاب ونفذوها هم "بكر صدقي" ومتصرف أربيل "أحمد توفيق" ومتصرف الموصل "عمر نظمي"."

كانت أربيل من المدن التي أيدت الانقلاب، إلى جانب سائر المدن. لذا فإنه بعد وقوع الانقلاب واتضاح موقف البريطانيين المعادي له، لم تشهد أربي أي رد فعل غير طبيعي مناوئ للانقلاب يمكن أن يؤدي إلى اتخاذ موقف ساخط.

لم تشارك أربيل عسكريا، لأنها كانت حتى ذلك الوقت من حيث مساحة المدينة وعدد السكان مدينة صغيرة مقارنة بمدن العراق الكبيرة، كبغداد والموصل، لذا يمكن اعتبار هذا سببا رئيسا لعدم وجود معسكرات كبيرة ومراكز تدريب واسعة فيها. ولم يكن في أربيل سوى حامية عسكرية قائدها هو المقدم "نوري محمد". ويقول الضابط المتقاعد "فؤاد عارف" الذي كان حينها ضابطا برتبة ملازم في حامية أربيل، عن الدور العسكري لأربيل في إنقلاب ٢٩ تشرين الأول: "لم يكن لمدينة أربيل أي دور عسكري في إنقلاب بكر صدقي. بل إن ما حدث هو توجه آمر حامية أربيل المقدم نوري محمد، تلبية لطلب من الفريق بكر صدقي، إلى قرغان

(جلولاء) حين كانت الفرقة الثانية للجيش العراقي التي كان يقودها بكر صدقي تخوض دورة تدريبية في قرغان، وهناك تم وضع خطة الإنقلاب".

وعن موقف جماهير أربيل في الأيام الأولى من الانقلاب. شهدت أربيل كسائر المدن مظاهرات جماهيري مؤيدة للحكومة الجديدة ومعبرة عن الفرحة لهذا الانقلاب. ويذكر أنه إلى جانب الكرد والتركمان شاركت الأقليات الدينية في هذه المظاهرات بشعارات وطنية. وكان أحد متظاهري أربيل "ولي جايجي" ينشد قصائد خوريات التركية المعروفة يمدح بها زعيم الإنقلاب بكر صدقي.

موقف مكونات أربيل هذا، الداعم للانقلاب، جاء من تأثير شخصية "بكر صدقي" الكردي على مشاعر أبناء هذه المدينة، وخاصة بعد انتصاره على حرطة الآشوريين، فنال شهرة في معظم مدن جنوب كردستان. ومن جهة أخرى أعتبر هذا الإنقلاب معاديا لسلطة البريطانيين على العراق، وكان لهذا أيضا أثر ما على دعم الانقلاب من جانب المناهضين لسلطة البريطانيين. كما أن بعض التركمان الذين كانوا في السابق متأثرين بالدولة العثمانية وأولئك الموالين للنهج الكمالي أظهروا نفس الموقف. ويبدو أن رئيس الوزراء الجديد "حكمت سليمان" التركي النجار كان له تأثيره على مشاعر هذا المكون من مكونات المدينة. كما أن سياسة الثلاثينات، وخاصة في فترة حكم "ياسين الهاشمي"، حيث كانت الحكومة الملكية تطارد الشباب القوميين من أبناء أربيل، وقد تبيّن ذلك بجلاء عند إحياء الذكرى السنوية لعيد نوروز في أربيل، حيث كانت يتم توخي السرية في إحياء هذه المناسبة القومية. كان "سليم سيدوك" شخصية بارزة يخصص داره في حي التكية كل عام لاستضافة مراسيم إحياء هذا العيد سرا. بعد القضاء على حركة الشيخ محمود

البرزنجي وحركة الشيخ أحمد البارزاني، حيث وقفت مدينة أربيل إلى جانب كلتا الثورتين كما أسلفنا. الأوضاع السياسية في جنوب كردستان بين العامين ١٩٣٢-١٩٣٦ أدت إلى ظهور نوع من فراغ سياسي وثوري في جنوب كردستان، حتى أن كبار مسؤولي الحكومة ومنهم الملك فيصل والملك غازي بن فيصل ورؤساء الوزراء يتحدثون مطمئنين خلال زياراتهم إلى مدن كردستان، عن قمع كل تلك الحركات المعادية لمصالح ووحدة العراق، ولم تكن أربيل بمنأى عن اليأس الذي عم كردستان. هذه السياسة أيضا كانت من بين أسباب دعم أهالي أربيل لهذا الإنقلاب.

لم يكن ما جاءت به حكومة "حكمت سليمان" (٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦- ١٧ آب ١٩٣٧) موازيا للموقف الكردي في جنوب كردستان من هذا الانقلاب. ومع أن عمر الحكومة كان قصيرا، إلا أنه كان ممكنا تنفيذ بعض الوعود خاصة تلك التي وردت في البيان الأول للحكومة الموجه إلى جميع الشعب العراقي، حيث نشرت جريدة "بَيان" هذا البرنامج الحكومي لأهميته وأشادت به، ومن النقاط الواردة فيه إطلاق سراح السجناء وكان الزعيمان الكرديان الشيخ محمود البرزنجي والشيخ أحمد البارزاني خاضعين للرقابة الحكومية آنذاك.

كما أن أهم الاتفاقيات التي تم توقيعها في أيام حكومة حكمت سليمان لم يكن في صالح الكرد، وهو اتفاق سعدآباد الذي تم التوقيع عليه في ٨ تموز ١٩٣٧ بين العراق وإيران وتركيا وأفغانستان، واعتبرت مدينة أربيل هذا الاتفاق معاديا للحركة التحررية القومية الكردية لأن البندين الثاني والسابع منه عبرا عن هذا الهدف بصراحة، وفي إطار رفض هذا الاتفاق وفضح عدائه للحركة القومية الكردية، نشرت "جمعية آزادي كُرد" في أربيل بيانا رفضت من خلاله هذا الاتفاق معتبرة إياه مؤامرة ضد الكرد،

كما نظمت تجمعات في مدن كردية أخرى احتجاجا على هذا الاتفاق.

وفقا لتقرير ضابط القوة الجوية البريطانية حول موقف الكرد والأقليات القومية من انقلاب ٢٩ تشرين الأول، الذي رفعه بعد زيارته إلى لواء الموصل في ٧-٩ تشرين الثاني ١٩٣٦، يتبيّن أن غالبية السكان من مختلف الطبقات كانت مرتاحة للحكومة الجديدة لأنها لم تكن حكومة عربية، ورفعت شعار "العراق أولا" وتسعى للتمهيد لإحقاق العدالة والمساواة بين كافة مكونات العراق الأمر الذي دفع القوميين العرب إلى معاداتها، ويضيف في معرض تقريره ليقول: "كذلك تتبنى الأقليات الدينية نفس الموقف، والكرد بسبب انبهارهم ببكر صدقي متعاطفون مع هذه الحكومة بصورة عامة، معتقدين أن هذه الأوضاع ستحولهم من أقلية إلى شريك حقيقي في الحكومة العراقية، لأن البرامج الرئيسة لهذه الحكومة يضم حقوق الأقليات".

بعد ذلك، وصل بكر صدقي مساء ١٠ آب ١٩٣٧ بالقطار إلى كركوك، في طريقه للمشاركة في مناورات عسكرية بتركيا، وقد استقبل هناك من قبل كبار ضباط الجيش و"خضر أحمد باشا" عضو مجلس النواب، لكنه قتل بعد وصوله إلى الموصل وأثناء توديعه في ١١ آب ١٩٣٧ في القاعدة الجوية العسكرية وفقا لخطة مدبرة، حيث قتل كل من بكر صدقي ومحمد علي جواد من قبل العريف "محمد عبدالله تلعفري".

وعن موقف مدينة أربيل من قتل بكر صدقي، لم تشهد المدينة مظاهرات واحتجاجات علنية على ذلك الحدث، بخلاف مدينة السليمانية حيث تشكلت فيما بعد هيئة باسم لجنة "تولة = الثأر". لكن أبناء أربيل عبّروا سرا عن تعاطفهم مع بكر صدقي ومن جهة أخرى، لم تبدر عن الذين لم تكن لهم مصالح خاصة أو دوافع دينية مرتبطة بسلطة بكر

صدقي، أية مواقف معترضة على قتله. لذا يمكن القول أنه كان في أربيل موقفان متضادان من قضية قتل بكر صدقي. يذكر أن مثقفي الكرد خضعوا لضغوط هذه المؤامرة وعبروا بمختلف الطرق عن الاستنكار، ففي الذكرى الرابعة لقتل بكر صدقي في ١١ آب ١٩٤١، نظم الشاعر "دلزار" قصيدة بعنوان "مناحة لبكر صدقي"، يصف فيها يوم مقتله بتراجع حديقة حياة الكرد وفقدان أب فقراء هذا الشعب، بل إنه يصف بكر صدقي بنابليون الكرد، فيقول:

دیسـان دووکـەڵ و بـوخـاری ئەسـتـەم
کـوردسـتـانی گـرت چەشنێ تۆز و تەم

باغـی ژینـی کـورد دیسـان سـاوا بوو
ئەسـتـێـرەی بەخـتی لە کـەل ئـاوا بوو

بـە گـوللـەی دەسـتـی دوژمـن چـوو
لـە نـاوی ژیـنـدا نـاوبـانـگـی وون بـوو

ئەسـەف بۆ گـەورەی شـەهیـدانی کـورد
حـەیف بۆ باوکـی هـەژارانـی کـورد

درێـغ بۆ شـێـرێ نێـری مـەیدانم
بۆ بەکـر سـدقی رەئیس ئەرکـانم

بۆ جـەنگاوەری بەهێـز و گـوردم
بۆ نـاپولیـۆنی مـیللـەتی کـوردم

بڵێ ئەی (دلزار) هـەژاری غـەمـبـار
بـە ڕۆڵەی وردی کـوردی سـیـاچار

گەر پرسیار ئەکەن لە مێژووی مەرگی
لە ڕۆژی ڕەشی بچـــڕانی جـــەرگی

لە چەرخی بیستەم ساڵی سی و حەوت
یازدەی ئاغستۆس لەژێر خاکا خەوت

بهذا ومع بدء الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٣٩ بدأت حقبة جديدة في تاريخ هذه المدينة.

# أربيل بين ١٩٥٨-١٩٧٥

## نظرة سريعة في الأوضاع السياسية والثقافية

**مدينة أربيل وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق:**

تختلف الآراء حول تعريف ثورة ١٤ تموز العراقية، فهناك من يعدها ثورة سياسية اجتماعية اقتصادية، ومنهم من يعتبرها سياسية فقط، وهناك من يزيد في التقليل من شأنها معتبرا إياها مجرد انقلاب عسكري، هذا الرأي الأخير يعتبر مكاسب هذا الحدث صغيرة ومحدودة جدا بحيث لا يمكن أن تسمى بالثورة. ومهما كان الرأي الذي قد نأخذ به، فإنه لن يقلل من شأن كونها حدثا هاما في تاريخ العراق وضع النهاية للحكم الملكي الذي تسلط على العراق ٣٧ سنة، وإلى جانب إنهاء ذلك النظام أنهى التدخل والاحتلال البريطاني غير المباشر للعراق، حيث كان أغلب القرارات المصيرية، قبلها، يتخذ بحيث يلائم مصالح البريطانيين.

ومع أن الضباط العراقيين الأحرار، كانوا السبب المباشر لاندلاع الثورة ونجاحها، فإن أغلب أبناء العراق رحب بالحدث واعتبره تحولا كبيرا وتاريخيا اتفق الجميع على حماية مبادئه، ولهذا عُدت الحركة ثورة، وأسباب ذلك تتثمل في:

١- تدهور الوضع السياسي العراقي وسخط الشعب على السلطة الملكية الفردية وتعاطفها المبالغ فيه مع الإنجليز.

٢- أحداث العالم والمنطقة المحيطة بالعراق كانت تحرك مشاعر العراقيين وتجعلهم يعادون الوضع السياسي الحاكم للعراق، وتمثلت تلك الأحداث في الحرب العالمية الثانية وانتفاضة شعب إيران ضد الحكم الملكي وثورة مصر في العام ١٩٥٢ على النظام الملكي والعدوان الثلاث على مصر في العام ,١٩٥٦

٣- تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي في العراق، وسيطرة النظام الإقطاعي وتفاقم الفروق الطبقية وانتشار الظلم الاجتماعي.

٤- التفرقة بين قوميات العراق وعدم الوفاء بالتعهدات، مثل سياسة القمع والمعاداة القومية للشعب الكردي الذي كان يشكل القومية الكبرى الثانية في العراق، وهي السياسة التي أدت إلى انتفاضات قومية عدة مثل "انتفاضات الشيخ محمود الحفيد، والشيخ أحمد البارزاني، ومصطفى البارزاني"، إلى جانب ظهور تنظيمات سياسية كردية سرية وتعاطف الكرد مع كل انتفاضات الشعب العراقي في بغداد وسائر العراق.

هذه الأسباب وغيرها، أدت إلى الثورة التي بدأت صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ بسلسلة نشاطات عسكرية في مدينة بغداد ثم لقيت تأييد كل مدن وقصبات العراق، وكان من أهم نتائج الثورة:

١- القضاء على النظام الملكي وإعلان قيام جمهورية العراق. وصار "عبدالكريم قاسم" وهو من الضباط الأحرار والمدبر الرئيس للثورة أول رئيس وزراء في العهد الجمهوري بالعراق.

٢- إعلان الدستور الموقت العراقي في ٢٧ تموز ,١٩٥٨ وكان دستورا شاملا ليجري العمل به حتى تستقر أوضاع العراق.

٣- إعلان التشكيلة الحكومية الأولى التي رأسها عبدالكريم قاسم

بالوكالة وصار عبدالسلام عارف نائبا له ووزيرا للداخلية بالوكالة.

ومن أهم مكاسب ثورة ١٤ تموز التي صبت في مصلحة الكرد، صدور عدد من القرارات:

١- تشكيل مجلس سيادة عراقي، يراعي التكوين القومي والمذهبي العراقي، مثل الكرد فيه شخص يدعى "خالد النقشبندي".

٢- تمت الإشارة في الفقرة الثانية من الدستور العراقي الموقت إلى الشراكة بين الكرد والعرب في الوطن العراقي، في كل الحقوق.

٣- صدر عن الثورة قرار اطلاق سراح كل السجناء السياسيين في العهد الملكي، وكان من بين هؤلاء شخصيات كردية مثل الشيخ أحمد البارزاني والشيخ لطيف الحفيد.

٤- بموجب قرار ضمان حرية الفكر والصحافة، حصلت جريدة "خَبات" في ٤ نيسان ١٩٥٩ على إجازة صدور رسمية بصفتها جريدة سياسية كردية، وصدر عددها الأول في ذلك اليوم. وفي الأول من أيار ١٩٥٩ حصلت جريدة "آزادي" لسان حال فرع كردستان للحزب الشيوعي العراقي على إجازتها وصدرت في كركوك. كما صدرت مجلات وجرائد أخرى في نفس السنة، مثل "رزكاري، كزنك، نوروز، بَيان، راستي، دةنطي كورد، بروا".

٥- عودة "مصطفى البارزاني" رئيس الحزب الدبمقراطي الكردستاني من الاتحاد السوفيتي إلى العراق، في ٦ تشرين الأول ١٩٥٨ وكانت تلك من النتائج الإيجابية للثورة، بالنسبة إلى الكرد وعززت ثقتهم بها.

٦- في إطار قانون الجمعيات رقم ١ للعام ١٩٦٠، تقرر منح إجازات عمل للأحزاب السياسية، فكان أن حصل الحزب الديمقراطي الكردستاني على الإجازة في ٢ كانون الأول , ١٩٦٠

٧- ضمت الوزارة الجمهورية الأولى وزيرين كرديين، هما "محمد صالح محمد - وزير الصحة" و"الشيخ باباعلي الشيخ محمود - وزير النقل والأشغال".

٨- خروج العراق من حلف بغداد للعام ١٩٥٥، الذي كان قمع "الحركة التحررية الكردية" واحدا من أهدافه الرئيسة.

٩- أغلب القرارات الإصلاحية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية كان يصب في مصلحة الكرد الذين عانوا كثيرا من الظلم الاقتصادي والإجتماعي.

**مدينة أربيل وثورة ١٤ تموز:**

ساندت مدينة أربيل، كسائر مدن كردستان، ثورة ١٤ تموز ومكاسبها. وفي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ ومع انتشار خبر قيام الثورة، انطلق أبناء المدينة إلى الشوارع معبرين عن فرحتهم لذلك الحدث التاريخي، وبعد ذلك بأيام تم تعيين متصرف أربيل "خالد النقشبندي" عضوا في مجلس السيادة العراقي، وتم تعيين "علاءالدين محمود" ليكون أول متصرف لأربيل في العهد الجمهوري حيث باشر مهامه في ١٦ تموز ,١٩٥٨ وفي اليوم الأول للمتصرف الجديد لقي ترحيب جميع أبناء أربيل بمختلف شرائحهم وطبقاتهم. وفي ٨ آب ١٩٥٨، وصل إلى أربيل، عبدالسلام عارف نائب رئيس وزراء العراق رفقة وفد، وألقى في ملعب الإدارة المحلية بأربيل كلمة على جماهير أربيل عبر فيها عن إخلاص الثورة وقيادتها لأبناء المدينة، ويذكر أن سكان لواء أربيل من جميع الأقضية والنواحي وكافة الطبقات حضروا ذلك التجمع، وكتبت مجلة هّتاو في العدد ١٣٨ (آب ١٩٥٨) بهذه المناسبة تقول: "كان سكان المدينة وضواحيها قد تجمعوا جماعات في الملعب المحلي وكل مجموعة ترفع

شعاراتها المرحبة والتي تهتف بحياة الجمهورية والأخوة الكردية العربية، والموت للمحتل، وقد خرج الناس بقضهم وقضيضهم في ذلك اليوم".

بعد زيارة عارف هذه بيومين، وصل الشيخ أحمد البارزاني يوم ١٠ آب ١٩٥٨ بعد إطلاق سراحه من السجن في طريق عودته إلى دياره، وصل إلى أربيل حيث استقبله أبناء المدينة بحفاوة، وكذلك وصل "مصطفى البارزاني" بعد عودته من الاتحاد السوفيتي، وصل يوم ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٨ إلى أربيل قادما من كركوك ترافقه الحشود المرحبة، وأقيم حفل بالمناسبة في دار متصرف أربيل شارك فيه عدد مشهود من شخصيات ومثقفي أربيل.

بعد ثورة ١٤ تموز، بدأ الحزبان السياسيان في كردستان، الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي، نشاطاتهما في مدن كردستان والعراق، وكان أغلب سكان أربيل وعموم كردستان، وخاصة المثقفون أعضاء في أحد الحزبين، وكان أغلب النشاطات في تلك الأيام وحتى على مستوى جميع كردستان يدار من قبل هذين الحزبين. كانت توجهات الحزبين بشأن الثورة والوضع بصورة عامة مختلفة، فقد كان الحزب الشيوعي يصف الثورة في كثير من الأحيان على أنها طبقية، لكن كلا الحزبين عبرا منذ البدء عن مساندة الثورة وقيادتها، كما كانت آراؤهما بخصوص الدفاع عن الثورة وحمايتها متشابهة، وعند اندلاع تمرد "عبدالوهاب الشواف" في ٨ آذار ١٩٥٨ في الموصل، كان الحزبان في خندق قمع تلك الحركة، وكانت التوجهات في أربيل مماثلة. ففي أغلب أقضية ونواحي أربيل كانت مجاميع فلاحي الديمقراطي والشيوعي تشارك إما مباشرة أو عن طريق توفير السلاح في قمع التمرد، وكذلك الحال مع قمع حركة الشيخ رشيد لولان في ١٢ أيار ١٩٥٩، حيث انبرى أهالي أربيل وخاصة الفلاحون ومؤيدو الحزبين الشيوعي والديمقراطي

مرة أخرى ليلعبوا الدور الرئيس في قمع الحركة. هذا التعاطف، إلى جانب كونه نابعا عن الموقف من ثورة ١٤ تموز، كان في الوقت نفسه تضامنا مع عبدالكريم قاسم نفسه، والذي كان محبوبا في عموم العراق بصفته قائدا للثورة. لذا عندما نجا في ٧ تشرين الأول ١٩٥٨ من محاولة قتل بعثية في بغداد وغادر المشفى في ٣٠ كانون الأول ١٩٥٨، أطلق على ذلك اليوم اسم "عيد السلامة" واحتفل به العراقيون وأقيمت في أربيل احتفالات ومناقب نبوية، ما يؤكد تعاطف أبناء المدينة مع قاسم وثورة ١٤ تموز.

كان من آثار ثورة ١٤ تموز، تقليص أثر الخلفية الإقطاعية التي طغت على العراق في العهد الملكي، وذلك بصدور القانون رقم ٣٠ للعام ١٩٥٨، الذي يقول: "لا يجوز أن تكون الأراضي الزراعية المملوكة لشخص واحد أكثر من ألف دونم من الأراضي السيحية وألفي دونم من الأراضي الديمية"، في كردستان لم تلحق هذه النسب ضررا يذكر بالإقطاعيين بل أبقى النظام على حاله إلى حد ما. ففي لواء أربيل مثلا، ومن بين ١٧٦٢٧ قطعة أرض، تم شمول ٢٦٠ قطعة فقط بهذا القانون. لكن أسلوب الصراع تغير تماما، حيث كان المزارع يعمل في السابق في أرض الآغا بنظام المحاصصة، لكن بعد صدور القانون تغيرت الظروف ولم يعد المزارع يعمل وفق ذلك النظام، بل صار هو مالكا للأرض والآلات الزراعية، ما شكل ضربة للآغوات والإقطاعيين. ومن الناحية الاجتماعية خفت الفروق الطبقية بين الفلاح والإقطاعي لدرجة كبيرة، لأن الأوضاع الاقتصادية السابقة ودعم النظام الملكي للآغوات كانا السبب في بروز تلك الفروق.

وبخصوص التعليم الرسمي، صدر عن الثورة مجموعة قرارات تصب في صالح قطاع التربية والتعليم العراقي عموما، وكانت تلك القرارات

تصب في صالح الإصلاح في قطاع التربية، ومنها: زيادة عدد المدارس لخفض مستوى الأمية في عموم البلد، فبني الكثير من المدارس في مدن وقصبات العراق ومنها مدن وقصبات كردستان، حيث ارتفع عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة في لواء أربيل مقارنة بالعهد الملكي، وارتفع العدد بصورة خاصة في قرى اللواء، ففي العام الدراسي ١٩٥٧–١٩٥٨ كان عدد مدارس لواء أربيل ١٣٠ مدرسة فقط، وارتفع العدد في العام الدراسي ١٩٦٠–١٩٦١ ليصل إلى ٢٢٨ مدرسة. وتم فتح مدارس جديدة في مدينة أربيل بنيت مبان خاصة لبعضها ومن بين تلك المدارس "متوسطة الجمهورية" التي شيدت بعد ثورة ١٤ تموز وسميت باسم النظام الجديد "الجمهورية".

أما عن التعليم بالكردية، ووفقا لما جاء في المادة الثالثة من الدستور العراقي الموقت بأن الكرد والعرب شركاء في جميع الحقوق في الوطن العراقي، توفرت للطلبة الكرد فرصة جيدة للدراسة بلغتهم في المدارس، وقد اتخذت حكومة الثورة عدة خطوات في هذا الاتجاه، منها ماحدثت في أيلول ١٩٥٨، عندما تم تشكيل مديرية خاصة للتعليم الكردي وكان "عزيز محمد قادر" مدير تربية أربيل أول مدير عام لها. لعبت مديرية الدراسة الكردية دورا مؤثرا في فتح المدارس الابتدائية والثانوية ومراكز محو الأمية في مدن كردستان، وكانت تلك خطوة هامة في مجال تقليص نسبة الأمية، ففي محافظة أربيل مثلا، فتحت مراكز عدة لمحو الأمية بلغ عددها ٢٠٩ مراكز بحلول العام ١٩٧٢، وكان عدد لا بأس به من المعلمين يلقون المحاضرات فيها.

كما رفعت، بعد الثورة، إلى حد بعيد القيود المفروضة على الصحافة، فقد أشارت الفقرة الثانية من الدستور العراقي الموقت إلى حرية الفكر والتعبير، وتجسد ذلك عمليا في إجازة العديد من الجرائد السياسية في

العراق عموما وكردستان خصوصا، ورغم أن أربيل لم تشهد تغييرا يذكر من الناحية العددية في مجال الصحافة، فإن المواد الصحافية شهدت تطورا مشهودا من ناحية حرية التعبير. فمثلا، في عددها الأول بعد الثورة، نشرت مجلة هَتاو مقالا بعنوان "جمهورية العراق" كتبه "كيو موكرياني"، وإلى جانب الإشادة بثورة ١٤ تموز، أشار المقال إلى كون النظام السابق عميلا للاستعمار. وكذلك الحال في أعداد (هَتاو) الأخرى. وإلى جانب عشرات المقالات التي أشادت بالثورة وأدانت الحكم السابق، ضمت المجلة الكثير من المقالات والقصائد والقطع النثرية السياسية والقومية والتاريخية الخاصة بالكرد وكردستان. في أحد أعداد (هَتاو)، رد كيو موكرياني بمقال من قسمين بعنوان "ردا على أسرة جريدة بغداد" على مقال نشر في العدد ١١٦ من الجريدة، والذي نسب بعض القبائل الكردية إلى أصول عربية، جاء في قسم من الرد "لم يكن عند الكرد في أي وقت من السلطة ما يمكنهم من تكريد الأجانب، بل إن العرب بفضل سلطتهم التي كانت لهم في حقب تاريخية عديدة قاموا بتعريب مدن الكرد التي قد بنوها بأنفسهم". هذا إلى جانب نشر مقالات نقد سياسي وملاحظات ومقترحات تخص القضايا السياسية والاجتماعية الكردية ونشر أغلب الأخبار والنشاطات السياسية والثقافية والاجتماعية الخاصة بأربيل في تلك الأيام. مثل: الاحتفالات والمظاهرات بمناسبة ثورة ١٤ تموز. مراسيم استقبال الزعماء الكرد، الشيخ أحمد البارزاني (١٨٩١-١٩٦٨) ومصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩)، في أربيل في العام ١٩٥٨.

وصدرت بعد الثورة، في ١٩٥٩، مجلة خاصة بالطلبة في مدينة أربيل باسم "زيان"، ضمت في محتوياتها نفس التعابير القومية. هذا، إلى جانب مشاركات مثقفي أربيل في الجرائد التي كانت تصدر آنذاك مثل

"خَبات – لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستان" و"آزادي – لسان حال الحزب الشيوعي العراقي، وكانت تصدر في كركوك"، وهي جرائد كانت تصدر خارج أربيل وتصل إلى المدينة.

**ثورة أيلول (١٩٦١–١٩٧٠):**

بالرغم من تعاطف الشعب الكردي في كردستان العراق مع "ثورة ١٤ تموز" وقيادتها، لكن ردود قيادة الثورة في العراق على الكرد، لم تكن في المستوى المرجو، بل اتسمت في السنة الثانة للثورة ببعض العداء وخاصة في بدايات العام ١٩٦٠، حيث بدأت الأمور تسوء، وكان وراء ذلك عدد من الأسباب، من أهمها تأثير الشوفينية العربية على عبدالكريم قاسم، حين كان الشوفينيون يحرضونه ضد مطالب الكرد في ظل النظام الجديد، ومن جانب آخر كان لدول جوار العراق التي تتقاسم كردستان أثرها في بدء التوترات.

هذه الأسباب وأسباب أخرى أفسدت العلاقة بين الكرد والسلطة المركزية في العراق، وقد أدى ذلك إلى ظروف سيئة، منها غلق الجرائد الكردية وفي مقدمتها "خَبات" لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستان وتجميد نشاطات الحزب، وكذلك اعتقال الكرد وخاصة عناصر الجيش والشرطة. وفي الأخير، تمت في أواخر العام ١٩٦٠ مصادرة دار وسيارة مصطفى البارزاني (١٩٠٣–١٩٧٩) ببغداد، فكان ذلك إعلانا لحرب خفية على الكرد، فغادر البارزاني بغداد في بدايات العام ١٩٦١ عائدا إلى كردستان، وبعد أن باشر الجيش العراقي عدة هجمات على كردستان، انطلقت في ١١ أيلول ١٩٦١ المعارك بين الكرد والسلطة المركزية العراقية، وهي ما عرف في تاريخ الكرد باسم "ثورة أيلول".

وقعت خلال ثورة أيلول وقائع عدة، كانت لها آثارها على الثورة الكردية وإن كانت موقتة، ومنها انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الأسود، الذي قاده البعث والجناح القومي الناصري ضد عبدالكريم قاسم، رئيس وزراء العراق، وبعد الانقلاب صار أعضاء ومؤيدو الحزب الشيوعي العراقي، بتهمة الدعم والتحالف مع السلطة السابقة، الهدف الأول للانقلابيين. وبعد أشهر من الانقلاب، استؤنفت في ١٠ حزيران ١٩٦٣ هجمات الجيش العراقي على كردستان لتستمر حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ عندما انقلب رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف على البعثيين وأبعدهم عن الحكم وباشر بمطاردتهم، فتوقفت هجمات الجيش العراقي على كردستان إلى أن أعلن وقف إطلاق النار في شباط ١٩٦٤ وفتحت أبواب المفاوضات مع قيادة الثورة الكردية.

بعد سنة من المفاوضات ووقف القتال، استأنف الجيش العراقي في العام ١٩٦٥ هجماته على كردستان، لتستمر حتى العام ١٩٦٦، حين سقطت طائرة عبدالسلام عارف، رئيس الجمهورية، التي كانت تقله إلى البصرة في ١٣ نيسان ١٩٦٦ فمات، وتولى أخوه عبدالرحمن عارف رئاسة الجمهورية في ١٦ نيسان ١٩٦٦ واستؤنفت من جديد المفاوضات مع قيادة الثورة الكردية. انتهت تلك المفاوضات بالتوصل إلى اتفاق بين الطرفين في ٢٩ حزيران ١٩٦٦، عرف باتفاق ٢٩ حزيران، وكان يتألف من ١٢ بنداً، يتعلق بعضها بتحقيق الحقوق الثقافية للكرد في كردستان العراق، مثل "الإقرار باللغة الكردية وجعلها لغة رسمية في العراق إلى جانب اللغة العربية والسماح بنشاط المنظمات الكردية في إطار القانون".

ومع كون تلك البنود حقوقا بدائية للشعب الكردي ولم تكن تضم نقطة سياسية فعالة، فإن الحكومة العراقية تقاعست عن تنفيذ بعضها، وفي ١٧ تموز ١٩٦٨ وقع انقلاب اخر، حين انقلب البعثيون على رئيس

الجمهورية عبدالرحمن عارف وعزلوه، ليعود البعثيون مرة أخرى إلى السلطة، وعينوا أحمد حسن البكر رئيسا للجمهورية. وقع في العام ١٩٦٨ بعض المواجهات بين قوات البيشمركة والجيش العراقي، وكثف البعثيون في بدايات العام ١٩٦٩ هجماتهم على كردستان واستمرت المعارك حتى التوصل إلى إتفاقية آذار ١٩٧٠، حيث ألزمت هذه الإتفاقية البعثيين بمنح الحكم الذاتي لكردستان العراق.

**مدينة أربيل وثورة أيلول:**

الأسباب العامة التي أدت إلى اندلاع ثورة أيلول، أثرت بنفس الطريقة على مدينة أربيل وصارت سببا لاندلاع الثورة وحث أهالي المدينة على المشاركة في الثورة، والذي زاد في توتر الأوضاع في المدينة بعد تدهور العلاقة بين الكرد والحكومة العراقية هو التصرفات العنيفة لمتصرف أربيل، بدرالدين علي، مع أبناء المدينة، بداً بغلق مجلة "هَتاو" في العام ١٩٦٠ ووصولا إلى منع النشاطات القومية والسياسية ونسج شبكة جواسيس ورقابة على العائلات والشخصيات القومية في أربيل، فقد كان يعتقل على الفور كل من يشتبه في انتمائه إلى تنظيمات الحزب الديمقراطي الكردستاني أو يعتقد بأن له ميولا معادية للسلطة، وكان يتعرض للتعذيب والسجن أو النفي، وقد أثار هذا ردود فعل لدى الأهالي ودفع بهم إلى الانضمام إلى الثورة الكردية، لدرجة أن الانضمام إلى الثورة طال العاملين في الشرطة والمؤسسات العسكرية. ففي ٧ آب ١٩٦١ إلتحقت للمرة الأولى مجموعة من عناصر شرطة أربيل بأسلحتها بالثورة، ومن بين الذين كان لهم دور في توجيه أبناء أربيل إلى الثورة "علي عبدالله المسؤول الأول عن تنظيمات الحزب الديمقراطي في أربيل، وكذلك شمس الدين المفتي وعبدالله إسماعيل ومحمود كاواني". وفي آذار

ونيسان ١٩٦٢، وبناء على قرار من الحزب إلتحق عدد آخر من جنود ومراتب الجيش العراقي من مدينة أربيل بصفوف الثورة الكردية. هذا إلى جانب المساعدات والمؤن التي كان يرسلها أبناء المدينة لدعم الثورة.

بعد انقلاب شباط ١٩٦٣، ووصول البعثيين إلى الحكم، خيمت على العراق ظروف قاسية لانظيرلها، فإلى جانب موقف البعثيين المتشدد من الكرد، تعرض الشيوعيون إلى ظروف شديدة من قتل واعتقال ومطاردة. ومن بين شيوعيي أربيل الذين تم رميهم برصاص البعثيين، نافع يونس رئيس تحرير جريدة (آزادي) وجمال الحيدري وأخيه مهيب الحيدري، وكانت الأوضاع على حالها في أربيل فقد ظل بدرالدين متصرفا لأربيل وباشر حملة اعتقالات ومطاردة للشيوعيين، حتى أن عددا من نساء أربيل تعرضن لتلك الحملة. لذا انضم الشيوعيون إلى الثورة الكردية وشكلوا تشكيلات بيشمركة في مناطق الثورة وكان مركز (كلكه سماق) في محافظة أربيل أول فرقة لتجميع بيشمركة الحزب الشيوعي.

تمكنت تنظيمات البيشمركة في سهل أربيل، بقيادة "فارس باوة" من الاضطلاع بدور فعال في ثورة أيلول وخاصة بين العامين ١٩٦٥-١٩٦٦ حيث وجهت من خلال سلسلة مواجهات عسكرية، ضربات قوية إلى قوات الجيش العراقي، كما في معركة سفين سنة ١٩٦٥، وأجبرت القوات العراقية المهاجمة مرات عديدة على التقهقر في منطقة سهل أربيل في الفترة من ٢٥ كانون الأول ١٩٦٥ إلى ٥ كانون الثاني ١٩٦٦، وفي العام ١٩٦٧ خاضت قوات بيشمركة سهل أربيل معركة في جبل سفين دامت ٤٥ يوما قتل فيها ١٨ من البيشمركة وجرح ٦٠، لكنها تمكنت من رد الجيش العراقي ومنعه من تحقيق أهدافه في المنطقة، وفي نفسها السنة قتلت قوات منطقة سهل أربيل أحد الزعماء القبليين العرب ويدعى "شيخ حنش الطائي" في قرية "عرَبكَند" القريبة من أربيل، وكان للمذكور دور

في خطف وقتل العديد من عناصر البيشمركة منذ بدء ثورة أيلول.

بعد وصول البعث إلى السلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨، بدأت هجمات واسعة استهدفت منطقة سهل أربيل وقد قوبلت الهجمات بمقاومة شديدة من جانب البيشمركة. وخلفت الهجمات الكثير من الضحايا، من قتلى وجرحى، واستمر ذلك الوضع حتى اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠.

وكان من أهم آثار الأحداث السياسية في تلك الفترة، على الوضع الثقافي لمدينة أربيل، ما يأتي:

في قطاع التربية، لو أجرينا مقارنة بين الوضع التربوي في أربيل خلال تلك الفترة، مع السنتين اللتين تلتا "ثورة ١٤ تموز"، لوجدنا نوعا من التراجع، ومن أهم مميزاته تراجع عدد المعلمين. فقد كان للوضع السياسي آثاره على هذا القطاع، حيث أن عددا من المعلمين في لواء أربيل تم حبسهم أو نفيهم بتهم سياسية. وبعد الانقلاب البعثي في العام ١٩٦٣، طغى على الوضع التربوي وضع أكثر سوءاً، حيث تم أيضا اعتقال ونفي المعلمين بتهم سياسية، بل تم طرد بعضهم من الوظيفة أيضا، كما جاء في القرار المؤرخ في ٢٣ حزيران ١٩٦٣ ذي العدد ٨٩٠٢ والصادر عن مديرية تربية أربيل، الذي تم بموجبه طرد ٢٩ معلما وموظفا محبوسا، من وظائفهم. كما شملت تلك التهم والإجراءات الطلبة أيضا. وقد لعب بدرالدين علي، متصرف أربيل آنذاك دورا سلبيا، حيث كان في مرات كثيرة يتدخل شخصيا في شؤون المدارس ويطلب فصل الطلبة بتهم سياسية. ومع أن الوضع، بعد طرد البعثيين من السلطة من قبل عبدالسلام عارف، تغير بعض الشيء، لكن التطورات لم ترق إلى المستوى المطلوب، لحين اتفاقية حزيران ١٩٦٦، حيث شهد قطاع التربية بعدها تغييرات من أهمها إعادة المعلمين المبعدين إلى جنوب العراق، إلى كردستان. ولهذا نجد بعد العام ١٩٦٦ نموا في أعداد المدارس والطلبة

والمعلمين في لواء أربيل. لكن في العام الدراسي ١٩٦٩-١٩٧٠ وبسبب تدهور الأوضاع وهجوم الجيش العراقي على كردستان، ساءت الأوضاع من جديد.

وفي مجال الصحافة، شهدت أربيل قبيل اندلاع ثورة أيلول أوضاعا سياسية سيئة، وقد خضعت الحركة الصحافية في المدينة لتلك الظروف، ومن أهم آثار تلك الظروف إغلاق مجلة "هَتاو" في العام ١٩٦٠، هذه المجلة التي كانت الأفضل في تاريخ صحافة المدينة وقد تقرر إغلاقها بتهمة نشر مقال لصاحب امتيازها "كيو موكرياني"، ضم بعض التعابير القومية، وتم سجن كاتب المقال لمدة شهر في مدينة الحلة.

مع بدايات الثورة، تم قمع الحرية التي كانت قائمة في مجال الصحافة، وأخضعت كافة التوجهات القومية والسياسية للرقابة، هذه الظروف أدت إلى ظهور الصحافة السرية، فكان أن أصدر فرع أربيل لاتحاد طلبة كردستان في العام ١٩٦٢ مجلة سرية باسم "آكر"، كان الطلبة ومثقفو أربيل ينشرون فيها مقالات قومية مستخدمين أسماءا مستعارة، حيث كانت المقالات القومية محظورة تماما حينها وتشكل خطرا على حياة كاتبيها. وفي الفترة ١٩٦٠-١٩٦٣، كانت تصدر في أربيل جريدتان علنيتان هما نشرة "هَولير" وجريدة "الإخلاص". كانت بلدية أربيل تصدر نشرة "هَولير" بصورة علنية، لكن في ظل الضغوط القائمة كانت تنأى بنفسها عن كل مقال أو تعبير سياسي، وتولي الاهتمام الأكبر بنشر المواضيع الأدبية والاجتماعية، واستمرت حتى العام ,١٩٦٣ وكانت جريدة "الإخلاص" تصدر باللغة العربية وتضم مواضيع أدبية وتاريخية وعلمية وثقافية عامة، واستمر صدورها حتى العام ,١٩٦٢ ولم تصدر بعد ذلك، بسبب الأوضاع السياسية والرقابة، أية جرائد أو مجلات علنية في أربيل حتى العام ,١٩٦٩

**إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠:**

بعد مرور ٩ سنوات على بدء ثورة أيلول، وبسبب كل التغييرات التي طرأت في تلك الفترة، توصل حزب البعث الحاكم في العراق إلى قناعة مفادها أنهم لن يتمكنوا عن طريق العنف والشدة من قمع الحركة التحررية الكردية، لذا وجدوا أن من الأفضل السماع لمطالب الثورة واتخاذ خطوات عملية لتنفيذها. وعلى هذا الأساس باشرت الحكومة العراقية في أواخر العام ١٩٦٩ المحادثات والمفاوضات من خلال إيفاد وفود إلى قائد الثورة الكردية مصطفى البارزاني، وقد مرت المحادثات بمراحل، ورغم اختلاف وجهات نظر الجانبين حول عدد من القضايا الهامة والمصيرية (مثل تعيين حدود منطقة الحكم الذاتي) فإن المفاوضات تمخضت عنها إتفاقية "١١ آذار ١٩٧٠". والأمر الهام سياسيا، التي وأشارت إليه الاتفاقية، هو مادتها الرابعة التي تشير إلى تحقيق حق الشعب الكردي في الحكم الذاتي ضمن المحافظات الكردية. أما عن الحقوق الثقافية للكرد والاهتمام باللغة الكردية، فقد ضمت الاتفاقية نقاطا هامة منها:

١- تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في المناطق الكردية، إلى جانب اللغة العربية.

٢- إلحاق الراديو والتلفزيون الكرديين بالمديرية العامة للثقافة والنشر الكردية.

٣- إعادة الطلبة المتضررين من ظروف القتال إلى الدراسة وحل مشكلاتهم.

٤- يحق للشعب الكردي أن تكون له منظمات طلابية وشبابية ونسوية وتعليمية خاصة به.

٥- فتح عدد كبير من المدارس في المناطق الكردية ورفع مستوى التعليم والتربية وقبول الطلبة الكرد في الجامعات والكليات العسكرية وتوفير مقاعد دراسية لهم دون تمييز.

ومن أهم ما نفّذ من نقاط الاتفاقية:

١- تعيين ٥ وزراء كُرد و٣ وكلاء وزارات كُرد في الحكومة المركزية.

٢- تعيين ٣ محافظين كُرد، للمحافظات الكردية (أربيل، سليمانية ودهوك).

وفي مدينة أربيل أيضا، لقيت اتفاقية آذار الترحيب وهبت جماهيرها، شأنهم شأن جماهير أغلب مدن وقصبات كردستان إلى النزول الشوارع لتعبر عن فرحتها، وفي أواخر حزيران ١٩٧٠، تم تعيين "عبدالوهاب أتروشي" الذي رشحته الثورة محافظا لأربيل، وتعيين "شيخ رضا كولاني" مديرا لشرطة أربيل، و"محمد إسماعيل" مديرا لتربية أربيل. وبذلك صار أغلب المؤسسات الرسمية في المدينة، خلا مديرية الأمن، خاضعا بصورة مباشرة لسلطة الثورة الكردية. بعد فترة تم فتح مقر الفرع الثاني للحزب الديمقراطي الكردستاني في أربيل، وتم تغيير المسؤولين الإداريين، حتى القائممقام ومديرى النواحي التابعة لأربيل ليحل محلهم أشخاص يتم اختيارهم من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني. وبذلت جهود لتأسيس المنظمات الجماهيرية في المدينة من أجل حشد أغلب الجماهير حولها، ومنها: اتحاد طلبة كردستان، واتحاد شبيبة كردستان، واتحاد المعلمين واتحاد النساء، كما باشرت نقابات العمال والفلاحين والكسبة والسواق... إلخ نشاطاتها في المدينة.

وفيما يتعلق بقطاع التربية بعد اتفاقية آذار ١٩٧٠، وحتى العام ١٩٧٤، زاد عدد مدارس محافظة أربيل، وشهد قطاع التربية عموما

انتعاشا كبيرا، فمثلا: في العام الدراسي كان عدد المدارس ٣١٤ مدرسة، ارتفع في العام الدراسي ١٩٧٣-١٩٧٤ إلى ٥٥٨ مدرسة. كما شهد عدد الطلبة في محافظة أربيل نموا جيدا يظهر في الجدول الآتي:

| السنة الدراسية | عدد الطلبة |
|---|---|
| ١٩٧٠-١٩٧١ | ٤٣٩٧٢ |
| ١٩٧٣-١٩٧٤ | ٦١٢٩٥ |

كذلك زاد عدد المعلمين من جديد، وتعد الظروف السياسية الملائمة التي توفرت بعد الاتفاقية واحدة من أسباب هذه الزيادة، حيث مهدت تلك الظروف للكثير من الإصلاحات في قطاع التربية من قبيل تأسيس دار المعلمين، ثم معهد إعداد المعلمين في أربيل، والذي أثر على زيادة عدد المعلمين، ومع ذلك لم تحل مشكلة نقص المعلمين تماما بعد الاتفاقية، بل ظلت المشكلة قائمة، الأمر الذي خلق فراغا كبيرا في الدراسة بالمدارس. بعد "اتفاقية آذار ١٩٧٠" انتعشت الدراسة الكردية من جديد، وتمت ترجمة المناهج الدراسية إلى اللغة الكردية وتم تشكيل عدد من اللجان لتأليف كتب باللغة الكردية، وكان من بين معلمي ومثقفي أربيل المشاركين في هذه اللجان: حسين رشواني (١٩٢١-١٩٩٧)، محمد كريم هورامي، مجيد آسنكر، أمين محمد، محمد ملا قادر، علي هَزار، مسعود عبدالقادر، كمال غمبار، عبدالله إسماعيل، محمد إسماعيل.

وعلى النحو نفسه، صدرت في أربيل خلال السنوات الأربعة تلك مجموعة مجلات تعنى بمجالات مختلفة، بحيث لم يصدر حتى ذلك الحين مثل هذا العدد من المجلات العلنية في آن واحد معا، ومع أن أغلبها لم يصدر منه غير أعداد قليلة لكنها مجتمعة تمكنت من دفع الحركة الثقافية

في المدينة خطوة كبيرة إلى أمام، ومن تلك المجلات: "تيشك" صدر العدد الثاني منها في العام ١٩٧٠، هَولير – ١٩٧٠، نوسَري نوي – ١٩٧٢، بو بيشوه – ١٩٧٣، هذا إلى جانب التطور في مجال المطبوعات والأدب والفنون عموما.

استمرت هذه الظروف، بصورة عامة، حتى العام ١٩٧٤، وقد فشلت السلطة المركزية في العراق في استغلال فرصة السلام وتلبية المطالب القومية الكردية حسب ما تقتضيه الضرورة، حيث بادرت على العكس من ذلك إلى انتهاز الفرصة لتسليح نفسها وتقوية جيشها فتولد عن ذلك وضع متأزم أسفر عن تدهور الأوضاع بين الكرد والسلطة المركزية في العراق، وكانت النتيجة استئناف الثورة الكردية المسلحة في العام ١٩٧٤، والتي استمرت حتى العام ١٩٧٥، ولا شك أن استئناف القتال وهجمات الجيش العراقي على كردستان وتشديد الرقابة الأمنية، أجهضت بمجملها تلك الحرية، التي شهدت الثقافة الكردية في ظلها نموا كبيرا، الأمر الذي أدى إلى حد ما إلى ركود الوضع الثقافي في كردستان العراق عموما، وكذلك كانت الحال في مدينة أربيل أيضا، فقصد معظم القوميين والمثقفين والفنانين من أبناء المدينة الجبال ليلتحقوا بصفوف البيشمركة وتعطلت الحركة الثقافية. وبعد نكسة الثورة الكردية في العام ١٩٧٥، أخضعت الحركة الثقافية بالكامل لرقابة الشرطة وأجهزة الرقابة المختصة، وبعد إعلان قانون الحكم الذاتي (آذار ١٩٧٤) من قبل حزب البعث الحاكم، تم إرساء أسس مؤسسات الحكم الذاتي في أربيل ومنها الأمانة العامة للثقافة والشباب، وكان القائمون على هذا الجهاز يسعون إلى إحلاله محل إتحاد الأدباء الكرد، لكن قسما كبيرا من الكتاب رفض ذلك، وكانت هذه الأمانة قد شكلت لجنة رقابة من

الأدباء والفنانين الموالين للحكومة، تمنح الإجازة للنشاطات الأدبية والفنية وتفرض رقابة مشددة على كل تعبير قومي المضمون، وبهذا تقلصت الحرية التي شهدتها الثقافة الكردية بعد (إتفاقية آذار ١٩٧٠) تحديدا تاما.